جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

فن القصة القصيرة عند باسم الزعبي
(دراسة موضوعية وفنية)

Basem AL-Zouabi`s Short Story Art
(objective and artistic study)

إعداد
عمر علي حسن المشاقبة
الرقم الجامعي:
٠٧٢٠٣٠١٠٠٣

إشراف الدكتورة
منتهى الحراحشة

الفصل الأول
٢٠١٠م

أعضاء لجنة المناقشة: **التوقيع**

الدكتورة: منتهى الحراحشة (مشرفاً ورئيساً).....

الأستاذ الدكتور: نبيل حداد (عضواً).....

الأستاذ الدكتور: جهاد المجالي (عضواً).....

الدكتور: عبد الباسط مراشدة (عضواً).....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية/ في كلية الآداب/ في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها/ تعديلها/ رفضها. بتاريخ:.....

الإهداء

إلى والدي العزيز.. الصّابر...المؤمن بقدر الله... الصَّادق في القول والعمل... تعلّمتُ منه...
إلى والدتي...حنان يتدفّق...وعطاء يتجدّد...وحب بلا حدود...
أدامهم الله لي...
إلى جميع الأخوة والأخوات..الذين شاركوني فرحتي ...وقاسموني لحظات حزني...
إلى الزوجة الغالية التي أعطتني بلا حدود...وشقّت طريقي الصعب بالورود...
إلى أولادي ونور عيوني...عون.... وزيد...ورسلان...أدامهم الله لي...
إلى جميع الأصدقاء والأعزاء والأقارب والمحبين....أهدي هذا العمل المتواضع.

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشّاكرين، والصّلاة والسّلام على سيد الخلق محمد وعلى آله الطّيبين الطّاهرين.

﴿من لا يشكر الناس لا يشكر الله﴾

بداية لا يسعني في هذه المقام الطيب المبارك إلّا أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى الدكتورة الفاضلة منتهى طه الحراحشة، التي أشرفت على هذا البحث، ورافقتني بكل مرحلة من مراحله، وقدمت النصح والإرشاد، فقد أخذت من وقت راحتها الكثير، واستقبلتني في بيتها، وشرعت لي أبواب مكتبتها، وقدمت لي كل ما احتجت إليه من مراجع مفيدة، وكتب قيّمة، فكانت نعم الدكتورة، فجزاها الله عنّي كل الخير.

كما ويشرفني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل، والعلماء الأجلاء، أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضّلوا مشكورين بقبولهم مناقشة هذا البحث، رغم أعبائهم الكثيرة، وضيق وقتهم، ليبدوا آراءهم النيرة وملحوظاتهم المفيدة، مؤكداً لهم أن ملحوظاتهم وآراءهم ستلقى مني كل اهتمام وعناية-إن شاء الله- والمكونة من:

١-الأستاذ الدكتور: نبيل حداد (كليّة الآداب-جامعة اليرموك).

٢-الأستاذ الدكتور: جهاد المجالي (نائب رئيس جامعة آل البيت للشؤون الإدارية).

٣-الدكتور: عبد الباسط مراشدة (كليّة الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة آل البيت).

كما ويسعدني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذتي الأفاضل في جامعة آل البيت أصحاب الأيادي البيضاء والعلم النافع، وأخص بالذكر رئيس قسم اللغة العربية الدكتور محمد العبسي والدكتور الفاضل سعيد أبو خضر.

وأخيراً أشكر الكاتب باسم إبراهيم الزعبي، الذي زوّدني بالعديد من المعلومات والمصادر التي أفدت منها في هذا البحث فكان-بعد الله-خير معين، وإلى كل من ساهم في تقديم المساعدة ومد يد العون والفائدة جزيل الشكر والعرفان والتقدير.

الباحث

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
ـ قرار لجنة الناقشة	٢
ـالإهداء	٣
شكر وتقدير	٤
ـفهرست المحتويات	٥
ـملخص باللغة العربية	٧
ـالمقدمة	٨
ـالفصل الأول: باسم الزعبي وفن القصة القصيرة	١١
أولاً: التكوين الاجتماعي والثقافي	١٥
ثانياً: باسم الزعبي وفن القصة القصيرة	٣١
الفصل الثاني: القضايا الفكرية والمضامين الاجتماعية والهواجس الإنسانيّة في مجموعاته	٤٩
ـالتمهيد:	٥٠
أولاً: القضايا الاجتماعية:	٥٢
١ـالفقر	٥٢
٢ـمعاناة المرأة	٥٩
٣ـالعادات والتقاليد والمعتقدات	٧١
ثانياً: القضايا السياسية	٨٠
١ـ القضايا القومية	٨١
٢ـ القضايا الوطنية	٨٩
ثالثاً: القضايا الفلسفية الوجودية:	٩٦
١ـ الاغتراب	٩٧
٢ـالرؤية الفلسفية الوجودية	١٠٦

الفصل الثالث: البناء الفني في قصص باسم الزعبي	١١٣
أولاً : البناء الهيكلي	١١٤
ثانياً : الأحداث	١١٩
ثالثاً : الشخصيات	١٢٣
رابعاً : البيئة القصصية(الزمان والمكان)	١٣٥
خامساً : النسيج اللغوي	١٤٥
سادساً: الأساليب السرديّة	١٥١
الخاتمة	١٦٤
قائمة المصادر والمراجع	١٦٧
ملخص باللغة الانجليزية	١٧٤

الملخص باللغة العربية

يهدف هذا البحث إلى دراسة أعمال القاص الأردني باسم الزعبي في فن القصة القصيرة من الوجهتين الفكرية والفنية.

وأشار البحث إلى أن الباحث لم يجد دراسات سابقة بالعنوان والإطار الموضوعي والفني ذاته؛ إلا ما كان متناثراً في كتب بعض الدارسين والنقاد، والصحف والمجلات، ولا يشكل دراسة متكاملة لقراءة أعمال الكاتب.

ويعد باسم الزعبي من الكتاب البارزين في فن القصة القصيرة، فقصصه انتصرت للإنسان على الظلم والقهر، وساندت المرأة في تحررها من قيود المجتمع البالية، كما أن الكاتب بذل أقصى ما في وسعه من التجديد والتجريب، فجاءت قصصه حداثية، تجسد أفكاره ورؤاه، لذلك كان من الضروري أن يدرس في بحث مستقل، لذا يسعى هذا البحث إلى إبراز التطور الموضوعي والفني في قصص الكاتب القصيرة.

وقد طرح البحث عدة أسئلة حول قصص باسم الزعبي تتمحور في الرؤى والأبعاد النفسية، ومضامينها وموضوعاتها، كما طرحت أسئلة متخصصة بالتقنيات والفنيات.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج منها.

أولاً: تناول الكاتب قضايا عديدة ومتنوعة في قصصه مثل: قضية المرأة والرجل، فسلط عدسة القصة على معاناتهم في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، والعادات والتقاليد الموروثة والقيم، والفقر، والتعليم، والجهل، والظلم، والخرافات، كما في قصة "شقائق النعمان" وقصة "المهباش" وقصة "نخلة" وقصة "أوجاع" وغيرها من القصص.

ثانياً: كشفت هذه الدراسة عن رؤية الكاتب للمدينة الأردنية، فشخصيات المدينة تعيش حياتها وتعاني همومها، كما جاءت بعض الشخصيات معارضة لبعض قيم المجتمع المدني، أو رافضة لها، إذ تعيش في بعض الأحيان هذه الشخصيات اغتراباً نفسياً شديداً، بسبب تعارض الشخصية مع بعض قيم المجتمع المدني، وعدم القدرة على الاندماج فيه.

ثالثاً: وظّف الكاتب بناء فنياً متنوعاً كالأحداث، والشخصيات، والمكان والزمان، واللغة، والأساليب السرديّة، فأسهم هذا البناء في تجسيد رؤية الكاتب في نصوصه القصصيّة.

سائلاً المولى التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يهدف هذا البحث إلى دراسة أعمال القاص الأردني باسم الزعبي في فن القصة القصيرة من الوجهتين الفكرية والفنية.

ويعد القاص باسم الزعبي المولود في إحدى قرى الرمثا عام ١٩٥٧م أحد كتّاب القصة القصيرة في الأردن، ومن الذين كان لهم حضور متميز في الساحة الفكرية والثقافية والأدبية، وكان لهم محاولات جادة نحو تطوير فن القصة والتجديد في أساليبها فناً وفكراً.

وكان سبب اختياري لدراسة أعمال باسم الزعبي الإبداعية في مجال فن القصة القصيرة نابعاً من اطلاعي على إنتاج القاص الغزير وتتبعي لسيرته الذاتية؛ فغزارة نتاجه، وغناه الفكري أوجد عندي الدافعية إلى دراسة أعماله القصصية، وتحليلها من الوجهتين الفكرية والفنية.

ورغم ثراء هذه المجموعات بما تقدمه من أفكار جديدة، وأساليب صياغة متمكنة؛ إلا أنه لا توجد دراسات سابقة أو أبحاث تدور حول هذا الموضوع، إلا ما كتب هنا وهناك في الصحف والمجلات، وبعض الإشارات في كتب بعض الدارسين، ولعل ذلك راجع إلى ابتعاده عن الأضواء، رغم تجربته الأدبية الإبداعية، فرأيت أن أقدمه على نحو ما أتمنى أن يكون موفقاً.

والتزمت في دراستي لهذا البحث المنهج التكاملي، الذي يجمع من كل منهج بقسط، فالدراسة ذات علاقة بالأرض والإنسان، وهما لا ينفصلان عن المؤثرات النفسية التي تفعل فيهما، ويفعلان فيها، واستقراء الظواهر وعرضها استناداً إلى الواقع الذي يعيش، ومن أجل ذلك عمدت الدراسة إلى التحليل لاستنتاج الأحكام على الكاتب وصولاً إلى التقرير عن هذا الأديب وفنه، فقصصه عبرت عن ثروة أدبية في مسار القصة القصيرة، بما تتميز به، فهي من القصص الأردنية البارزة ذات الأسلوب الواقعي الممزوج بالسخرية اللاذعة الناتجة عن رؤية الكاتب لواقعنا المليء بالمفارقات الساخرة، كما استطاع الأديب أن يتناول هموم الوطن والمواطن الأردني، وواقعه الوطني والقومي والاجتماعي بفنية مبدعة.

واعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع التي أمدت البحث بالكثير من المعلومات، هذا بالإضافة إلى العودة إلى كتبه وأبحاثه، والمقابلات الشخصية التي أجريتها معه، أو التي أجريت معه، وذلك لإغناء الدراسة والإعلاء من شأنها.

وأهم المصادر التي اعتمدت عليها تتمثل في المجموعات القصصية لباسم الزعبي، وهي "الموت والزيتون،"١٩٩٥، و"ورقة واحدة لاتكفي،"٢٠٠١، و"دم الكاتب،٢٠٠٣"، و"تقاسيم المدينة المتعبة،٢٠٠٧"، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المراجع والأبحاث المتنوعة.

إن اطلاعي على قصص باسم الزعبي القصيرة، أثارت في نفسي تساؤلات عديدة، منها:

١-إلى أي مدى أثر التكوين الاجتماعي و الثقافي في قصص الكاتب؟

٢-ما الرؤية التي حاول تجسيدها في قصصه؟

٣-ما سر الجاذبية في قصص باسم الزعبي؟

٤-ما المقصود العام لديه لمفهوم القصة القصيرة؟

٥-ما خصائص البناء الفني في قصص باسم الزعبي؟

-تقع الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

تقف المقدمة على الهيكل العام لخطة البحث، وتتبين ما تتضمنه الفصول الرئيسة فيها من حيث المنهجية والمضمون.

وبحثت في الفصل الأول وعنوانه "باسم الزعبي وفن القصة القصيرة"،وبيّنت فيه الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي للكاتب، وأثر ذلك في إنتاجه الأدبي، ومؤلفاته الأدبية والفكرية، وبحثت في مفهوم القصة القصيرة عنده، معتمداً على النصوص القصصية والمقابلات الشخصية والآراء النقدية والنظرية.

وعالج الفصل الثاني "القضايا الفكرية والمضامين الاجتماعية والهواجس الإنسانية" عند القاص، وتم تسميته إلى ثلاثة محاور، تحدثت في المحور الأول عن القضايا الاجتماعية التي تصور الفقر، والمرأة وما تعانيه، وكذلك العادات والمعتقدات والتقاليد السائدة في المجتمع، ووقف المحور الثاني عند القضايا السياسية، حيث تمّ إبراز الجانب القومي، والجانب الوطني في قصصه، والحروب والأحداث التي شغلت فكر الأمة، وموقف المثقف العربي من هذه الأحداث التي هزت كيان الأمة، ووجدانها، كما وأبرزت صورة للانتهازيين والوصوليين بسخرية لاذعة، وكذلك ما جرى على أرض الوطن من أحداث وتحولات اقتصادية، واجتماعية وسياسية كبيرة، وتبرز صورة لأولئك الذين تبنّوا أفكاراً سياسية وناضلوا من أجلها، ولكن سرعان ما انقلبوا ضد مبادئهم، وأما

المحور الثالث فقد اشتمل على أهم المضامين الفلسفية التي تتعلق بالإنسان ووجوده ومخاوفه وتساؤلاته، وركز على قضيتين هامتين هما: الاغتراب والرؤية الفلسفية الوجودية.

أما الفصل الثالث، فقد جاء بعنوان "البناء الفني في قصص باسم الزعبي" تناولت الدراسة فيه أركان البناء الفني في قصص باسم الزعبي، فبحث في البناء الهيكلي، والحدث وأنواعه، ودلالة الشخصيات، وطريقة عرضها، والبيئة القصصية(الزمانية والمكانية)، والنسيج اللغوي، ووقف عند أسلوب الكاتب وتقنياته الإبداعية، مع توضيح لكل عنصر من العناصر المدروسة.

أما الخاتمة، فقد تضمنت عرضاً لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وقد اجتهدت في توفير المصادر والمراجع لهذه الرسالة، لعدم وجود مراجع سابقة تناولت القصة عند الكاتب، واجتهادي هذا لا يخلو من التقصير-لأن الكمال لله وحده- فان أصبت فهو توفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

والله الموفق.

المفرق- الأردن
الباحث: عمر الدّبـلان
١٤٣٢هـ/٢٠١٠م

الفصل الأوّل

باسم الزعبي و فن القصة القصيرة

تمهيد:

أولا: التكوين الاجتماعي والثقافي

١-باسم الزعبي-حياته ونشأته.

٢-مؤلفاته الفكرية وترجماته.

ثانياً:باسم الزعبي وفن القصة القصيرة.

١-مقاربة فنية وتاريخية.

٢-باسم الزعبي ومفهوم القصة القصيرة.

الفصل الأول

باسم الزعبي والقصة القصيرة

التمهيد:

القصة القصيرة فن حديث النشأة، ظهر في الوطن العربي منذ بداية القرن العشرين، وتعد القصة القصيرة أحد الفنون الأدبية التي عرفها الأدب العربي والغربي كالشعر والرواية والمقالة والمسرحية، تتفق معها في بعض العناصر المكونة للعمل الأدبي وتختلف عنها في العناصر الأخرى.

واكبت القصة القصيرة في الأردن تطور الأدب في الوطن العربي، وقد ساهمت الأحداث التي مرت بها الأمة العربية منذ بداية القرن العشرين حتى وقتنا الحاضر في تطوير القصة تطوراً كبيراً، فأخذ القاص يعبر عن موقفه تجاه الأحداث التي يعيشها الإنسان العربي بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتداعياتها الثقافية والنفسية.

وقد برز عدد كبير من الكتاب في الأردن كانت لهم إسهاماتهم في تطوير القصة القصيرة وتجديد بنيتها وانطلاقها على المستويين العربي والعالمي، وقد تعاقبت أجيال من كتاب القصة القصيرة، بدءاً من جيل الرواد محمد صبحي أبو غنيمة، و محمود سيف الدين الإيراني، وعيسى الناعوري، وأمين ملحس في الفترة من عشرينيات القرن العشرين وحتى نهاية خمسينياته، مروراً بفخري

قعوار، وجمال أبو حمدان، وغيرهما بدءاً من ستينيات القرن العشرين، ليستمر الزخم معهما في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات. ينتمي القاص باسم إبراهيم الزعبي إلى الجيل المعاصر، حيث بدأ نشاطه الأدبي في تسعينيات القرن الماضي في مجال القصة القصيرة، ولا يزال عطاؤه مستمراً.

ومن بين ما يقارب ستة عشر كتاباً صدرت لباسم الزعبي هي مؤلفاته الأدبية، ظهرت أربع مجموعات قصصية سأتناولها في هذه الدراسة، وستشير الدراسة إلى مؤلفاته الأخرى لما يمكن أن تلقي به من أضواء على أعماله القصصية، وتوضح المناخ العام والأجواء الثقافية والفكرية التي يتحرك من خلالها الكاتب.

يتوق باسم الزعبي ومنذ طفولته إلى التعبير عمّا يختلج في روحه، لذلك نجده يقول: "منذ الطفولة والرغبة في التعبير عمّا يختلج روحي وعما يدور حولي وما يعتمر الحياة من علاقات تسيطر عليّ، الرسم كان رغبتي الأولى، لكن الورق والألوان كانت ضنينة، الرسم بالكلمة كان يحتاج إلى ورق أقل"(١) فالرسم والألوان كانت بالنسبة إليه تكلفه الكثير، أما الرسم بالكلمة فكان يحتاج إلى أقل من ذلك، ويستطيع أن يوفره من مصروفه الشحيح، هكذا شق الزعبي طريقه الأول في الكتابة، التي لم يكن الهدف منها أن يصبح كاتباً بل غواية جميلة، كما يقول: "لم أكن أعلم أن الكتابة غواية جميلة وعندما وعيت أبعاد هذه الغواية الورطة لم أندم على شيء، إلا أن فرحة تفتحت كوردة في حوض تربته قلق غامض، قلق لن يسمح لي بالاطمئنان للفرح"(٢).

يتسم أسلوب الزعبي في كتابة القصّة بالحس الساخر، وعندما سئل عن ذلك، هل السخرية ملمح أساسي في قصصك؟ هل هي قادمة من إعجابك بتشيخوف وترجماتك الكثيرة؟ أم من مجتمع ملمحه الأساسي الجديّة والتكشيرة، كما يقال؟ أجاب: "قد يكون السببان مجتمعين ويمكن إضافة سبب ثالث هو أنّني أنتمي إلى بيئة تزخر بالسخرية، وقد أخرجت كتاباً تتميز كتاباتهم بالسخرية منهم أحمد الزعبي، وأحمد أبو خليل وغيرهم وكذلك تأثرت بالكتاب الروس الساخرين وعلى رأسهم تشيخوف وأفيرتشنكو وسالتيكوف شيدرين"(٣).

لهذا كله ارتأت الدراسة أن يكون الفصل الأول في هذا البحث التكوين الثقافي والاجتماعي لباسم الزعبي، فتحدثت عن حياته، ونشأته وطفولته، ومؤلفاته، وترجماته، ومفهومه للقصة، وقد اعتمدت في ذلك على النصوص .

(١)باسم إبراهيم الزعبي، محطات في الذاكرة، جريدة الرأي، الرأي الثقافي، الجمعة، ٢٠٠٩/٤/٣، العدد١٤٠٥٤،ص٧.

(٢)المرجع نفسه،ص٧.

(٣)يحيى القيسي، القاص الأردني باسم الزعبي.. القرية شكلت وعيي الأول والأدب الروسي الساخر أثر في كتابتي، جريدة القدس العربي، الأربعاء ٢٠٠٨/١/٢٣م، ١٥/محرم١٤٢٩ه، العدد٥٧٩٦.ص١٠.

القصصية التي سأتناولها لاحقاَ، وعلى مقابلات أجريتها مع الكاتب نفسه وما ورد في المقالات المتناثرة في المجلات.

تعدُّ العلاقة بين التكوين الثقافي والاجتماعي للأديب وإنتاجه علاقة قوية ومتينة، فالحياة الاجتماعية للأديب لها أثر كبير في إنتاجه الأدبي، وفي ظهور الأشكال الأدبية الجديدة، لأن: "العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة قديمة جداَ، ولعل هذا ما جعل بين الأدب وعلم الاجتماع وشائج قوية إلى حد تخصيص فرع من فروع علم الاجتماع لدراسة الظاهرة الأدبية سمي علم اجتماع الأدب"[٢]، لذا لا بد لنا عند دراسة أديب معين أن ندرس حياته وأحواله الاجتماعية والمتلقين، وكل الظروف الاجتماعية المحيطة به، لأنه "إذا لجأ أنصار هذا المنهج (المنهج الاجتماعي) إلى تسجيل حياة الأدباء وأحوالهم الاجتماعية، أو تتبع الحالات الاجتماعية لطبقة القراء أو الظروف الاجتماعية المحيطة بالأدب فإنما يفعلون ذلك من أجل تفسير هذه الأشكال الجديدة، أو انحسار الأشكال القديمة، أو تطورها، وليس لدراسة الظاهرة التاريخية ذاتها"[٣]. "فالقصة القصيرة كانت تعبيراً عن البرجوازية المأزومة، والرواية كانت تعبيراَ عن البرجوازية الصاعدة"[١] فالطبيعة الاجتماعية لها الأثر الأكبر في تشكيل النوع الأدبي.

والسؤال هنا، إلى أي مدى أثرت نشأته وتجاربه الحياتية في تصوّره للقضايا والموضوعات وتصويره لها؟ وما تكوينه الثقافي والاجتماعي؟ وإلى أي مدى انعكس تكوينه الثقافي في تصوره وتصويره وصياغته؟.

(١)شكري الماضي، في نظرية الأدب، ط١،دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان٢٠٠٥، ص١٣١.

(٢)عبد الكريم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة،ط٢، دار النشر للجامعات، مصر،١٩٩٩،ص٣.

(٣)شكري عياد، القصة القصيرة في مصر، دراسة في تأصيل فن أدبي، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧٩،ص٥٠.

أولا: التكوين الاجتماعي والثقافي

-باسم الزعبي حياته ونشأته :

ولد باسم الزعبي في إحدى قرى الرمثا عام ١٩٥٧م، لأسرة بسيطة في بيت غرفه من الحجر والطين كانت العائلة تسكنه، كان الابن الخامس في العائلة، تفتحت عيناه في سن الثالثة والرابعة في بيت مكون من ثلاث غرف من الحجر والطين، وحوش كبير كانوا يستخدمون نصفه لزراعة الفول والبصل وبعض الخضروات الأخرى[١].

ومن الأمكنة الأكثر حضوراً في اللاوعي للزعبي، أماكن الطفولة، البيوت المكونة من الطين والحجر (بيت العيلة) والذي لم يكن غرفة للعائلة بل كان مخزناً وبيت عائلة ومكاناً آمنا للصغار، لذا يقول عنه الزعبي: "بيت العيلة لم يكن غرفة معيشة بل غرفة تخزن فيها الحبوب والتبن والطحين، وكل شيء، وهو المكان الذي كانت أمي ترقد فيه الدجاجات على بيضها وكان يضبّنا نحن الصغار، عوض أن نلعب في الحارة فتطمئن أمي علينا"[٢]. هذه الصور لا تزال عالقة وحاضرة في خيال باسم الزعبي ووجدانه، وأثرت في أدبة، فهو واحد من أبناء القرية، يحس بهم ويصور حياتهم، ويرصد أعمالهم ويصوغها بقالب أدبي وفني جميل على شكل قصة.

ومن الصور التي يذكرها باسم الزعبي ومازالت عالقة في ذاكرته وتشكل ذكرى جميلة "بيوت الجيران المتلاصقة، ماسورة الماء الممتدة جانب الجدار، شجرتا الكينا الضخمتان، دالية العنب في بيتنا الآخر الذي سكناه فيما بعد، مخفر الدرك الملاصق لبيتنا، خيول الدرك لباسهم، سائس الخيل،السجن، مشهد المهربين الموقوفين عبر دارنا"[٣].

(١)سميرة عوض،د باسم الزعبي ...يؤلمه غياب البحر الأخضر..القرية وبيوت الحارة مكاني الأول،جريدة الرأي الأردنية،الأحد ٢٠٠٨/١١/٢٣م، العدد ١٣٩٢٤،ص٢.

(٢)المرجع نفسه،ص٢.

(٣)المرجع نفسه،ص٢.

وهكذا كان أكثر الأماكن حضوراً في وجدانه بلدته القديمة بأكملها، بيوتها حاراتها، دكاكينها، أشخاصها، بئر الماء، هذه الصور الجميلة ظلت في ذاكرة الزعبي يزداد اشتياقاً إليها كلما تقدم الزمن، فأصبحت كاللوحة الجميلة في ذاكرته تزداد جمالاً وقيمة كلما تقدم بها الزمن.

ويلاحظ الدارس المتفحص لمجموعات باسم الزعبي هذا التأثر واضحاً في قصصه القصيرة، وخاصة في مجموعته الأولى "الموت والزيتون"[١] التي تشكل نقطة الانطلاق لعمله الإبداعي، والثانية "ورقة واحدة لاتكفي"[٢] ففي قصة "المهباش" من مجموعة الموت والزيتون نجد هذا التأثر، فهي تتحدث عن القيم الاجتماعية المهدورة، عندما حاول الجد جاهداً منع إقامة الحفل بحجة العزاء عند الجيران.

كان درس التعبير المحطة الأولى التي اجتازها بسهولة، فلم يقلق كسائر الطلاب عندما يطلب منهم ذلك، ولم يحاول استنساخه ولم يقلقه ذلك، يقول: "لم أفاجأ عندما وضع لي المعلم أعلى الدرجات، وأشاد بالقصة أمام الصف وقدمها كنموذج، وبعد ذلك دعاني وشجعني أن استمر بالكتابة، متنبئاً لي بمستقبل"[٣]. فنجاحه وتفوقه لم يرو ضمئه، فالمدرسة لم تقدم له سوى التشجيع.

كان محباً للقراءة، أخذ يطّلع على كل ما تقع عيناه عليه من كتب ومجلات، مجلة العربي وأعداد من مجلة "هنا لندن"، ساعده في ذلك أهله، حيث يقول: "في البيت كان إخوتي يحتفظون ببعض المجلات، أعداد من مجلة العربي من مقتنيات أخي الأكبر، وأعداد من مجلة هنا لندن التي تصدر عن

(١)باسم الزعبي ،الموت والزيتون،مجموعة قصصية ، ط١وزارة الثقافة،١٩٩٥.

(٢)باسم الزعبي، ورقة واحدة لا تكفي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان-بيروت٢٠٠٢.

(٣)باسم الزعبي، محطات في الذاكرة،الرأي الثقافي،مرجع سابق،ص٧.

هيئة الإذاعة البريطانية، كانت تصل إلى قاضي المحكمة التي يعمل بها والدي"[١]. فيبعثها لوالده لمعرفته أن لديه أطفالاً يحبون القراءة.

من خلال المجلات قرأ كل ما فيها من قصص وشعر ومسرحيات، وتعرف فيها إلى تشيخوف، وتولستوي، وموباسان، ونجيب محفوظ، ومحمود سيف الدين الإيراني، وأمين ملحس، يقول: "كنت أذهب إلى مكتبة الشباب وأقرأ فيها مقالات لنزار قباني وغادة السمان، وكنت أقرأ كل شيء يقع بين يدي، ورحت أجرب الكتابة، وأشارك في مقالات القصة، التي وفرت لي مزيداً من الكتب التي تقدم لي كجوائز"[٢].

كتب باسم الزعبي الكثير من القصص قبل أن ينهي من المدرسة، ولكنه أتلفها جميعاَ؛ بحجة أنه لم يرضَ عما كتب إلى أن فازت إحدى قصصه في مسابقة بين أعضاء مراكز الشباب، ومن هنا بدأ الشعور بالثقة يتولد لديه، خاصة أن اللجنة التي خضعت لتحكيمها القصّة كانت برئاسة فخري قعوار، فيقول في ذلك: "ظلت رصيدي الوحيد طوال عشر سنوات، انقطعت فيها عن الكتابة، إلى أن كتبت قصتي الثانية "ذات شتاء" ونشرتها في مجلة الكاتب الفلسطيني التي كانت تصدر في الضفة الغربية، وباسم مستعار"[٣].

لذلك كانت مجموعته الأولى "الموت والزيتون" والثانية "ورقة واحدة لا تكفي" تعكس بيئة القرية التي احتضنت طفولته وشبابه، ففي قريته وعى معنى حب الوطن والانتماء إليه، وعقدت صداقاته الأولى في مرتع صباه، أماكن اللعب واللهو، وهي المكان الأقرب إلى رحم الأم، وقد بدأ التعبير عن موقفه وعلاقته بأهل قريته أشد وضوحاً في قصتين بقوله: "التعبير الأشد وضوحاً عن علاقتي بالقرية، وموقفي منها ووعي تحولاتها، كان في قصة (الموت

(١) باسم الزعبي، محطات في الذاكرة،الرأي الثقافي،مرجع سابق،ص٧.

(٢)نفسه،ص٧.

(٣)نفسه،ص٧.

والزيتون) في المجموعة التي صدرت بذات العنوان، وفي قصة "العقد" التي نشرت في مجموعتي الثانية "ورقة واحدة لا تكفي"، الأولى كانت غرائبية والثانية كانت واقعية، أما بقية القصص التي تدور أحداثها في القرية فهي تحمل ثيمات مختلفة".[١] فقد كتب بأساليب مختلفة في هاتين المجموعتين منها الواقعي والغرائبي والذهني والساخر، منوعاً بين الثيمات والتي على الأغلب تحمل ثيمات إنسانية.

كان لأصدقاء العائلة الدور الأكبر في تحفيز ابنهم على الكتابة في ظل غياب كل رعاية، فوالده الأمي كان يقدمه لهم، لكن الزعبي تعلم من أبناء قريته الكثير، وفي هذا يقول: "تعلمت أن الحجار يمكن أن يكون بطل قصة، وأنه مبدع، يبدع بالمطرقة والأزميل، وهو يحول الحجر الذي لا يكترث له أحد إلى تحفة فنية، تنطق بالحياة، ويحمل بالتالي قيمة ما "[٢].

لقد كانت المرحلة الثانية الانتقال إلى روسيا لإكمال دراسته هناك، عاش فيها سبع سنوات متصلة، ثم عاد ليعيش فيها أربع سنوات، درس في جامعة "روستوف" هذه المدينة التي أنجبت أعلاما موهوبين، تأثر بكاتبين كبيرين وصحفي من أبناء هذه المدينة وهم أنطون تشيخوف، وميخائيل شولوخوف الحاصل على جائزة نوبل للآداب عن روايته "الدون الهاديء"، والصحفي هو بوفين وكان من أبرز المحللين السياسيين في جريدة "الأزفيزتيا" في المرحلة السوفييتية[٣].

وقد ساهمت الكثير من العوامل والظروف في تطور فن القصة عند باسم الزعبي، مثل المسرح، ودور السينما، فقد كان من عشاقها، ومن المترددين وباستمرار عليها يقول: "ما زلت أذكر مسرح البلشوي في موسكو ومسرح

(١)جريدة القدس العربي ٢٠٠٨/١/٢٣

(٢)باسم الزعبي، محطات في الذاكرة، الرأي الثقافي،مرجع سابق،ص٧.

(٣) مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب،عمان ٢٠٠٩/٦/٢٧.

الكريملين، ومسرحيتا أنشوكا ويفجيني أنيجين، ورغم أنني زرت هذين المسرحين أكثر من مرة لكني لا أذكر من تلك المرات سوى تلك الزيارتين، لأنني حضرتهما برفقة الفتاة التي شاءت الأقدار أن تصبح شريكة حياتي"[١]. فالمكان الأثير هو المكان الذي يجمع الإنسان بما يحب.

استخدم باسم الزعبي في قصصه تقنيات عديدة بما فيها الأسلوب الواقعي في معالجة قضاياه، إلى حد اتهامه بعدم التنبه إلى استخدام التقنيات السردية الحديثة، ويبدو أن استخدام الواقعية في مجموعاته جاء من خلال تأثره بالعديد من الكتاب وعلى رأسهم الكتاب الروس، وفي ذلك يقول: "كتبت القصة الواقعية والحكاية والقصة الذهنية والومضة والفانتازيا، القصة لدي تولد بأسلوبها ولغتها، الأسلوب لا يتحدد مسبقاَ، بل يأتي مع القصة، ويبدو بعد إصداري المجموعة الرابعة، بدأت تتبلور ملامح أسلوب يميز كتابتي، وفعلاَ أجدني أميل إلى القصة الواقعية"[٢]، فاستخدام الكاتب الأسلوب الواقعي لا يلغي استخدام أساليب متنوعة في التعبير.

إن اطلاع الزعبي على الآداب العالمية والعربية ولا سيّما الروسية وتأثره بهم أثر في نهجه وأسلوبه، فالزعبي كاتب ساخر، بدت السخرية واضحة في قصصه، ويمكن القول أن السخرية لا تكاد تنفك عن أسلوب الزعبي، بل أصبحت سمة أساسية تلازمه، وفي ذلك يقول: "أنني أنتمي إلى بيئة تزخر بالسخرية منهم أحمد الزعبي، وأحمد أبو خليل ، أحمد حسن الزعبي، وكل له أسلوبه الساخر، ولا شك أنني تأثرت بالكتاب الروس وعلى رأسهم تشيخوف وأفير تشنكو، وسالتي كوف شيدرين، وكوبرين وتيفي، وتأثرت كذلك بالكاتب التركي عزيز نيسن وتأثرت بكتابات زكريا تامر وإميل حبيبي، وفخري

(١)سميرة عوض، باسم الزعبي ..يؤلمه غياب البحر الأخضر، جريدة الرأي، مرجع سابق، ص٢.

(٢)جريدة القدس العربي٢٠٠٩/١/٢٣.

قعوار، كما وأحب كتابات يوسف غيشان ومحمد طملية، وأحمد أبو خليل، أحمد حسن الزعبي".[١]

ويشير باسم الزعبي إلى واقعنا المليء بالمفارقات الساخرة بقوله: "أنت لا تحتاج إلى جهد كبير حتى تلتقط هذه المفارقات، إن المبالغة بالجدية تصبح مثيرة للسخرية، المصائب الكبيرة لا تنفك تطبع حياتنا، التجهم الشديد، المثالية المفرطة، التزمت، وهذه هي فلسفة الكتابة الساخرة، التي تتلخص في رصد المبالغة في الشيء، فمن لا يذكر قصة تشيخوف، موت موظف التي يصور فيها المبالغة في محاولة الاعتذار التي تقود إلى موت هذا الشخص"[٢]، لذا سخر الزعبي في كتاباته من المجتمع الذي يعيش فيه، سخر من الناس الصغار والكبار، من الموظف الصغير والوزير، من القائد الحزبي وعضو الحزب، من الناخب والنائب، من المثقف الانتهازي والكاتب المبتذل، من المرأة الثرثارة ذات الوعي الخرافي والرجولة الكاذبة.

وقد ضمنت مجموعاته القصصية عدداً كبيراً من المفارقات الساخرة، نذكر منها قصية "تسلية"[٣] وفيها نقد للخرافات التي تسيطر على أذهان كثير من الناس كالإيمان بالحظ وقراءة الكف والأبراج، تتحدث هذه عن قصة موظف جاد عصامي، كد سنين طويلة حتى أصبح محاسباً يشار إليه بالبنان، وفوق كل ذلك يحمل آراء سياسية جادة، يتحدث عن الحال، ويؤكد دائماً أن الفقراء أمثالة لا يمنحون الفرص، هذه الآراء الخطيرة لم يبثها إلا للثقات، لكن المفارقة أنه أصبح من قرّاء الحظ، فتارة يشرق وجهه ويتحول إلى نحلة في العمل وتارة يكتئب ويتصادم مع كل شخص، وقبل أن يفصل من العمل بسبب

(١)،سميرة عوض،جريدة الرأي الأردنية،ص٢.

(٢)جريدة القدس العربي٢٠٠٩/١/٢٣م.

(٣)باسم الزعبي،قصة تسلية، مجموعة دم الكاتب، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد،٢٠٠٣ ، ص٨-١١.

أخطائه المتكررة، التقى به أحد الأصدقاء وأكد له أنه قرأ في إحدى الصحف أن هناك عالماً أمريكيا أثبت صحة الأبراج وقراءة خطوط الكف والجبين وأن الحياة حظ. وغيرها الكثير من القصص التي تزخر بالسخرية ونقد الواقع.

مؤلفاته الأدبية وترجماته:

أولاَ: مؤلفاته الأدبية:

لباسم الزعبي مؤلفات مطبوعة متنوعة فلسفية وفكرية وقصة قصيرة وقصص أطفال ومقالات صحفية وترجمات، وقد توزعت كتاباته بشكل عام مابين القصة القصيرة والترجمة، حيث يرى أن القصة القصيرة يمكن أن تعبر عن نفسه وعن أفكاره أكثر مما لو قام بدراسة، وأحسبُ أن العرض الموجز لهذه المؤلفات يمكن أن يساعد في فهم شخصية الكاتب وتكوينه الثقافي:

١-قيم الحياة عند أبي حيان التوحيدي، أطروحة دكتوراه باللغة الروسية، حيث درس باسم الزعبي الفلسفة الإسلامية في روسيا وكانت أطروحة الدكتوراه في فلسفة الحياة عند أبي حيان، وحول هذه الأطروحة يقول: "وجدت أبا حيان موزعاً بين الإيمان والشك، ولم يكن لديه يقين في الحياة، وسيرة حياته تعكس هذا الواقع، فقد عبر من خلال إقدامه على إحراق كتبه عن رؤيته للا جدوى الحياة، وقد كنت في مرحلة ما قريبا من هذا الموقف من الحياة"[١]، هذه القيم التي تأثر بها الزعبي انعكست في العديد من القصص أمثال مجموعة "ورقة واحدة لا تكفي"[٢]، قصص(ورقة واحدة لا تكفي، أحزان، لا أحد، لعنة أب) ومن مجموعة "دم الكاتب"[٣]، قصص (كيمياء الروح، لعنة أب،ورقة واحدة لا تكفي)، فقد شغل باسم الزعبي موضوع الحياة والموت، جدوى الحياة ومعنى الخلود.

٢-الصحافة الشيوعية في الأردن وفلسطين حتى عام ١٩٨٢، أطروحة ماجستير باللغة الروسية.

---

(١) جريدة القدس العربي ٢٠٠٨/١/٢٣

(٢)باسم الزعبي، ورقة واحدة لا تكفي، مجموعة قصصية، ٢٠٠١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٣)باسم الزعبي، دم الكاتب، مجموعة قصصية،دار الكندي،إربد،٢٠٠٣م.

٣-الموت والزيتون، مجموعة قصصية، الطبعة الأولى عام ١٩٩٥، وزارة الثقافة، عمان، وهي مجموعة قصصية تتكون من ثماني عشرة قصة، تبدأ بقصة "الموت والزيتون" التي اختارها الكاتب لتكون عنواناً للمجموعة القصصية، وعنها يقول باسم الزعبي: "الموت والزيتون عنوان قصة ولدت في لحظة، وكتبت خلال مشوار الطريق إلى المعهد الذي يستغرق ساعة في مترو الأنفاق في روسيا، مازلنا نصنع الموت الذي يطوقنا من كل جانب معتقدين أننا نبني الحياة"[١]، وهي قصص تتناول هموم الإنسان الأردني وواقعه القومي والاجتماعي بفنية مبدعة، فالموت كان قدراً يلاحق شخصيات قصص الكاتب، إلا أن أبطال قصصه يصرون على بعث الحياة من ذاك الموت، قصص (الموت والزيتون، المهباش، ديك في وضح النهار، ثمن الحذاء ،صراع، متحف وحجر، وآلام وآمال والنون ودخول المدينة وجرأة). يقول فايز محمود في تقديمه لهذه المجموعة: "هذه القصص تبوح بالذي تحكيه أكثر مما تسرد الحكايات، فهي قصص حميمة الرؤية روحاً وواقعاً، والواقع الذي يرجع إليه القاص باسم الزعبي ليس متحولاً فحسب وإنما هو منخرط بسمات الغرائبية التي تنقذه سلفاً من مفهوم الواقع الأصم"[٢].

اقتحم باسم الزعبي لأول مرة الكتابة الساخرة من خلال القصة النقدية، حيث شارك فيلم "ديك الأحلام" المأخوذ من قصة "ديك في وضح النهار" من مجموعة الموت والزيتون في فلم تلفزيوني بمصر، من إخراج فيصل الزعبي وحاز على الجائزة الفضية في مهرجان القاهرة للأفلام التلفزيونية.

٤-ورقة واحدة لا تكفي، مجموعة قصصية، المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠٠٢، عمان، وهي مجموعة قصصية تتكون من أربع وعشرين قصة، في ١١٦صفحة من القطع المتوسط.

(١) جريدة القدس العربي٢٣-١-٢٠٠٨.

(٢)باسم الزعبي،الموت والزيتون،مصدر سابق،ص٧.

جاءت هذه المجموعة أنضج فكرياً من المجموعة الأولى "الموت والزيتون" من حيث القضايا المطروحة ومستوى البناء الفني واللغة، ولعلنا نلاحظ أن الاتجاه النقدي الذي غلب على هذه المجموعة واتخذ أشكالا متعدّدة منها القصة الواقعية الساخرة (شرف×شرف، سهرة، من مفكرة سكرتيرة معالي الوزير)والقصة الفنتازية الساخرة (صباح السيد يونس)والقصص الواقعية ذات المسحة الرومانسية (البيت ،الخروج من الضباب، غزالة، ثرثرة ،ولادة) وعن هذه المجموعة القصصية يقول باسم الزعبي: "هذه المجموعة جاءت استكمالاً للمجموعة الأولى "الموت والزيتون" غير أن رؤيتي لها تطورت وتغيرت، بل أن نظرتي للحياة وبشكل عام قد حصل فيها تغيير، لا أدري خلفية شعوري بعبثية الوجود، عبثية الحياة، لكن هذا ما وجدت نفسي أعبر عنه في عدد من قصص المجموعة الثانية وهي ورقة واحدة لا تكفي، قد يلحظ القارئ الاختلاف بين المجموعة وعنوان القصة، كانت القصة تحمل عنوان ورقة واحدة لا تكفي وهي النتيجة التي وصلت إليها بطلة القصة عن الحياة، فالحياة بالنسبة لها كانت تشبه أوراق الروزمانة، أيامها تتشابه، لذلك كان يكفيها أن تعيش يوماً واحداً، لكن موقفي أنا كان مغايراً، إذ أنني بوعيي الذاتي أردت التأكيد على مخالفة رأي بطلة قصتي، ذاك الرأي الذي لم يكن بمقدوري أن ألزم به قصتي، هذه القضية كانت تتنازع مواقف العديد من شخصيات قصصي: لا أحد، فيروز لا تغني لغزوان المحيسن، أحزان،حادث عرضي،لعنة أب، حارس المدرسة، ورق، العقد، الغنيمة"[1].

وقد حضيت هذه المجموعة القصصية بمكانة متميزة دفعت الكثيرين للاهتمام بها والتعليق عليها، ومن ذلك ما كتبه محمد عبدالله القواسمة في جريدة الدستور "ورقة واحدة لاتكفي" ترسم فضاءات سردية متنوعة، تتشابك فيها العناصر بلغة موحية، وتتجلى فيها المقدرة على تحويل التراث الشعبي إلى قصص وحكايات فنية هادفة، واستخدام الغرائبية المشدودة

(١)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب،عمان، ٢٠٠٩/٧/٤.

الواقع المعايش إنها قصص تنتصر للإنسان على الظلم والقهر، وتساند المرأة في تحررها من قيود المجتمع والعادات البالية"[١]

٥- "دم الكاتب" مجموعة قصصية، دار الكندي، إربد، ٢٠٠٣، وتتكون من سبع وعشرين قصة في ١٣٨صفحة من القطع المتوسط، تنزع هذه المجموعة نحو الرومانسية في بعض القصص (دم الكاتب وأسماء وعري وكيمياء الروح ورغيف وديدان ونخلة وعندما تزهر أوراق الرسائل والنون وحلم على جناح الغيم وروعة) وتعزز اتجاه الواقعية النقدية، قصص(شقائق النعمان، ذهب أيلول، و الصورة والأصل ، انتحار برسم الحياة، على هامش قصة صديق، أوجاع) وعن هذه المجموعة القصصية يقول باسم الزعبي : "ما أقره أنني تخليت على سبيل المثال عن القصص الذهنية، و الرومانسية، وعن فلسفة عبثية الوجود، وفي الوقت نفسه، تعزز لدي الاتجاه الواقعي ،مع نزعة داخلية نحو الأسلوب الساخر"[٢].

٦-"تقاسيم المدينة المتعبة" مجموعة قصصية، وزارة الثقافة ، ٢٠٠٧، عمان، وتتكون من اثنتين وثلاثين قصة، منها القصة القصيرة جداً، والمجموعة تتكون من ١٥٢ صفحة وهي من أكثر المجموعات قرباً إلى باسم الزعبي، خاضت في الموضوع السياسي بشكل مباشر، وكذلك في الموضوع الاجتماعي، قصص(رواية الفصول الأربعة، المنزل المطل على عبدون)، تنحو هذه المجموعة نحو الواقعية النقدية بأسلوب الحكاية الشعبية، قصص(الثور الأسود رأس البصل، تضحية)، وفي هذه المجموعة يقول باسم الزعبي: "أردت أن أشير من خلالها إلى واقع المدينة الأردنية المتعبة، واقع حياة شخوصها، فالشخصيات في هذه المجموعة أغلبها مدنية، تعيش حياة المدينة وتعاني همومها"[٣]. ومن الملاحظ، أن شخصيات القصص في هذه المجموعة تمثل شريحتين أساسيتين من المجتمع المدني: المجموعة الأولى تمثل الطبقة

(١)محمد عبدالله القوا سمة، قراءة في مجموعة ورق واحدة لا تكفي لباسم الزعبي، جريدة الدستور،٢٠٠٢/٢/١٨.العدد١٢٧٧٦،ص٨ .

(٢)مقابلة شخصية أجراها لباحث مع الكاتب،عمان،٢٠٠٩/٧/٤.

(٣)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ، عمان٢٠٠٩/٧/٤.

الكادحة، والثانية تمثل الطبقة المتنفذة هذه الشرائح المختلفة من المجتمع ساعد في إبراز المبالغة والسخرية السوداء من الواقع، وفي هذه المجموعة تقول هيا صالح في جريدة الرأي الأردنية: "مدينة الزعبي المتعبة كما تبدو في مجموعته لا تشير إلى أماكن أو أشخاص أو علاقات أو أفراد بعينها، إنها الخليط الناتج عن كل ذلك والتركيبة المعقدة التي تروم تشريح الواقع المتصارع والثري في آن، وجس مواضع الألم التي تقضّ مضجع الحياة، وتحولها جحيماً في عالم أحادي القطب، تسوده الحروب ومفرداتها التي تتجلى على غير مستوى"[1].

لذا استطاع باسم الزعبي في هذه المجموعة صوغ مأساة مجتمع بأسلوب فريد ومتميز، بعيداً عن المباشرة، من خلال استخدام أساليب مختلفة استقى مادتها من خلال وقائع الحياة اليومية التي تعيشها مدينة باسم الزعبي، بما فيها تناقض ومفارقة، وكذلك استطاع باسم الزعبي توظيف الموروث الشعبي والأسطوري في هذه المجموعة، وبأسلوب جميل.

٧-الدولاب، مجموعة قصصية، وزارة الثقافة، عمان،٢٠٠٩،وتتكون من ست قصص(فانوس رمضان، الدولاب، موسم المطر، إبداع ،ذكاء الكلب هجرس، طائر الورق).

٨-الحصان العربي ،مجموعة قصصية للأطفال، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨، وتتكون من ست قصص(الحصان العربي، روعة، مغامرة، بيت العيلة، شجرة الصنوبر، الديك الفصيح).

٩-كتاب المكان ،إعداد وتحرير وتقديم وزارة الثقافة ،١٩٩٤م.

١٠-عدد من القصص والمقالات والترجمات والدراسات المنشورة في الصحف الأردنية والعربية.

(١)هيا صالح، تقاسيم المدينة المتعبة لباسم الزعبي..سخرية لاذعة من واقع فانتازي، جريدة الرأي، الرأي الثقافي، الجمعة٢٠٠٨/٣/١٤، العدد١٣٦٧٣. ص٦.

١١- عدد من قصص الأطفال المنشورة في مجلات الأطفال في الأردن.

١٢-الإشراف على إعداد وتحرير عدد من الكتب(الشعر، والرواية والقصة، والمسرح والدراما، وأدب مسرح الأطفال والموسيقى، والفن التشكيلي في الأردن في ثمانية كتب).

ثانياَ: الترجمات:

لم يكن باسم الزعبي مبدعاَ فحسب، بل ترجم إلى العربية العديد من القصص القصيرة المختارة من الأدبين الروسي والأفريقي، وخاصة القصة الساخرة التي أثرت المكتبة العربية وعرفت القارئ العربي إلى نماذج متميزة من الآداب العالمية، ويتميز باسم الزعبي بنكهة خاصة في كتاباته السردية وترجماته عن الروسية، إذ بدأ حياته بالانشغال بالدراسة الأكاديمية الفلسفية، استطاع بعدها أن يتجه نحو الكتابة الإبداعية والترجمة.

ومن هؤلاء الكتاب المشهورين الذين ترجم لهم باسم الزعبي: أركادي أفير تشنكو، وفيودور دوستويفسكي، وسالتيكوف شيدرين، وفلاديمير نابو كوف، وكوبرين، أما الكاتب الروسي المشهور "أنطون تشيخوف" فلم يكن مجهولاَ لدى القارئ العربي، إلا أن باسم الزعبي ترجم له نصوصاَ جديدة قيمة وقصص قصيرة ساخرة. "وقد تميز أسلوب الكاتب الروسي أنطون تشيخوف بدقة التحليل النفسي للشخصية، وهو فنان النص داخل النص، صاحب مدرسة في القصة القصيرة، مزج بين السخرية والشعرية، ترك أثراَ هائلاَ على تطور القصة الروسية والعالمية، صاحب نظرية أن القصة مثل جبل الجليد، والبطل الرئيس في قصص أنطون تشيخوف الإنسان العادي البسيط بهمومه اليومية[1]". هذا ما حقق النجاح لقصصه والانتشار على مستوى العالم ومن ترجماته :

١-رقصة العاج، قصص أفريقية مترجمة، دار الهلال للترجمة إربد،٢٠٠٠ وهي عبارة عن قصص مختارة من الأدب الأفريقي المعاصر، يقول باسم الزعبي فيها: "لفتت تلك القصص انتباهي من حيث مستوى تطور القصة القصيرة في أفريقيا، وقد كانت القصص تمثل كتابات من دول مختلفة، وهي في مجملها تعبر عن واقع أفريقي خاص، وقد كتبت بأساليب ولغة جميلية[1].

(١)باسم الزعبي شخصية مشرقة، مجموعة قصصية مترجمة من الأدب الروسي، دار ورد، عمان، ٢٠٠٥ ، ص١١.

(٢)نفسه، ص٨.

٢- شخصية مشرقة، مجموعة قصصية مترجمة من الأدب الروسي، دار ورد، عمان، ٢٠٠٥وهي مجموعة قصصية مترجمة من الأدب الروسي تشتمل على ترجمة منتقاة لكتاب روس من أمثال أنطون تشيخوف وتيفي وشيدرين وكوبرين وأركادي أفير تشنكو، وهؤلاء الكتاب من أبرز الكتاب الروس في مجال القصة ومن فرسان القصة الساخرة على المستوى العالمي بلا منازع(١).

لقد تأثر باسم الزعبي بالكاتب الروسي أنطون تشيخوف والذي يعده أستاذ القصة الساخرة على المستوى العالمي بلا منازع، وبدا هذا التأثر واضحاً في أغلب مجموعاته القصصية، وتتميز قصص أنطون تشيخوف بتنوعها الفني بصور شخصيات المدينة، وهو خير من قدم السخرية المعتمدة على المفارقة في المواقف، والتي نلحظها أيضاً في مجموعات الزعبي وخاصة في مجموعة "تقاسيم المدينة المتعبة"(٢).

ويشير الزعبي في مقدمته لهذه المجموعة إلى المواضيع والأفكار التي احتوتها هذه المجموعة لتشيخوف حيث يقول: "نجد شخصية المرأة التي ترى في عمل زوجها الكاتب سوى ماكينة نقود قصة "شخصية مشرقة" والمرأة البالية التي تؤمن بمقتدرات بالية تكون سبباً في دمار حياتها "شمبانيا" والكاتب المدعي (الكاتب المسرحي) والغباء الذي يفضح المستور "الحزمة" وفقدان الصبر الذي يفقد الإنسان حسن التصرف "وجع أسنان" والمتعة المادية التي تفقد وتذهب السعادة الروحية "رغم أن اللقاء"(٣).

أما الكاتب الآخر هي "تيفي"، وهي كاتبة غير معروفة لدى القارئ العربي، تتميز بأسلوبها الساخر مع ميلها إلى الرومانسية أحيانا، ترجم لها

(١)باسم الزعبي ،شخصية مشرقة،مصدر سابق،ص٨.

(٢)المصدر نفسه،ص٩.

(٣)نفسه،ص٩.

باسم الزعبي العديد من القصص منها (خروف غير حي، وعندما يصفر السلطعون والفانتازيا و يافدوفا وزمن الكلاب والمرأة الجنية)[١].

أما الكاتب "كوبرين" فقد ترجم له باسم الزعبي نماذج من الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ويبقى الكاتب أركادي أفير تشنكو، والذي ترجم له باسم الزعبي نماذج مختلفة من الواقع الروسي، حيث يعتبره باسم الزعبي من الكتاب الساخرين المتميزين، فجريمتا السيد فوبياغين تتحدث عن فساد القضاء، وقصة "الشاعر" تتحدث عن مدّعي الإبداع، و"ثقيل الظل" الإنسان القادر على تنغيص حياة الآخرين، و"ذات مساء" و"عيد الفصح" لدى عائلة كونديكوف عن شقاوة الأطفال[٢].

٣- (ذات مساء)، مجموعة مترجمة للكاتب الروسي، أركادي أفير تشنكو، أمانة عمان،٢٠٠٩، وهي مجموعة مختارة من قصصه الساخرة من مجموعاته المختلفة.

٤-يتساقط الثلج هادئاً، مختارات مترجمة من اللغة الروسية المعاصرة، دار ورد،عمان ٢٠٠٩،وهي تمثل أجيالا متعددة من الكتاب والرواد الذين أسهموا في نشأة هذا الفن في روسيا وفي العالم مروراً بمرحلة الاتحاد السوفييتي والمهجر، وانتهاء بالعقدين الأخيرين[٢]، وقد ترجم باسم الزعبي لهذه المرحلة عدّة كتاب منهم، دوستيفسكي وتشيخوف وسالتيكوف شيدرين، ونابوكوف وفاضل اسكندر وشوكشين وأفير تشنكو وتيفي.

(١)باسم الزعبي،شخصية مشرقة، مصدر سابق،ص١٠.

(٢)المصدر نفسه،ص٩.

(٢)يتساقط الثلج هادئاً، مختارات من القصة الروسية المعاصرة، ط١،دار ورد، ٢٠٠٩،عمان.

ثانيا: باسم الزعبي وفن القصة القصيرة.

١-مقاربة فنية وتاريخية

تتميز القصة القصيرة عن غيرها من الأجناس الأدبية كالرواية مثلا بأنها نوع سردي قصير مقارنة مع الرواية والملحمة، فتوافق القصة القصيرة الرواية في تعدد أنواعها: بوليسية، اجتماعية، أسطورية، تاريخية، عاطفية، وتتميز الأقصوصة بقصرها إذ يمكن قراءتها في جلسة واحدة، وبحبكتها التي تبدأ غالبا في وسط الحدث، وبعناصرها القليلة، وشخصياتها المحدودة[١] فالنقاد لم يهتدوا إلى تفريق صارم بين القصة القصيرة والرواية "ولم يتحدّد بعد بدقّة لا في أذهان القرّاء ولا حتى النقاد الفصل بين المصطلحين ولا نزال حتى اليوم نطلق لفظ قصّة على الرواية"[٢]. فالقصة القصيرة بالمعنى الحديث ليست خبراً أو مجموعة أخبار بل "هي حدث ينشأ بالضرورة من موقف معين ويتطور بالضرورة إلى نقطة معينة يكتمل عندها معنا الحدث"[٣].

اختلف النقاد في تعريف القصة القصيرة، لذلك من الصعب تقديم تعريف دقيق وجامع للقصة؛ بسبب تنوع مضامينها وأغراضها وجمالياتها، ويعرفها "فرانك أوكونور" في كتابه الصوت المنفرد" : "ليست القصة القصيرة قصيرة لأنها صغيرة الحجم، وإنما هي كذلك لأنها عولجت علاجاً خاصاً، وهو أنها تناولت موضوعها على أساس رأسي لا أفقي، وفجرت طاقات الموقف الواحد بالتركيز على نقاط التحول فيه، فالذي يقف على منحنى الطريق يتاح له أن يرى الطريق كلّه، والذي يفجر نقاط التحول في الموقف يتاح له أن يجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل في لحظة واحدة ماثلة للعيان"[٤]، ويرى سليمان

(١)لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط١،مكتبة لبنان ، بيروت،٢٠٠٢ ،ص٢٨-٢٦.
(٢)الطاهر مكي، القصة القصيرة، دراسات ومختارات، مكتبة الأنجلو المصرية١٩٧٣، ص١١٨.
(٣)يوسف الشاروني،دراسات في القصة القصيرة،ط١،دمشق،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،١٩٨٩،ص٥٠.
(٤)فرانك أوكونور، الصوت المنفرد، ترجمة محمود الربيعي، الهيئة العامة المصرية، القاهرة،١٩٦٩،ص١٤.

الأزرعي أن فرانك أوكونور بتعريفه للقصة يبيّن أهم الخصائص التي تميز القصة القصيرة وهو أسلوب المعالجة، وليس المقصود عدد الكلمات، إنما يوضح الأساس الذي يبنى عليه تصوره لما يمكن أن يسميه خصائص القصة القصيرة، يولع بالحاضر ويرتفع عنه في الوقت ذاته، وذلك على نحو ما يجعله يرى الماضي والحاضر متزامنين، وواضحين بالقدر ذاته[١].

فهناك علاقة بين مفهوم القصة القصيرة وأنماط السرد الأخرى، كالرواية على سبيل المثال، غير أن هناك اتجاه آخر يرى أن القصة تستقل استقلالاً تاماً عن الرواية فالقصة القصيرة بتقنياتها الحديثة وأسسها وخصائصها المميزة وسماتها الفنية لم يكن لها في مطلع القرن العشرين شأن يذكر على الإطلاق[٢]. فهما "شكلان أحدهما أجنبي عن الآخر، بصورة عميقة وأنهما لا يتطوران في أدب معين"[٣].

فالقصة القصيرة أحد الأجناس الأدبية إلى جانب الشعر والرواية والمسرحية، ويرى باسم الزعبي أن أهم ما يميز القصة اعتمادها على هندسة بناء دقيقة ومحكمة وفي ذلك يقول إن أهم ما يميزها "كثافة التعبير فهي تعتني جدا بكم الكلام فلا يوجد ولا يجوز أن يوجد فيها فائض لغوي، ولغتها معبرة سواء على المستوى الجمالي أم على مستوى المعنى وهي لا تعتني بالتفاصيل الكثيرة كما هو حاصل في الرواية ولا تشتت نفسها بطرح مواضيع متعددة في إطار القصة الواحدة ،تعتمد على هندسة بناء دقيق ومحكمة توفر للقارئ أو المتلقي متعة التلقي".[٤] ويرى الزعبي أن الفكرة أو الأفكار المضمنة في العمل تحفز القارئ على التفكير والبحث، وهذا الجانب الأخير يعتبر أحد وظائف القصة وهو تحفيز ذهن القارئ ومشاركته في عملية استكمال بناء

(١)سليمان الأزرعي،دراسات في القصة والرواية الأردنية،ط١،دار ابن رشد،عمان ١٩٨٥،ص٣٠.

(٢)سيد حامد النساج،تطور فن القصة في مصر،ط٤،مكتبة غريب،١٩٩٠،ص٣١.

(٣)عبد الرحيم الكردي،البنية السردية للقصة القصيرة،مرجع سابق،ص٦٥.

(٤)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان١٠-٧-٢٠٠٩.

القصة، وبالتالي دفعه للتفكير المبدع الخلاق في حل المعضلات التي تطرحها القصص وتسهم في تطوير ذائقته الجمالية.

فالبناء الفني للقصة يتميز من البناء الفني في الرواية، فلكل منهما تقنيته وطبيعته وإن اتفقا في العناصر، فتقنين القصة، لا يعني بترها بل يعني نوعاً وشكلاً مختلفاً متميزاً عن غيره.

والقصة في رحلتا عبر القرون كانت تختلط فيها الحقائق الإنسانية بالمبالغات التي لا حدود لها، وهي قديمة قدم أي شعب، وفي ذلك الزمن الممعن في القدم، كان المستمعون البدائيون يجلسون حول النار يستدفئون شتاء أو يسمرون في الصحراء حينا، والقصاص يروي لهم بصوته الرتيب حكاية من الحكايات ويسرد أحداثها سرداً زمنياً باستطراد كبير(١).

ولهذا، وإن كانت القصة فن حديث النشأة، فلم تنشأ كما هي في الوقت الحاضر بل أثرت فيها ثقافات عديدة و"أخذناها عن الآداب الأوروبية، وتأثرنا في مذاهبها وأصولها الفنية بتلك الآداب"(٢). "وكان أول من فعل ذلك اللبنانيون لسبقهم إلى مخالطة الأوربيين والأخذ عنهم، كفرنسيس مراش الحلبي المتوفى سنة١٨٧٢،وسليم البستاني المتوفى سنة ١٨٨٤،وجرجي زيدان المتوفى سنة١٩١٤، ثم عالجها الكتاب المصريون بعد ذلك علاج المحاكاة، لما قرأوا من تلك القصص"(٣).

أما القصة في أدبنا العربي فلها جذور ممتدة عبر التاريخ، وخير مثال على ذلك هو قصة سيدنا يوسف علية السلام التي وردت في القرآن الكريم.(٤) "فقد كان للعرب قصصهم التي يسمرون بها ولكن لم يكن لها قيمة

(١)محمد عطيات،القصة الطويلة في الأدب الأردني، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٥،ص٢٩.

(٢)محمد غنيمي هلال،النقد الأدبي الحديث،دار العودة ،بيروت،١٩٨٧،ص٤٩٢.

(٣)أحمد حسن الزيّات، تاريخ الأدب العربي، ط٢،دار الحكمة، دمشق،بيروت،١٩٨٠ ،ص٤٠٤.

(٤)القرآن الكريم،سورة يوسف.

فنية، ثم نشأ عن العرب قصص أدبية ولكنها ليست فنية، وهذه القصص نوعان، مترجمة وعربية أصيلة، نذكر من النوع الأول "كليلة ودمنة" مجموعة قصص على لسان الحيوان، وهو أول كتاب مترجم عرفته العرب، و"ألف ليلة وليلة" مجموعة من القصص عرفت العرب أصلها المترجم إلى قصة فارسية تدعى "شهرزاد"، ومن النوع الثاني نعرف ثلاثة كتب هي، المقامات، ورسالة الغفران، وحي بن يقضان"[١].

أما القصة العربية في الوقت الحديث، فقد مرت بمراحل متعدّدة، وأطوار متعاقبة، فتأثرت بالأجناس القصصية المأثورة في أدبنا العربي القديم وبالآداب الغربية في العصر الحديث، ففي أدبنا القديم "بدأنا هذه الأطوار متأثرين بجنس المقامة، ثم بألف ليلة وليلة وبالخرافات أو القصص على لسان الحيوان وأوضح مثال للتأثر بفن المقامة هو حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي وفيه امتزاج تأثير المقامة بالتأثير الغربي"[٢]، بقيت القصة في عصرنا الحديث متأثرة بالآداب الأوروبية حتى الطور الثاني من ميلاد الأدب القصصي في العصر الحديث، في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين "نستخلص قليلا من الاعتماد على التراث العربي القديم، وبدأ الوعي الفني ينمي جنس القصة من موردها الناضج في الآداب الأخرى، وقد بدا هذا الطور طبيعياً بتعريب موضوعات القصص الغربية وتكييفها لتطابق الميول الشعبية، أو لتساير وعي جمهور المثقفين"[٣]بعدها انتشرت القصة في سائر البلدان العربية ثم ظهرت الدراسات الكثيرة عن فن القصة.

والقصة القصيرة في الأردن حديثة العهد، لم تختلف عن مثيلاتها في البلاد العربية بل أفادت من تجارب الكتاب فيها، وقد ظهرت في بدايات القرن العشرين حيث "نشأت في ظل ازدهار الرومانسية التي هدفت إلى إعلاء كلمة

(١)محمود السمرة،في النقد الأدبي،ط١،الدار المتحدة للنشر،١٩٧٤،ص١٣-١٤.

(٢)محمد غنيمي هلال،في النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق،ص٥٣٣.

(٣)المرجع السابق،ص٥٣٥.

الفرد والتأكيد على حريّته على تفاوت نسبي من حيث النشأة والتطور تبعاً لنشأة وتطور الطبقة البرجوازية الحاضنة الحقيقية للرومانسية"[١]. فنجد أن الكثير من كتاب القصة قد استمدوا معظم مكوناتهم الفكرية من ثقافات وافدة،مثل "الإنجليزية ممثلة في عبد الحميد ياسين والفرنسية ممثلة في سيف الدين الإيراني وغيرها من اللغات التي ثقفها الكتاب من أمثال عيسى الناعوري، وحسني فريز، وروكس العزيزي، ومحمد صبحي أبو غنيمة وكانت هذه الثقافات وسيلة للتعبير الفني، ولكن المضمون تنسم من الواقع ملامحه واتجاهاته"[٢].وهذا ليس غريبا لأن بلاد الشام تعرضت لأنواع متعدّدة من الاستعمار، أثر على النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بشكل عام، وفي ذلك يقول الدكتور هاشم ياغي: "شهدت سوريا عامة والقسم الجنوبي منها خاصة، وهو الذي آل فيما بعد إلى شرق الأردن وفلسطين ألوانا ثلاثة من الاستعمار في الفترة التي نقف عندها، وهذه الألوان هي الاستعمار التركي والإنكليزي والأوروبي الذي تداخل مع الاستعمار التركي منذ وقت ليس بالقصير"[٣].

ولتتبع نشأة القصة الحديثة في الأردن وفلسطين، نجدها "لم تنشأ إلا في النهضة العربية الحديثة على أيدي جماعة من البرجوازية الناشئة التي عرفتها فلسطين أولا من القرن التاسع عشر تقريبا"[٤]. ونشأة البرجوازية كانت

(١)حسن عليان وآخرون،القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية،ط١،دار أزمنة للنشر والتوزيع،١٩٩٤م،عمان الأردن،ص٢٢.

(٢)المرجع نفسه،ص٢٢.

(٣)هاشم ياغي،القصة القصيرة في فلسطين والأردن،(١٨٥٠-١٩٦٥)،ط١٩٨١،٢،ص١٣.

(٤)المرجع نفسه،ص١٢٥.

متأثرة بعوامل من الدول الغربية جاءت إلى منطقة الشرق العربي. و في قراءتنا للتراث النقدي القصصي في الأردن مابين عام ١٩٤٨م حتى ١٩٦٧م "نجد جيلين متمايزين يتعاوران التراث هما، أولا جيل الرّواد الذي تخطى أخطاء كتاب القصة القصيرة ومضوا في هذا الفن إلى مدى بعيد من النضج والالتحام بالواقع الاجتماعي والسياسي"[١]،أما الجيل الثاني في هذه المرحلة "جيل الشباب فقد كانت هزيمة حزيران بداية مرحلة جديدة لها آثارها المادية والاجتماعية والنفسية أعطت جيل الشباب من الكتاب في أواخر الستينيّات والسبعينيات دفعة قوية، وتصوراً جديداً ومواقف جديدة، ورؤية جديدة لأزمة الصراع العربي اليهودي"[٢].

ويقول الدكتور سمير قطامي من خلال دراسته المتأنية لهذه المرحلة "أن معظم الإنتاج يمتح من المعين الاجتماعي، بما فيه من مآس وآلام ويعالج هموم الإنسان السياسية والاقتصادية والنفسية أحيانا بهدوء، وأحيانا بعنف وحدة ومبالغة، ولا غرو في ذلك، فالمرحلة الخاضعة للدراسة من أكثر المراحل صراعاً ومعاناة، والبيئة المعنية من أخصب البيئات مادة، بما اصطرع فيها من تيارات سياسية وفكرية، وبمواجهة أهلها لأعتى الهجمات البربرية في التاريخ، وأخطر الأعداء الذين زوروا التاريخ، وقلبوا الحقائق، واستولوا على الأرض وطردوا أهلها منها"[٣].وقد لمعت في هذه الفترة أسماء عديدة لكتاب ساهموا بشكل كبير في تأسيس حركة أدبية كبيرة، نذكر منهم "محمد سعيد الجنيدي، وأديب عباسي(١٩٠٤-١٩٩٨)، ويوسف العظم وحسني فريز (١٩٠٥-١٩٩٢)،وتيسير ظبيان (١٩٠٣-١٩٧٨)، ويعقوب العودات"[٤].

(١)حسن عليان وآخرون،القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية،ص٢٨.

(٢)المرجع نفسه،ص١٢٥.

(٣)سمير قطامي،الحركة الأدبية في الأردن،١٩٤٨-١٩٦٧م،ط١،منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي،١٩٨٩،ص١٤٦.

(٤)سلطان المعاني ،دراسة بعنوان ،القصة القصيرة في شرقي الأردن منذ عام١٩٦٧م،مجلة راية مؤتة،العدد الأول ،١٩٩٣،ص٨٤.

أما عن القصة الأردنية بعد عام ١٩٦٧م فقد نشطت وتطورت، حيث ظهر جيل من الشباب انفتح على الثقافات المختلفة وأصبح أكثر ارتباطاً بقضايا الأمة "ومن أهم الأسباب الفاعلة هزيمة حزيران، الرجّة الكبرى لفكر الأمة، وما تبعها من مخاضات فكرية وسياسية عملت على ترسيخ مسألة التزام الأديب بقضايا الأمة وبمنعطفاتها القومية على مستوى الساحة العربية في الصحف والمجلات والندوات الأدبية والسياسية وفي اللقاءات الفردية والجماعية"(١)، ويرى الدكتور نبيل حداد "أن الحركة القصصية في الأردن لم يقدر لها النهوض على قوامين ثابتين: القصة والرواية إلا في نهاية الستينات"(٢)، فجاءت القصّة كثورة على القصّة التقليديّة، لأنها لم تعد قادرة على استيعاب المتغيرات التي أحدثتها الهزيمة، مثل خلخلة القيم والتوتر والقلق وفقدان الثقة بالسلطة، والرؤية التشاؤميّة للواقع، ممّا أدى إلى ظهور فن قصصي جديد يتميز بملامح جديدة لعلّ من أهمها التمرّد على القواعد التقليديّة لبناء القصّة، والخروج على حركة الزمن في تنظيم أحداث القصة، وتوظيف تقنيات حديثة مثل الحلم والهذيان والاسترجاع والتداعي والمونولوج الداخلي، وعدم التقيّد بالصياغة اللغوية التقليديّة، فجاءت القصّة إيحائية تصويريّة شاعريّة تزدحم بالانزياحات اللغويّة والرمز، وجاءت شخصيّاتها مجرّد أرقام لا تحمل أسماء صريحة تحولت إلى ضمائر مأزومة، ونظرتها للواقع غير مألوفة، فهي مجرّد وسيلة للتمييز بين مستويات الوعي واللاوعي المختلفة بسبب انطواء الشخصيّة على ذاتها.

وقد بدأ هؤلاء الكتاب بنشر إنتاجهم في مجلة الأفق الجديد "فقطعت القصة بفضل جهودهم شوطاً لا بأس فيه. فمن خلال كتاباتهم أخذت

(١) حسن عليان وآخرون،القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية،ص٣١.

(٢)نبيل حداد،الرواية في الأردن،وزارة الثقافة،عمان،٢٠٠٣،ص١٣.

اتجاهات في طريقة المعالجة القصصية كالاتجاه الواقعي الذي اهتم بتصوير قضايا المجتمع وآلام الناس وآمالهم[١].

أما عن ملامح القصة في الأردن "فإننا نجد أن القصة مرتبطة ارتباطاً قوياً بالواقع السياسي والاجتماعي، فقد صورت القضية الفلسطينية، والوطن المسلوب، والشخصية التي تحس بالتشرد و الإهانة وفقدان الوطن، وصورت الإنسان المشرد بلا هوية، وصورت أيضا ملامح الصراع العربي الإسرائيلي والكفاح والرفض ضد العدوان الظالم"[٢].

لقد صورت القصة القصيرة في الأردن الهم الوطني والمرأة والمجتمع الريفي والبادية والمدينة، وقضايا اجتماعية من فقر وجوع وحرمان ومرض، وكذلك صورت قضايا سياسية واقتصادية وفلسفية، وشقت طريقه في الإبداع محلياً وعربياً وعالمياً، حيث ترجمت الكثير من القصص إلى لغات مختلفة لما تميزت به من مواضيع وأفكار ورؤى جديدة، واستخدامها التقنيات الحديثة الكاملة للقصة القصيرة.

(٣)أمينة العدوان، دراسات في الأدب الأردني المعاصر، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ١٩٧٦م، ص٢٧.

(١)علي المومني،فن القصة القصيرة عند رجاء أبي غزالة،دار الينابيع للنشر والتوزيع ط١، عمان،٢٠٠١،ص,٢٣

٢- باسم الزعبي و مفهوم القصة القصيرة:

يعد فن القصة القصيرة من أكثر الفنون عمقاً وتميزاً، فقد أصبح لهذا الفن بعد حضاري يتماشى مع ضرورات الحياة الحديثة، هذا النوع الأدبي السهل الممتنع، ليس سهلا كما يراه الكثير ممن حاولوا الولوج إلى عالمه، ظانين أن القصة مجرد صفحة أو صفحات تكتظ بالجمل والمفردات، ولكن حقيقة الأمر أن القصة هي وليدة لحضتها وهذا ما يؤكده باسم الزعبي بقوله: "تأتي دون سابق إنذار، ويمكنك أن تؤكد على دور التفكير والتخطيط بمعنى عدم نفيه بالمطلق، ويمكنك أن تتحدث عن الاحتراف والصنعة وقد تكون كل ذلك، فلا موعد لكتابة القصة، فإذا حلت لحظة الولادة تكون استكمالاً لفترة الحمل"[١]، فالزعبي يرى أن لحظة الولادة هي الولادة الحقيقية للقصة، الشكل والمضمون، وهي الصورة التي يتعرف عليها المتلقي، ويبين أن القصة قد تفارق الحمل ولا تحمل جيناته، ولا يعلم ذلك سوى الكاتب نفسه، وأحياناً حتى الكاتب لا يستطيع إدراك كنه العملية.

ينفرد هذا النوع الأدبي عن غيره من الآداب الأخرى كالشعر والرواية "بأنه يتوخى-وهذا المفروض-الوصول إلى لحظة الإدهاش، وذلك من خلال توظيفه لعناصره ومكوناته بشكل يجعل النص متجانساً ومنسجماً مع نفسه، وابتغاء لتوفير هذه اللحظة يجب أن يتوفر الانسجام في مكونات وعناصر النص، والابتعاد ما أمكن عن الإطالة والإطناب والتكرار والاعتماد على تكثيف اللغة وتصاعد الحدث"[٢]، فالقصة القصيرة تتمثل في لحظة معينة "بالإمساك والقبض عليها وإخفائها في باطن الكف، ومن ثم تصويرها في سرد عادي أو حوار أو مونولوج أو لوحة"[٣].

(١)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ، عمان٢٠٠٩/٧/٤.

(٢)سامية عطعوط، عنوان الدراسة، نص مغلق ولحظة إدهاش، مجلة أفكار، العدد٨٨، ١٩٨٦، ص١٤٦.

(٣)نفسه،ص١٤٦.

فمن وظائف الأدب حمل المتلقي دهشة، فكل قارئ يأخذ من النص بقدر تفاعله وانسجامه وفهمه "يجب أن يحمل الفن دهشة للقارئ تعتمد على مستويات التلقي، والتلقي بالأساس عمل طوعي من قبل المتلقي، كما وتعتمد هذه الدهشة على القيمة المعرفية للأدب، والتسلية الممتعة له، فإذا لم يكن للأدب جاذباً وممتعاً ومفيداً فما جدواه".[١]

تنوعت وظائف الأدب وتطورت عبر التاريخ، وتطور وعي الكاتب لهذه الوظيفة، حيث نجد في عصرنا الحالي تيارين مختلفين في وظيفة الأدب، يسمى التيار الأول تيار المنظرين الذين يرفضون أي وظيفة للفن، أما أنصار التيار الثاني فلا يعترفون بالفن خارج الوظيفة، وظهرت مصطلحات تعبر عن ذلك، الفن الملتزم، والفن من أجل الفن.

فإذا أردنا أن نقف عند مصطلح الالتزام، فمن الضروري أن نتعرف على مفهوم هذا المصطلح في بعض المعاجم، ففي معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، يعرف الالتزام "باعتبار الكاتب فنه لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال، والأديب الملتزم هو المقدر لمسؤوليّته إزاء قضايا الإنسان والمجتمع في عصره."[٢]

ويؤكد شكري الماضي على أن كلاً من الالتزام ومفهوم الواقعية ينبعان من فلسفة الفن، ويتمثل هذا المعنى في أن الالتزام وتصويره الواقع هو أمر يرتقي بالعمل الأدبي من الناحية الفنية، وفي ذلك يقول: "كلما انغرس الأديب بتصوير العلاقات الاجتماعية من الداخل حقق لأدبه ارتقاءً وسمواً فنياً

(١)علي"محمد علي"عمر خصاونة، التطور الفني في قصص هاشم غرايبة القصيرة رسالة ماجستير غير منشورة.جامعة آل البيت،٢٠٠٤.

(٢)مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت،ط١،١٩٨٤،ص٨٤.

وبالتالي فإنَّ تصوير الهامشي والسطحي أمر يهبط بالأدب والفن، وأحسب أن مفهوم الالتزام بهذا المعنى يلقي بأضواء ساطعة على مسألتي التشاؤم والتفاعل كما يوضح أثر معنى الانعكاس الطبيعي والانعكاس الواقعي".[1]

وباسم الزعبي واحد من أنصار الاتجاه الذي يؤكد على وجود وظيفة للفن، مع تأكيده على أهمية الإمتاع فيه. فيقول "رينيه ويليك وأوستن وارين" حول فائدة الأدب ومتعته: "إذا أحسن الأديب استعمال الفن فإن فنه سيكون عذباً ومفيداً، لأنه حين يؤدي العمل الأدبي وظيفته تأدية ناجحة فإن نغمتي الفائدة والمتعة لا يجوز أن تتعايشا فقط، بل يجب أن تندمجا، لأن نفع الأدب –جديّته وتعليميته- هو نفع مفعم بالإمتاع"[2]. فالزعبي يرى أن الفن لا يمكن أن يخلو من وظيفة، والكاتب كجزء حي من المجتمع لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن قضاياه المصيرية، وهو كإنسان مرهف وحساس لا يمكنه أن لا يتفاعل مع هموم الإنسان ومعاناته، وهو كمثقف ومفكر لا يمكنه أن يبقى بعيداً عن قضايا الوجود، وأن لا يكون له موقف محدد منها، وفي نفس الوقت لا يمكنه أن يعبر عن كل ذلك بغير الفن، والكاتب الملتزم يعمل طوال الوقت على صقل أدواته الفنية، ويرتقي بمستوى إبداعه، ويرفع من ذائقة جمهور متلقي الإبداع فهو لا يطمئن إلى ما يقدمه بل هو دائم البحث عن الجديد والمتميز.

يحاول باسم الزعبي ومن خلال مجموعاته القصصية العودة إلى الماضي، فهو المكان الأجمل الذي يعكس بيئة القرية التي احتضنت طفولته، فقد جال الزعبي العالم شرقه وغربه، لكنه متعلق بأبسط الأماكن قريته، والتعبير الأشد وضوحاً عن علاقة الكاتب بالقرية وموقف الكاتب منها، كان في مجموعة

(١)شكري الماضي،في نظرية الأدب،مرجع سابق،ص٧٣.

(٢)رينيه ويليك وأوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، ط٣،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص٣١.

"الموت والزيتون" في قصص "الموت والزيتون" و"المهباش" و"ديك في وضح النهار" و"ثمن الحذاء" و"صراع" و"متحف وحجر" و"دخول المدينة" و"ولادة" و"جرأة" وغيرها من القصص، وكذلك الحال في المجموعة الثانية "ورقة واحدة لا تكفي" وتمثلت أشد وضوحاً في قصة "العقد".

وللتعرف إلى مفهوم القصة القصيرة عند باسم الزعبي فقد اختارت الدراسة قصة "الموت والزيتون" من مجموعة "الموت والزيتون"، وقد اخترت هذه القصة لأن أي دراسة لا يمكنها أن تدرس جميع النماذج القصصية، وذلك لجأتُ إلى دراسة هذه القصة لما فيها من مميزات يمكن أن تلقي بضوئها على باقي القصص، وكذلك يمكننا من خلالها التعرف إلى مفهوم القصة القصيرة عند باسم الزعبي.

الموت والزيتون نص يتكون من سبع صفحات تقريباً، وهذا الحجم لا يتجاوز الحجم المألوف للقصة القصيرة، تروي لنا قصة "الموت والزيتون" قصة قرية تحيط بها البيادر والبساتين، كثر الموت في هذه القرية، فأخذت المقبرة تزحف نحو القرية مبتلعة البساتين والبيادر ثم الجبل والوادي إلى حدود البيوت، حينها اجتمع الناس ليقرروا ما هم فاعلون، ولكنّم لم يتوصلوا إلى نتيجة، إلى أن تبرع أحدهم ببيته إلى المقبرة، وفي نهاية القصة يهرب أحد الشباب من القرية صوب أحد الجبال العالية، ونظر إلى القرية قائلا "سأجعل من حجارتها سوراً عظيماً وأزرعها زيتوناً: كي يولد لنا أطفال"[1].

هذا هو المناخ العام للقصة. كتب الزعبي هذه القصة في القطار أثناء دراسته في الاتحاد السوفييتي، "كتبتها تحت غرائبية جبرائيل غارسيا ماركيز إلا أن القصة ولدت وكتبت في القطار، وهي من اللحظات النادرة، إذ كانت قوة الدافع للكتابة قوية لدرجة أنني لم استطع تأجيلها، فأخرجت دفتي وقلمي

(١)باسم الزعبي،الموت والزيتون،مصدر سابق،ص١٩.

ورحت أكتب"[١]. وهي من القصص الغرائبية التي أراد الزعبي أن يقول فيها: "أننا مازلنا نصنع الموت الذي يطوقنا من كل جانب ضانين أننا نبني الحياة"[٢].

تنقطع القصة القصيرة عن باسم الزعبي بعدما تستكمل دورة حياتها في داخله حيث تخرج إلى النور، فتعيش حياة مستقلة عنه، فتنقطع الصلة بها، ولكن الزعبي يفرح عندما يجدها بيد غيره، يقول بذلك: "هذه الكائنات العجيبة التي اقترفت كتابتها، لا أعرف مدى جمالها، لكني أحببتها أريدها أن تتعرف على شخوصها في الحياة"[٣].

حافظت القصة عند باسم الزعبي على خصائصها الأساسية، دون انغلاق، فلا يجوز للقصة أن تذوب مع الأجناس الأخرى فالقصة لها مميزاتها، فتكون القصة بذلك عند الزعبي أحد الأجناس الأدبية كالرواية والمسرحية وأن الشيء المميز عند الزعبي في مفهومه للقصة "أنها تأتي دون سابق إنذار فإذا حلت لحظة الولادة تكون القصة قد استكملت لفترة الحمل"[٤].

وقد تتفاعل القصة مع غيرها من الأجناس الفنية الأخرى فتغذيها ويخدم كل منهما الآخر، ويضرب مثالا على ذلك بقوله: "فالسينما قد تستفيد من القصة القصيرة في تقديم الأفلام القصيرة على شكل برقيات مؤثرة، واخزة، تعبيرية، كما هو في الحلقات التمثيلية النقدية القصيرة التي تؤخذ من أعمال قصصية، ولا تكتفي بتقديم الحكاية بل تعنى أيضا بالصورة وجماليتها"[٥]. فهو بذلك يقترب مع الدكتور نبيل حداد حول اقتراب السينما التخييلية بالرواية بقوله: "لا ينظر إلى فن القص على أنه فن مواز للفن السينمائي، في عائلة

(١)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.
(٢)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.
(٣)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.
(٤)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.
(٥)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.

الفنون التي اصطلح على أن عددها سبعة، قدر ما ينظر إليه على انه مكون أساسي في هذا الفن"[١]. فقد شاركت إحدى قصصه من مجموعة "الموت والزيتون" في فلم تلفزيوني وفازت في مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون من قصة "ديك في وضح النهار" [٢]بعنوان "ديك الأحلام" بالجائزة الفضية.

يعتبر باسم الزعبي أن القصة القصيرة عبر تقنياتها المختلفة من أهم فنون الكلمة التي تنمي قدرات المتلقي على التفاعل مع العمل الإبداعي، يقول: "فالقصة القصيرة ذات النهاية المفتوحة على سبيل المثال تترك للقارئ الفرصة لاستكمال الحدث، والقصة الرمزية تدفع الكاتب للاجتهاد في تفكيك العمل الفني، وكثافة اللغة تفرض على القارئ التركيز لفهم مدلولات تلك اللغة"[٣]، وهذا المفهوم للقصة القصيرة من حيث التركيز يقترب قليلاً مع مفهوم "محمود السمرة" حيث يقول: "أن صفة "التركيز" أساسية في القصة القصيرة: فهي أساسية في الموضوع، وفي الحادثة وطريقة سردها أوفي الموقف وطريقة تصويره، أي لغتها، ويبلغ التركيز حد انه لا تستخدم لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها، أو يمكن أن نستبدل غيرها منها"[٤]. وحتى الحكاية التي تقدمها أي قصة لا بد أن تحمل مدلولات معينة ذات قيمة فكرية أو غيرها، يقول باسم الزعبي: "فإذا ما قدمت تلك الحكاية من خلال صورة مكثفة ومعبرة فإنها ترسخ في الذاكرة، ويستمر تفاعلها في ذهن القارئ لفترة طويلة وتصبح مكوناً ثقافياً"[٥].

(١)نبيل حداد، الكتابة بأوجاع الحاضر، دراسة نصية في الرواية الأردنية، ط١، أمانة عمان الكبرى، عمان،٢٠٠٣ ، ص١٢٥.

(٢)باسم الزعبي،قصة"ديك في وضح النهار،من مجموعة"الموت والزيتون"

(٣)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.

(٤)محمود السمرة،في النقد الأدبي،مرجع سابق،ص٣٤.

(٥) مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.

يحاول باسم الزعبي من خلال قصصه أن يبيّن لنا حركة الواقع المضطرب، وأن الإنسان في كل الأزمان يحاول البحث عن معضلته الأساسية الحياة والموت، وفي ذلك يقول سليم النجار: "يعطينا هذا البعد المتباين رؤية متسعة لمعاينة حركة الواقع المضطرب وبخاصة تلك التي تتصل في قصة "أسماء" لأن تفاعل البطل مع الأحداث ينمو وسط عفوية، ويتداخل بها الذاتي مع العام ولم ينحز البطل للتنظير أو التفسير الأيدلوجي"[١].

لم يتبلور لباسم الزعبي أسلوب خاص في مجموعاته القصصية الأولى، فقد استخدم الواقعي والغرائبي والحكاية والفانتازيا والقصة الذهنية والومضة في قصصه؛ والسبب المباشر في ذلك تأثر الزعبي بمن قرأ لهم، وعلى رأسهم الكتاب الروس فالقصة لدى الزعبي "تتولد بأسلوبها ولغتها، الأسلوب لا يتحدد مسبقاً، بل يأتي مع القصة"[٢].

ويبدو أن الزعبي بعد إصداره المجموعة الرابعة أصبحت ملامح أسلوبه تتبلور، فنجده يميل إلى الواقعية، حيث يرى أن الواقع الذي نعيشه "مليء بالتناقضات والزيف والتخلف، واقع يمور بالصراع بين التخلف بأشكاله ومظاهره المختلفة والتقدم، ويعاني من القسوة والألم، واقع متلون بلون الألم والمعاناة، وامتطى الزمن فيه أناس انتهازيون حتى النخاع وضاع فيها لدرجة الخروج من دائرة الزمن، أناس بسطاء حاملين بذرة الحياة من داخلهم"[٣] فالزعبي واحد من أبناء الأمة التي تطمح إلى التخلص من تخلفها وتواكب مسيرة التقدم، لذلك صبّ جل اهتمامه في هذا الموضوع، وبالتالي انعكس على الكثير من قصصه "فالواقعية تعتمد على الحواس لتصور بأدق ما تستطيع

(١)سليم النجار،قراءة لنموذجين قصصيين لباسم الزعبي"دم الكاتب"وزياد أبو لبن "هذيان ميت"، صحيفة الأنباط،العدد٣١١،الأحد٢٠٠٩/٣/١٢،ص٣٣.

(٢)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.

(٣)باسم الزعبي،محطات في الذاكرة ،الرأي الثقافي،ص٧.

المشاهد المرئية، فالفن الواقعي موضوعي في نظرته إلى الحياة يصفها كما يراها دون زيادة أو حذف أو تحريف"[١]، فالفن الواقعي هو الذي يصور الواقع بتفاصيله والحياة البسيطة، وهو أقرب إلى التصوير بعين الكاميرا التي تلتقط الواقع، وقد تمثل هذا الواقع في كثير من مجموعاته، خاصة في مجموعة "دم الكاتب" في قصص، شقائق النعمان، وأوجاع، ونخلة، وأحلام عارية، وآمال، والبكارة، وتعب، وغيرها من القصص.

لم تعبر قصص الزعبي عن نفسه فقط، بل أراد أن يعبر عن الشخصيات التي يقدمها، وهي شخصيات تعاني من يأس وإحباط من الحياة والواقع، فهو يحمل فكرة التغيير بل حتمية التغيير إلا أن شخصيات قصصه تنزع نحو فكرة عبثية الوجود، وقد برزت هذه المفارقة لدى باسم الزعبي في مجموعته الثانية "ورقة واحدة لا تكفي"[٢].

والقصة القصيرة عند باسم الزعبي تحمل محاولات استعادة ذاكرة المكان القصير، حيث أمدت الكاتب بالكثير من ألأفكار، التي شاركت في فهم الحياة والواقع الذي يعيشه الكاتب، حيث يرى أن العلاقة بين الإنسان والمكان علاقة متلازمة، وأن التغيرات التي حصلت على المكان لم تكن بالاتجاه الأفضل وفي ذلك يقول: "صحيح أن صنبور الماء سهل حياة الناس، لكنّه في المقابل قضى على حياة بأكملها، بسبب ارتباطها مع الطبيعة، فصنبور الماء قضى على الينابيع والجداول والأودية، وصحيح أن الكهرباء أضاءت المنازل، وجاءت بالبراد والتلفاز وغيرها إلا أنها قضت على سلسلة من ألعاب الطفولة التي كانت تتم تحت جنح الليل، وعلى التعاليل التي توثق ألفة الناس وترابطهم

(١)محمود السمرة،في النقد الأدبي،مرجع سابق،ص٦٣.

(٢)باسم الزعبي"ورقة واحدة لاتكفي"مصدر سابق.

وتعيد إنتاج الثقافة الشعبية"[١].انعكست هذه الثيمة في عدد كبير من قصصه: الموت والزيتون، العقد، أحاديث الرشاد، والبعد الرابع وغيرها.

إنّ المتتبّع لنقد القصة الأردنية في الثمانينات وما بعدها، يجد أن النقد المحلي قد عجز عن مواكبة الإبداع، بينما استمر التدفق القصصي وتراجع النقد، ويعلل ذلك بأسباب، أن معظم من يقومون بنقد القصة هم من كتاب القصة القصيرة، ولم تشهد الساحة الأدبية حتى الآن الناقد المتخصص الذي يقصر جهوده على متابعة هذا الفن، كما أن الحركة الأدبية في الأردن تفتقر إلى تراث نقدي وأجيال نقدية[٢].

وحول سؤال تم طرحه على باسم الزعبي عن آراء انقاد في كتاباتك، أجاب بقوله: "لم تحضَ معظم كتاباتي بمتابعة النقاد الأكاديميين، لست راضٍ عن اهتمام النقاد بكتاباتي، رغم أنني واثق أنها تستحق الدراسة، وأعتقد انه سيأتي يوم يتم فيه إنصافي في هذا المجال".[٣]

لم يكتب باسم الزعبي القصة لمجرد التسلية، فهو من الكتاب الأردنيين الذين يودون آن يكون صوتهم مسموعاً، وأنّ لكل كاتب رسالة يؤديها، وفي ذلك يقول "أن تجربتي في الحياة بلغت-كما يقال-عمر الحكمة، هذه التجربة وكما أعتقد، فيها الكثير مما أنقله للناس، لأني كانسان ولد في رحم هذه الأرض، وهذا الشعب عشت أفراحه وأحزانه عجنت بهمومه، وآماله، لا يمكنني، أن أعيش بمعزل عن تلك الهموم والآمال، بل من واجبي التعبير عنها، ونقلها وإسماعها بوسيلتي الخاصة"[٤] فباسم الزعبي ملتزم بقضايا المجتمع الأردني والإنسان بشكل عام.

(١)باسم الزعبي،محطات في الذاكرة ،الرأي الثقافي،ص٧.

(٢)إبراهيم الفيومي،دراسات في الرواية والقصة القصيرة، منشورات وزارة الثقافة، ط١،١٩٩٧، عمان، ص٢١٨.

(٣)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.

(٤)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب ،عمان،١٠-٧-٢٠٠٩.

استقى باسم الزعبي مادة قصصه من وقائع الحياة اليومية بما فيها من متناقضات ومفارقات وغرائبية، فلم يسقط ذاته على بعض شخصيّات قصصه، بل كان رأيه أحياناً يخالف رأي أبطال قصصه؛ لأن "الكاتب الواقعي لا يوجه تطور شخصياته طبقاً لنوازع فرديّة وإرادته ويضفي عليها من شخصيّته ما يفقدها طابعها ومزيتها"[١]. كما "لجا إلى الموروث الشعبي والأسطوري والحكائي في عدد من القصص ووظفه بطريقة مدروسة وأسلوب ممتع قادر على إيصال الفكرة حارة وطازجة[٢]. ونجد في قصة "عدالة"[٣] المتركزة على أسطورة بروميثيوس الذي عاقبه رب الآلهة لمخالفته له، بأن صلبه على الجبل تاركا الطيور لجارحة تبقر بطنه.

ويبدو أن باسم الزعبي ملتزم بقضايا المجتمع وقضايا الإنسان بشكل عام، تناول هموم الإنسان الأردني وواقعه الوطني والقومي والاجتماعي، كما وأدان الواقع بقالب ساخر، فقد عبر عن نفسه وأفكاره من خلال القصة أكثر مما لو قام بدراسة، شغله موضوع الحياة والموت، وجدوى الحياة ومعنى الخلود كثيراً، وانعكست هذه المواضيع على كثير من قصصه، بالتالي عبرت عن آماله وأفكاره وطموحاته ونفسه، لذلك تميّزت القصة القصيرة عنده بالمقدرة الواضحة في المزج بين القضايا الاجتماعية والقضايا الوطنية والقومية، والإنسانية لأنه أدرك كغيره من الكتّاب أنها لا تنفصل عن بعضها، وقد اكتسبت جميعها المزيد من المصداقية في ظل تقاطعها.

(١)عباس العقاد،خواطر في الفن والقصّة،دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٧٣،ص٧٩.

(٢)هيا صالح "تقاسيم المدينة التعبة لباسم الزعبي سخرية لاذعة من واقع فانتازي"، جريدة الرأي، مرجع سابق، ص٦.

(٣)باسم الزعبي،قصة عدالة، من مجموعة،تقاسيم المدينة المتعبة، وزارة الثقافة،٢٠٠٧م

الفصل الثاني

القضايا الفكرية والمضامين الاجتماعية والهواجس الإنسانيّة في مجموعاته.

-التمهيد

أولاً: القضايا الاجتماعيّة.

ثانياً: القضايا السّياسية.

ثالثا: القضايا الفلسفيَّة الوجوديّة.

الفصل الثاني

القضايا الفكرية المضامين الاجتماعية والهواجس الإنسانية في مجموعاته

-التمهيد:

للتكوين الثقافي والاجتماعي الذي تحدثنا عنه بالتفصيل في الفصل الأول أثر كبير وواضح في نتاج القاص الأردني باسم الزعبي، فقد قدّم الزعبي في قصصه قضايا ومضامين كثيرة ومتعدّدة، لكنه ركّز على قضايا ومضامين معينة ومحددة وجديدة اجتماعية، وإنسانيّة وسياسية، وفلسفية...وغيرها، كما ونلحظ طريقة مختلفة في تناوله لتلك القضايا، فلم تعد القصة العربية خاضعة للمضامين الساذجة التي سادت حتى مطلع القرن العشرين، كالحكايات الشعبية والموروثات القصصية التي يتوارثها الخلف عن السلف، وطبيعة الحياة العربية البدائية، فقد "عزف عنها مثقفو البلاد العربية، ومالوا إلى قراءة القصص المعاصرة التي بحثت في مشكلات شغلت الرأي العام، ودعاة الإصلاح كالتخلف والفقر والمرض والجهل وفساد الأوضاع الاجتماعية وإهمال الدولة للمواطن، واضطراب الحياة الاجتماعية، وضعف الرقابة على زمام الأمور في الدولة، وعدم مسايرة ركب الحضارة، وانتشار الرذائل والشذوذ الجنسي"[1]. وغيرها من الموضوعات التي تعيق الإنسان عن الجد والاجتهاد والعمل في الحياة.

فالقصة قريبة من الحياة اليومية التي نعيش،فإمكانية حدوثها محتملة الوقوع،فهي"منظومة القيم والاتجاهات والمواقف الممثلة لأساليب تفكير الناس وممارساتهم"[2]، فكل ما في القصة القصيرة من أحداث وشخصيات يهدف إلى تصوير هدف متكامل معين"فالقصة ليست مجرد خبر

(١)محمد عطيات،القصة الطويلة في الأدب الأردني،مرجع سابق ص١٩٢.

(٢)المرجع نفسه،ص٢١٩.

أو مجموعة أخبار، بل هي حدث ينشأ بالضرورة من موقف معين، ويتطور بالضرورة إلى نقطة معينة، يكتمل بها الحدث"[1].

فكاتب القصة لا تكمن مهمته بأن يكون معلماً مباشراً"وإنما عليه أن يعطي شخصياته أكبر قدر ممكن من الحريّة والتلقائية، ويترك للقارئ الحكم النهائي على تصرفات تلك الشخصيّات ومجريات تلك الأحداث"[٢].

فالقصة تركز على موضوع بعينه، وإن كانت الأفكار متشعّبة والشخصيات متعدّدة، "فإن لكل شخصية آراءها الاجتماعية والفلسفية والعاطفية، التي يكشف عن سلوكها وحديثها في القصّة، ولكن الكاتب بعد ذلك له آراءه هو التي تتراءى من وراء الشخصيات جميعاً، وهي موضوع القصّة وهدفها"[٣].

وقد قسمت الدراسة القضايا والمضامين التي عالجها باسم الزعبي فجاءت ضمن الأطر التالية:

١-القضايا الاجتماعية: وتشمل الفقر ومعاناة المرأة والعادات والتقاليد والمعتقدات السائدة في المجتمع.

٢-القضايا السيّاسية: وتشمل القضايا القومية والوطنية .

٣-القضايا الفلسفيّة: وتشمل الاغتراب والرؤية الفلسفيّة الوجوديّة.

وعند الحديث عن كل قضيّة من هذه القضايا، سنتناول -إن شاء الله-القصص التي عبّر عنها بشيء من التوضيح والتجلية، كما وسنبيّن رؤية الكاتب تجاه هذه القضايا.

(١)رشاد رشدي، فن القصّة القصيرة،ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥، ص١٣٧.

(٢)إبراهيم الفيّومي، دراسات في الرواية والقصّة القصيرة،مصدر سابق، ص١٦١.

(٣)محمد غنيمي هلال، في النقد الأدبي الحديث،ط١،دار الثقافة،دار العودة، بيروت، ١٩٧٣،ص٥٤٥.

أولاً: القضايا الاجتماعيّة:

تبرز القضايا الاجتماعيّة عبر المرأة وموقعها الطبقي، وما تعانيه من مجتمع يظلمها ويمنعها حقوقها، والفقر وما يعانيه الأفراد من هذه المشكلة التي سادت المجتمعات وأدت في كثير من الأحيان إلى الفساد وغيرها.

وقد احتلّت هذه القضايا جزءاً كبيراً في قصص باسم الزعبي، فهي معنيّة برصد هذه القضايا الاجتماعية، كالفقر والتخلّف والمرض والجهل، وتسليط الضوء عليها. فالتوجّه الاجتماعي يمثّل الاتجاه الأول في القصص الموضوعية "بما يقدمه كتابنا فيه من نتاج غزير يعالج كثيراً من القضايا الاجتماعيّة، ويحاول القضاء على ما فسد من عادات المجتمع وتقاليده البالية"[1].

١-الفقر:

انعكست بيئة القرية وأجواؤها من فقر وجهل ومرض على إنتاج باسم الزعبي، ولا غرابة في ذلك، فقريته هي التي احتضنت طفولته وشبابه، وفيها تشكلت علاقاته الإنسانية الأولى وفيها تفتّحت لثغات الحب الأولى، ووعى معنى الوطن وحبّه، فأصبح منتمياً لكل القرية وأجوائها، فتحدث عن الفرد والجماعة، وصوّر مشكلة الفقر تصويراً دقيقاً.

وقد استمد مادة قصصه من واقع الحياة في المجتمع، وسلط الضوء على البؤر المعتمة من الفقر، آملاً في إيجاد حلٍ ولو جزئي لتخليص المجتمع من هذه الآفة الخطيرة، وقد انطلق القاص في بلورة هذه الرؤية من خلال تركيزه على الشخصيات المسلوبة الإرادة في المجتمع الفقيرة والمهمشة التي تبحث لتؤمن لنفسها حياة كريمة.

---

(١)عبد اللطيف محمد السيد الحديدي،الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي،النظرية والتطبيق، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م،ص٢٦٠.

ومن هنا فإن الدراسة حاولت أن تحلّل القصص التي ركّزت على الفقر ومدى انعكاسه على الشخصيات، ورؤية الكاتب لذلك، وهي:

أ- "رغيف وديدان"[١].

ب- "نخلة"[٢].

ت- "انتظار"[٣].

ث- "قطّة"[٤].

بعد عرض عناوين القصص التي تناولت مشاكل اجتماعية، وأهمها مشكلة الفقر، نعرض هذه القصص محلّلين مبيّنين محتوى كل قصّة.

فقصة"رغيف وديدان" تتحدث عن تجربة شاب كانت لديه موهبة في الرسم، حال الفقر دون تنميتها، حيث اضطر الشاب إلى ترك المدرسة للعمل خبازاً، ليساعد في إعالة أهله فالكاتب جرّد النص القصصي من عناصره الإنشائية والشروح الاجتماعية، وفي نفس الوقت تناولت أحداثاً نفسيّة وذاتيّة، "أجري أتقاضاه أرغفةً، نبيع جزءاً منها، وجزءاً تتلقّفه تسعة أفواه شرهة مثل اليرقات، أفواه لا تشبع من الخبز، والشاي، وجهان لا يشبهان رغيف الخبز، وجه أبي ووجهها"[٥]. فالكاتب جعل الزمن مهمّشاً؛ لأن الفقر لا يرتبط بزمان أو ــــــــ

(١)باسم الزعبي،مجموعة دم الكاتب،٢٠٠٣.

(٢)بسم الزعبي،مجموعة" دم الكاتب"، ٢٠٠٣.

(٣)باسم الزعبي،مجموعة"دم الكاتب"٢٠٠٣.

(٤)باسم الزعبي،مجموعة"تقاسيم المدينة المتعبة"٢٠٠٧.

(٥)باسم الزعبي،رغيف وألوان،مجموعة"دم الكاتب،ص٤٥.

مكان معيّن فهو موجود منذ الأزل، فالفقر قضية إنسانية غير محدّدة بجغرافيّة معيّنة، أو زمان سياسي بحدّ ذاته، فالكاتب يرى أن الجوع هو لوحة الإنسان" يقول السارد: "خرج الرغيف محمراً شهيّاً، ناولتها إياه، لم يهرب من يديها، رأيت إشراقة في العينين السوداوين الواسعتين اتساع السماء، حلقت روحي فيهما، ضاعت لوحتي، واختفى الرغيف، وبقي وجه أمي ووجهها موانئ سفري الهاربة الضائعة"(١).

وتصور قصة "نخلة" الحاجة واستغلالها من قبل بعض الشخصيات مريضة النفوس لامرأة تعيل أطفالا صغاراً وتعيش في منزل صغير في منطقة ريفيّة منعزلة، خائفة، أطفالها جوعى، شاحبة اللون، انتظرت الصباح بفارغ الصبر لتقتات إلى أطفالها، يقول السارد: " انتظرت المرأة قبل أن تأتي الشمس قرناً، تسلل الخوف من شقوق روحها، امتلأت الغرفة بأرواح تشبه الغيلان"(٢)، ويبين لنا الكاتب حالة القلق والتردّد التي صاحبت نفس هذه المرأة من خلال طرقها لباب أحد الجيران الذي يسكن بعيداً عنها في منطقة تكاد تخلو من السكان بعدما حسمت أمرها، يقول السارد: "في المرّة الثالثة أحسّت بالتواءات معد الصغار، طرقت الباب بإلحاح، فتح الباب أخيرا فتحه رجل في الأربعين وما زال النعاس القلق ملتصقاُ بوجهه"(٣)، ثم يبن لنا الكاتب صورة الرجل الشبق الانتهازي، الذي انتهز فرصة الفقر والعوز لدى المرأة، وموت زوجها الذي كان في السابق صديقاً حميماً له، ضانة أن هذا الرجل يحمل لأبناء صديقه المحبّة والود والعطف، لكنّ السارد سرعان ما كشف لنا أسارير ــــــــ

(١)باسم الزعبي،رغيف وديدان،مصدر سابق،ص٤٦.

(٢)المصدر نفسه،ص٤٧.

(٣)المصدر نفسه،ص٤٨.

هذا الرجل المستغل الشبق الذي كشّر عن نابه بقوله: "ها هي أخيراً في متناول يدي رغم شحوبها، فإنها مازالت شهيّة"[١]. دعا الرجل المرأة مجدداً للدخول لكنّها اعتذرت، وقال محتداً "ما دمت تخافين الدخول لماذا جئت إذاً؟ جئت أطلب طعاما منذ أيام لم يذق صغاري الطعام"[٢]. وبعد حوار بين الرجل والمرأة أمسك الانتهازي المرأة بكفيه الكبيرتين من كتفيها الصغيرتين محاولاً إدخالها البيت، يقول السارد: "مرت من صالة غطت جدرانها رفوف الكتب، التي تناثرت أيضا في أرجاء الصّالة، على الطّاولة والأريكة والطريبيزات والأرض، وقال همساً قضينا أنا والمرحوم ليالي في هذا المكتب"[٣]. وفي مقابل البيت ديك، دخل إلى الكن أحدث رعشة، هازّاً نفسه، نافشا ريشه، حيث غادر الكن منتشيا. بينما خر ج الرجل إلى الشرفة بعصبيّة واضحة، وفي تلك الأثناء "خرجت نخلة من المنزل هادئة شامخة، وغادرت المنزل محتضنة روحها، وأرواح صغار، وأعمار.."[٤].

لقد ركّز الكاتب في هذه القصة على رسم الشخصية المضادة لشخصية المرأة وهي شخصية الرجل، صديق الزوج أو رفيقه النضالي، فهناك إشارة إلى أنهما مثقفان، رجل منحط أخلاقياً، انتهازي، شبق لدرجة الحيوانية التي لا تراعي إنسانية الإنسان، وليس عبثا قدم الكاتب صورة الديك الذي يحوم حول الدجاج كصورة موازية ومقابلة، يريد أن يوصل من خلالها أن ذلك الرجل لا يختلف عن ذلك الحيوان، على خلفية صورة الرجل اللا أخلاقية تبرز صورة المرأة ذات الكبرياء. فالكبرياء هنا يبرز ملازماً للسمو الأخلاقي بغض النظر عن الفقر، والذل إفراز للانحطاط الأخلاقي بغض النظر عن اليسر.

———

(١)باسم الزعبي،نخلة،مصدر سابق،ص٤٨.

(٢)المصدر نفسه،ص٤٩.

(٣)المصدر نفسه،ص٥٠.

(٤) المصدر نفسه،ص٥١.

وقد تحول الموقف المكابر لهذه المرأة لأداة إدانة وقتل للشخصية الانتهازية، تلك الشخصية التي لا تحركها سوى غرائزها فأوقعتها في الحضيض الأخلاقي. إذاً الفقر هنا معادل للكبرياء والقوة والكرامة، والكاتب ينتصر للفقر من الانحطاط الأخلاقي، فهو لا يقدم مجرد عرض لحالة الفقر أو الفقراء "المرأة الفقيرة في هذه القصة"، بل هو يريد أن يعلي من قيمة الإنسان الفقير "من لا يملك" إزاء انحطاط قيم الإنسان الميسور "من يملك".

ويبدو أن الكاتب كان موفقاً في اختيار اسم المرأة، لما تحمله من معاني ودلالات، فالنخلة من الأشجار التي تعيش في الصحراء العربية، متحدّية حرارتها المرتفعة وضروفها المناخيّة الصعبة، عالية شامخة، وهكذا بطلة القصّة "نخلة" التي تحدّت الظروف الصعبة من فقر وجوع، لكنها لم تضعف من موقف ما.

وتحكي لنا قصة "انتظار" من مجموعة دم الكاتب، قصة الشاب محمود الذي يعيش في القرية، وطالما انتظر الوظيفة حتى أتاه الفرج "عطية الدايخ" يعمل موظفا في الوزارة بعمان بمنصب مرموق فهو "بلدياته" وما عليه إلا أن يذهب إليه بنفسه ويشرح له حاله، ومدى الفقر الذي يعانيه في قريته. لم يعرف "محمود" من موظفي الوزارة سوى أبي سعدي المقطوش الذي يطل مرة واحدة في السنة على القرية، ولقد رآه "محمود" في عزاء الشيخ "حامد المقطوش" يقول السارد: "كان المعزون يتوجهون إليه بشيء من التزلف، يمد لهم رؤوس لأصابعه دون اكتراث"[1].

---

(١) باسم الزعبي،انتظار،مجموعة دم الكاتب،ص١١٧.

دخل محمود الوزارة بكل ثقة، لم يكن مكترثاً؛ لأنّ له فيها معرفة، بادر بالسؤال عن مكتب السيّد "عطية السعود" لكن المفارقة الساخرة بدت من خلال إجابة المراقب بقوله: "وماذا يعمل هذا"[١]. صعق "محمود" بهذا السؤال وأدرك أن "الدايخ" لم يكن إلا موظفاً بسيطاً في الوزارة بوظيفة "مراسل" وبهذا فقد "محمود" الثقة بالنفس "عليك اللعنة يا عطية توقّعتك موظفاً أكبر، مقارنة بالأناقة الفائقة التي كنت أراك فيها"[٢].

ويكشف لنا الكاتب من خلال هذه القصة إلى الكشف عن طبيعة الكثير من الناس والشخصيات المغرورة، والتي تظهر أمام المجتمع بكامل أناقتها وبشيء من التعجرف والكبرياء، وما هي في حقيقة أمرها إلا بالونات مزيفة فارغة.

يرسل عطية الدايخ "محمود" إلى موظف كبير في الدائرة يدعى أبا عوني، قال له "محمود": "إنه من الديرة ويحب أهل البلد "[٣]، لم يذهب "الدايخ" مع محمود لكنه اكتفى بأن أرشده إلى المكتب، وكان مكتبه يعج بالزوار، والأشخاص الذين يدخلون الباب يدفعونه بوقار شديد، ويخرجون بالوقار نفسه، تكرر دخول الرجال وخروجهم إلى أن تحيّن الفرصة، قرر بعده الدخول إلى المكتب، نظر فور دخوله إلى المكتب فإذا بالرجل الوقور الأنيق يجلس على مقعد المرحاض، يقول السارد: "رأيت وجهه المتغصّن بفعل الاعتصار،وكأنه في عملية ولادة"[٤].

---

(١)باسم الزعبي،انتظار،مصدر سابق،ص١١٨.

(٢)المصدر نفسه،١١٩.

(٢)المصدر نفسه،١١٨-١١٩.

(٤)المصدر نفسه،ص١٢١.

وتحمل قصة "انتظار" حالة الفقر والبطالة التي يعيشها أبناء القرية بشكل خاص، وما يترتب عليه من ظروف اقتصادية صعبة، كما وتتطرق إلى مشكلة البطالة لتي يعاني منها عدد كبير من أبناء المجتمع الأردني، وخاصة بعيد سنوات التخرج، كما ويرسم لنا الكاتب صورة سيئة لأصحاب الواسطة والمحسوبية، الذين يقدمون أقرباءهم ومحسوبياتهم على حساب أناس آخرين هم بأمس الحاجة للعمل.

أما قصة "قطة" فتمثل حالة الجوع الأزلي لقطة اقتربت من نافذة السارد، نحيلة الشكل متهدلة البطن، والشيء الذي آلم السارد أنها مرضعة "أنها مرضعة يا للقصة التعسة"[١]. حيث ساء الرجل الذي أعطى القطة حبة الشوكولاتة. فالقطة آلمت الرجل لأنه يعرف طعم الجوع، فلم يعد يستمتع بعلبة السردين التي بحوزته، صاح الرجل بصوت عال "عليها اللعنة فلتذهب إلى الشيطان بجوعها، أم جبر لا تنال من الطعام لها ولأولادها اليتامى قدر ما تناله القطة المتكبرة"[٢].

ثم يبين لنا الكاتب أثر هذه القطة على أم جبر التي تربي أيتاما، فقد نكأت جرحها وحطمت جدران عزلتها، عندما حاولت الهرب من جدران العالم الذي يكوي جلدها. وينهي الكاتب قصته بتأثير مواء القطة داخل تجويف السارد، فكأنه شيء غريب ينسال فيه.

فالكاتب يبين أثر الجوع على الحيوان والإنسان، وقد يكون أثره على الإنسان أكبر وأضر، فالحيوان يطلب الطعام على غريزته كحيوان، بينما قد يتعذر ذلك على الإنسان، فأم جبر رغم حالة الفقر والجوع والعوز، لم تستجد أبداً، أبت لها عزة نفسها وكرامتها.

---

(١)باسم الزعبي،قصة قطة،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص١٥٠.

(٢)المصدر نفسه،ص١٥٠.

٢ـمعاناة المرأة

لم تكن المرأة بمعزل عن القضايا التي عالجها باسم الزعبي في مجموعاته القصصيّة، بل لاقت المرأة اهتماماً كبيرا، وأخذت حيّزاً ليس بالقليل في مجموعاته، فصورت صراع المرأة مع المجتمع في ظل التقاليد البالية التي يعيشها المجتمع، حيث صورت الفقر والجهل والحرمان واستلاب الحقوق، وتغييب دورها في المجتمع، رغم قدرتها على العطاء واستطاعتها مضاهاة الرجل في تحمل المسؤولية، كما وصورت الاستغلال الجنسي والجسدي للمرأة وجرائم الشرف لمن لا يمتلكون شرفاً بالأصل.

والشيء الجديد في تطرقه لقضايا المرأة ومعاناتها هو رسم صورة أخرى للمرأة السلبية في المجتمع كالمرأة الثرثارة والمرأة ذات الوعي الخرافي، فقضاياه تحاسب المرأة على سلوكها السلبي في المجتمع وتطالبها بالتغيير.

تقول منيرة شريح عن وضع المرأة العربية: "إنها تعاني أوضاعاً جاهلية قاسية، تسحق روحها وتشوه إنسانيتها، في الوقت الذي تسمع كلاماً عن المساواة والحقوق والكرامة ،وأنها استسلمت لهذا التناقض وجعلته بعضاً من تكوينها النفسي الذي يختنق في القوالب الشديدة الضيقة لحياة اجتماعية منقسمة على نفسها، بين ظاهر وباطن، وصورة ومضمون، وعقلانية وجنون"[١].

(١)منيرة شريح،قضايا المرأة في الأدب والحياة، منشورات وزارة الثقافة،ط١،عمان،١٩٩٠،ص١٩.

أما عن ملامح المرأة في القصة الأردنية تقول مريم جبر الفريحات: "والمرأة بوصفها نموذجاً في القصة القصيرة الأردنية، ارتبطت بمجموعة من المواقف الاجتماعية الوطنية التي ابتعدت عن كونها حالة مفردة إلى كونها حالة اجتماعية عامّة في الأردن والوطن العربي عموما[١].

وباسم الزعبي واحد من الكتاب الذين اهتموا بقضية المرأة، ومن هنا فإن الدراسة حاولت أن تحلل القصص التي ركزت على هذه القضية وهي:

أ- شقائق النعمان[٢].

ب-غزالة[٣].

ج-شرف×شرف[٤]

د-البكارة[٥].

هـ-ابتسامة خضراء[٦].

و-ثرثرة [٧].

(١)مريم جبر فريحات،المرأة في القصّة القصيرة في الأردن،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك،١٩٩٥،ص١٣.

(٢)باسم الزعبي،مجموعة دم الكاتب.

(٣)باسم الزعبي،مجموعة ورقة وحدة لاتكفي.

(٤)باسم الزعبي،مجموعة ورقة وحدة لاتكفي.

(٥)باسم الزعبي،مجموعة دم الكاتب.

(٦)باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٧)باسم الزعبي،مجموعة ورقة وحدة لاتكفي.

فقصة "شقائق النعمان" من مجموعة دم الكاتب تتحدث عن عائلة عراقية تعيش حياة القهر والحرمان والحاجة زمن الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية وأعوانها على العراق، "فغادة" بطلة القصة من ماجدات العراق، تعرّفت على جبار وأحبته، ثم قبلت به زوجاً "أذكر عندما اصطاد لي سمكة من دجلة بيده وشواها لي، لم أذق في حياتي أطيب من تلك السمكة، وأذكر عندما تصدّى للشبان الثلاثة، الذين اعترضوني، كان نمراَ يومها"[1]. قبلت به زوجا بعد مقتل زوجها نعمان في العراق، رغم معرفتها بأنّه مدمن في الشرب .

فقصة شقائق النعمان تتحدث عن الظلم الذي لحق بنساء العراق أثناء الحصار الغاشم والظالم، فمات الزوج الوفي والأخ والأب، فلم يبق إلا هذا البصيص من الجبار علّه يخرجها مما هي فيه.

لكن سرعان ما أطبق نعمان بكفيه المفترستين على روح غادة الهشّة، عاد مخموراً بعد أن باع "البيك أب" وضع في حجرتها بكيس مليء بالأوراق النقدية، قائلاً:

"بعت البيك أب، سنذهب إلى عمان.

-وكيف سنعيش هناك؟

-لا تقلقي هذه فلوس

-لكن هذه بلدنا..."[2].

سافروا إلى عمان، وسكنوا جبل الجوفة، أصبح جبار يعود متأخراً مخموراً آخر الليل، ترك أولاده وزوجته دون أن يترك لهما مالاً، عاشت ظروفا صعبة وقاسية، لكنها سرعان

---

(١)باسم الزعبي،شقائق النعمان،مجموعة دم الكاتب،مصدر سابق،ص١٠-١١.

(٢)المصدر نفسه،ص١٢.

ما تدبرت أمرها، بعد أن أصبحت تعطي أولاد الجيران الدروس الخصوصيّة "كم شعرت بالذلة والمهانة وأنا أطرق باب الجيران، في بغداد لم أستجد رغم الجوع"[١]. لمحت عيني ابن الجيران المدلل تسترقان النظر، وسألها: "ماذا يعمل زوجك، قالت يبحث عن مكان له في هذا العالم"[٢].

لم يكن في ذهن "غادة" أي شيء تجاه هذا الشاب الذي أبدى تعاطفا معها، وراح يعرب عن حبه للعراق وأهله ويطلعها على روايات السياب ولغائب طعمة فرحان وغيرهما. ثم بدأ يتحيّن الفرصة بين الفينة والأخرى للاختلاء بها يقول السارد: "ابن الجيران حاول اختراق البوابة، أعلن مشاعره هائم بقدي النحيل مثل نخيل العراق وبعيني المشرّعتين على دجلة والفرات"[٣]. لكنه اقترب أكثر مما ينبغي من غادة رغم صياحها، نعمان... نعمان إلا أنه لا حياة لمن تنادي "كانت السكين أقرب إلي من يدي نعمان"[٤]، اقترب منها، طعنته لكنّه ثم ولى هارباً.

فقصة "شقائق النعمان" تعالج قضية المرأة وما تعانيه من فقر وجوع في ظل غياب الزوج، وعدم تحمله مسؤوليّة الزوجة والأطفال، وهي تذكر أحداثاً واقعيّة مرت بها الأمّة العربية، كما في العراق الذي تعرض لحصار جائر وظالم في التسعينيّات من القرن الماضي بادّعاء من أمريكيا وأعوانها بامتلاك العراق السلاح النووي، فقتل الأبرياء وتفشى الفقر والجوع والجهل بين العراقيين الذين باعوا الغالي والنفيس للخروج من بلدهم علّهم ـــــ

(١)باسم الزعبي،شقائق النعمان،مجموعة دم الكاتب،مصدر سابق،ص ١٣.

(٢)المصدر نفسه،ص١٤.

(٣)المصدر نفسه،ص١٥.

(٤)المصدر نفسه،ص١٧.

يحضون بأمان واستقرار، وتأمين لقمة العيش، لكن هيهات أن يجد الإنسان بلداً أفضل من بلده.

وتعالج القصّة أيضاً قضيّة أخرى مهمّة وهي قضية الاستغلال الجنسي والجسدي للمرأة بحجة تامين الإقامة، وتقديم المساعدة من قبل الانتهازيين وضعاف النفوس. كما وتحمل القّصة مدلولات رمزيّة نلحظها من خلال الأسماء التي أطلقها الزعبي على شخصيات القصّة ممثلة ببطلها "غادة" والتي ترمز إلى العراق وخيراته من أنهار وجنّات من نخيل، وخيرات من نفط ومعادن وغيرها، فغادة "بغداد"، وربّما أراد من جبار السلطة في العراق وهذا ما استغربته من مدلول الكاتب، وتصويره السلطة العراقيّة بهذه الوحشيّة، رغم سقوط ادّعاءات أمريكا وأعوانها في العراق، ورغم ظهور الوحشيّة الحقيقّية في العراق بعد سقوط بغداد.

والقصة في هذا الإطار تتحول من قصة واقعية إلى قصة رمزية حول الموت والحياة الحب والاستبداد، وهي تتحدث أيضا عن الاحتلال ورؤية زواله من خلال الدم الذي يقدمه المحب، ابن العراق، وغادة هي ربيع العراق القادم، هي الحب نقيض الاستبداد، والأنانية والانتهازية.

أمّا قصّة "غزالة" والمتمثّلة ببطلة القصّة "غزالة"، فتصور تلك المرأة التي هجرها زوجها المغترب في ألمانيا، والتي دارت حولها الشبهات مع "صبحي الفرّان"، يقول السارد: "ما أن دخلت غزالة الفرن، حتى لمحها صبحي الفران، تتحرّك أشياء في داخله يداه لم تعودا في

حركتهما الآلية في رقّ العجين تتباطآن فيتطاول الرغيف بين يديه"[1]، لكن صبحي ـــــــ

(١) باسم الزعبي ،غزالة،من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٢٤.

سرعان ما نادى على غزالة المنزوية آخر النساء، بأن تأتي بالعجين، بعدها ظهر الاحتجاج على الدور من قبل النسوة، رد صبحي الفران بحزم على النساء "أن من لا يعجبها فلتذهب إلى فرن آخر"[١]. هذه العبارة التي أطلقها صبحي الفرّان حوّلت المشادة مع النساء حول الدور إلى وشوشة، أن حباً وقع بين صبحي الفرّان وغزالة، سرعان ما انتشر الخبر في القرية وما حولها، ممّا سبّب لها الكثير من المشاكل، انتهت إلى مأساة في مجتمع ريفي لا يرحم.

كما وتعالج القصة مشكلة اغتراب الأزواج خارج البلاد، وهجرهم لأزواجهم، وتركهنّ في أوضاع مأساوية في مجتمع قروي لا يرحم، وعندما تسلل الخبر إلى "دار مزعل" أشعل الخبر النار في هشيمهم معتقدين أن في الخبر لصحة، يقول السارد: "اجتمع إخوة غزالة ضخام الجثث، غلاظ الحواجب والشوارب مع أمهم وكانت الوجوه محتقنة والعيون تنفجر من الغضب"[٢]، قرّروا بعدها تزويجها من أبي سالم "فلاح الحجي"، لكن غزالة رفضت هذا الزواج، يقول السارد: "خرجت لا من أعماق غزالة حاملة ركام الرعب والألم الرابض على روحها"[٣]، محاولة تحررها من قيود هذا المجتمع الظالم الذي يجعل المرأة سلعة تباع وتشترى في أي وقت شاء، صاحت "غزالة" لا معلنة الانتفاضة ضد تقاليد المجتمع الظالمة رغم معرفتها بالنتائج التي ستلحق بها جراء هذا الرفض، ويهدف الكاتب من وراء إظهار "غزالة" بهذه الشخصية إلى جعلها المحرّك نحو التغيير .

---

(١) باسم الزعبي ،غزالة،من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٢٤.

(٢)باسم الزعبي،غزالة، مصدر سابق،ص٢٥.

(٣)باسم الزعبي،غزالة، مصدر سابق،ص٢٥.

فالمجتمع لا يتقبّل امرأة تعانده، وعندما سمع أولاد مزعل قولها لا: أريد زوجي راح الدم يغلي في العروق، نهض مزعل الأخ الأكبر وأطبق على صدرها بضربة قويّة وصفعها ارتجّ رأسها، ثم حبسها في غرفة طينية لا يدخلها النور. لكن الإشاعة أخذت تنتشر في القرية خاصة عندما علم أهل القرية بخبر حبسها وأن في الخبر لصحة، لكن صبحي الفران تحدى الجميع وقال بصوت عالٍ: "إن غزالة ليست مجنونة بل إن أهلها المجانين"[1]. لكن النهاية كانت بموت "غزالة مسمومة على يد امرأة غريبة تحل بالقرية.

فقصة "غزالة" من القصص الاجتماعية التي تعالج قضيّة كانت سائدة في المجتمعات العربية الريفية، وهي إجبار الفتاة على الزواج من إنسان لا تقبل به، فجاءت ثورة غزالة سوطاً قاسياً على هذا المجتمع القاسي، صحيح أنها كانت الضحيّة، لكن نور الحرية قد بزغ حين ردّدت "لا" وتخلصت من عذاب مجتمع ظالم.

أما اختيار الكاتب لاسم البطلة "غزالة" فإنه استطاع أن يدعو المتلقي إلى التعاطف معها، خاصة عندما عوملت بوحشية وقتلت بريئة، ورمز لأولاد مزعل أشارة إلى قيود المجتمع الظالمة، كما ووضع الكاتب اليد على قضية مهمة وهي قضية اغتراب الأزواج وهجرهم لأزواجهم، وما تعانيه المرأة نتيجة هذا الاغتراب.

وتصور لنا قصة (شرف×شرف)الذي يقتل ابنة عمّه دفاعاً عن الشرف، ولكنه يفقد شرفه في السجن، حيث تبدأ حيثيات القصة عندما قال لأصدقائه: "قتلتها، لم انتظر كلمة إضافية واحدة"[2]. بعدها سلم نفسه للشرطة مطمئناً راضيا مقتنعاً بأنه لن يبيت ليلة واحدة في السجن كما وعده أهله وأقرباؤه.

وترسم لن قصة "شرف×شرف" صورة المجتمع الذي يظلم المرأة دون التأكد من صحة

---

(١)باسم الزعبي،غزالة، مصدر سابق،ص٢٧.

(٢)باسم الزعبي (شرف×شرف)من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٤٦.

الحديث عن فجورها أو وجود أي أدلة على ذلك، عندما رفضت الزواج من ابن عمها، وقد استغل الآخرون هذا الموقف، فرموها بالفاحشة فمنهم من اتهمها بالمشي وحدها، ومنهم من قال: "فستانها قصير، أنها تحيي رجلا في الشارع ، اقتلها"[١].

فكثير من قصص الزعبي تحدثت عن قضية تتحدث عن عادة سيئة مدمرة للمجتمع وهي قذف الفتيات وحتى المتزوجات في مجتمع لا يرحم، بل مجتمع أدعى إلى القتل أو التزويج بالإجبار أو الحبس من التأكد من صحة الأخبار.

زج(م.خ) في سجن المجرمين يقول السارد: "زج به في مهجع مليء بالعيون الخبيثة والوجوه المليئة بالندب، والأذرع الموشمة، والروائح الغريبة... دخل واثقاً من نفسه، تأمل الوجوه المكدسة على الأسرة باحتقار، ثم وقف خلف الباب، ناظراً من خلال الشبك إلى الخارج بانتظار أحد ما"[٢] لكن سرعان ما اعتمد الكاتب المفارقة الساخرة عندما استعاد (م.خ) الأيام لحظة بلحظة، بدأ من صباح يوم الحادثة، وما مرت عليه من أيام التحريض في مونولوج داخلي، حيث جلس وحيداً في المركز الأمني الذي أودع فيه بعد أن فقد الأمل في خروجه من السجن يقول السارد: "تقلب على جمر خوفه، ثم طوى نفسه مثل طفل رضيع، وراح ينشج بحرقة"[٣]. لحضتها امتدت إليه يد خشنة، امتدت إلى وجه هذا القاتل البريء، يقول السارد: "تتحسّسه تنساب على رقبته وخصره ووركه، قشعريرة تنتشر تحت جلده، جسم يلتصق به من الخلف"[٤]،قالها الشاب ذو الوجه غير الحليق، بصوت هامس " أتبكي، يا

للعيب رجل أطلق النار من مسدّسه، وقتل، ويبكي، لأتخف سأقص عليك حكاية حتى ـــــ

(١)باسم الزعبي،(شرف×شرف)مصدر سابق،ص٤٨.

(٢)المصدر نفسه،ص٤٩.

(٣)المصدر نفسه،ص٤٩.

(٤)المصدر نفسه،ص٤٩.

تنام"[1]، فبدت المفارقة الساخرة عندما فقد الشاب الوديع شرفه في السجن، فلم تسمع صيحاته، ونسيه المجتمع بعد أن أوداه بالسجن.

فالزعبي يلتقط قصصه من الواقع، ويرى أن هذا الواقع مليء بالزيف والتخلّف بأشكاله ومظاهره المختلفة، واقع يعاني من القسوة والألم. فيرى أن الانتهازيين استطاعوا أن يتسلقوا على ظهور أولئك الناس البسطاء، ورموا بهم إلى الهاوية، وأخرجوهم من دائرة الزمن لامتطائه. وهذا الأسلوب الواقعي في قصصه يعالج كثير من القضايا في المجتمع، فهو يلتقطها من الحياة اليومية، ويطمح إلى التخلص من الجهل والتخلف ومواكبة التقدّم .

ف(م،خ) شخصيّة محبطة بل اصطفت إلى جانب اليأس، بعد أن قذف بها الزمان إلى هذا المكان الموحش. كما وتتصدر القصّة بتنويه يشير بأن " أحداث القصة دارت في نهاية القرن الحادي والعشرين"[1]، وكذلك نقرأ في الخاتمة "الكل يروي الحكايات"[2]، ولعل هذا الشيء يقدم لنا المفارقة الساخرة التي تتقدم عليها الحكاية، فالبطل يقتل ابنة عمه دفاعاً عن الشرف، ولكنه يفقد نفسه الشرف داخل السجن.

وتصور لنا قصة "البكارة" من مجموعة دم الكاتب عادة اجتماعية ما زالت سائدة في بعض القرى والأرياف الأردنية، ألا وهي انتظار الزوج بعد دخوله بيت العروس، ليعلن عذرية الزوجة، وتبدأ القصة عندما دخل العريس تزفّه ثلة من الرجال والشباب بيت زوجته ابنة عمّه، بعدها بفترة وجيزة أصبح أقارب العريس ووالداه ينتظران خروج الزوج ورؤية دم الزوجة العذرية على قطعة من القماش، يقول السارد: "عن ابن عم العريس الشاب: "راح يذرع "العريشة" أمام منزل العريسين، منتظراً خروج العريس معلناً عذرية زوجته، ليضج

---

(١)باسم الزعبي(شرف×شرف)،مصدر سابق،ص٤٦،

(٢)المصدر نفسه،ص٤٩.

الفضاء بصوت "العصمليّة" ابتهاجاً"[1]، قالت الزوجة وقد خفت ضوء السراج "كيف ترضى الزواج بي يا حسن؟ هل تعرف عني سوى أنني ابنة عمك"[1]، بعدها ظهر العريس وبيده شاشة عليها بقع حمراء، ولم تظهر على وجهه أي تعابير تنم عن الفرح، فيما قذفت فوهات البنادق بالنيران.

كتب باسم الزعبي قصة البكارة عندما كان في الثانوية العامّة عام١٩٧٥، حيث أحس الزعبي أنها قصته الأولى التي رأت النور، وقد فازت هذه القصة في مسابقة بين أعضاء مراكز الشباب، وكانت اللجنة برئاسة فخري قعوار، حيث زادت هذه القصة من شعوره بالثقة فيما يكتب بل ظلت رصيده الوحيد طوال فترة عشر سنوات.

وقصة البكارة تشبه إلى حد كبير قصة (شرف×شرف)، والكاتب يرمي من وراء هذه القصص إلى أن المرأة في القرية والريف الأردني ترغم على الزواج من شخص لا ترضى به زوجاً، وقد تسمى باسم ابن العم منذ ولادتها، مما يؤدي بها إلى حالة نفسيّة سيئة منذ الصغر، وزواج غير متكافئ ينتهي غالبا بالطلاق، أو الشذوذ الجنسي لدى احد الطرفين ويعلل ريتشارد حرص القرويين على تزويج الفتاة لابن العم "بأنه يحفظ المرأة ويصونها فلا تتعرض للشتيمة والمعاملة القاسية لأنهم بذلك يسيؤون إلى أجدادهم هم أنفسهم"[٣].

ويظهر الزعبي واقع المرأة في القرية الأردنية، ومعاناتها من قضية الزواج المبكر، وعدم إتمام التعليم، فتقول العروس ليلة الزفاف: "ماذا تريد مني أنا الفتاة التي لم تنه المدرسة"[٤]. فالزواج يسير تحقيق المصالح دون الاهتمام بالمشاعر الزوجية لدى الزوجين.

---

(١)باسم الزعبي،البكارة،مجموعة دم الكاتب،ص١٢٢.

(٢)المصدر نفسه،ص١٢٤.

(٣)أروى عبيدات، صورة المرأة في الرواية الأردنية،منشورات وزارة الثقافة ،عمان،١٩٩٥،ص٨١.

(٤)باسم الزعبي ،البكارةص١٢٥.

وتصور لنا قصة "ابتسامة خضراء" من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة، استغلال الزوج للزوجة الموظفة مادياً، وتهديدها المستمر من قبل الزوج بالطلاق بسبب عدم الإنجاب، وما تعانيه المرأة جرّاء ذلك من ظروف نفسية قاهرة.

وقد صورت القصة زواج "عايد" من "رانيا" موظفة المركز الصحي، يقول السارد: "في البداية غازلك كثيراً، أقلك كثيراً بسيارة التاكسي التي كان يعمل عليها، بدا شهماً، لم يأخذ منك أجرة، أحضر كثيراً من سندوتشات الفلافل الساخنة"[١]، بعدها وافقت على الزواج به. وبعد فترة وجيزة من الزواج توضحت صورة الزوج "عايد" الذي كان لا يدع مع رانيا قرشاً إلا وأخذه، وكانت كلما تذمرت من ذلك التصرف يرد عليها غاضباً "ماذا لديك؟ يكفي أنك عاقر، لا تنفعين لشيء، اشكري ربك لأني مازلت محتفظاً بك عندي"[٢]. بقت رانيا على هذه الحالة، حتى أصبحت تقترض نصف دينار يومياً من "أم عامر" صاحبة البقالة المجاورة لبيتها، لم تستطع رانيا بث ما فيها من هموم، فكل من أمها وأبيها وإخوتها يلومون رانيا على البقاء عند عايد، يقول السارد: "يشيعون ابتساماتهم كحقل، أصابه الحريق، وهجرته العصافير، يدفنونها ويمضون في السراب"[٣]، وعند عودة عايد يسأل عن الغداء، فجهز أم لم يجهز انهال عليها بالضرب والشتائم، لكن رانيا لم تستطع البقاء على هذه الحالة، فبدت تتحرر من قيود الزوج الظالم أولاً بأول، بعدم إعطاء عايد شيئا، وأعدت لنفسها حقبة من ردود الفعل خاصة بعد أن أكد لها الدكتور وائل أنها ليست عاقراً، يقول السارد :"يحبو باكياً يصل قدميها.

-أرجوك، أقبل قدميك، سيسجنونني.

---

(١)ابتسامة خضراء، من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٤٥.

(٢)المصدر نفسه،ص٤٥

(٣)المصدر نفسه،ص٤٣.

-أليس السجن للرجال.

تذهب بعدها إلى خزانتها، تخرج قناعها ، تطوح به من شباك الشقّة إلى الشارع لتدوسه أقدام المارّة، ترتدي ملابسها، تقف أمام المرآة، يا إلهي، ابتسامة مثل عشب أول الربيع... ودارت الأيام، ومرت الأيام، سمعت صداها في أحد أيام الربيع فوق تلك الهضبة، لكنه ظل غائباً لا يظهر إلا في الربيع"[١].

وترمي لنا قصة ابتسامة خضراء ما تعانيه المرأة الموظفة في المدينة من الزوج المستغل في ظل مغريات الحياة المدنيّة الكثيرة، كما يبيّن الكاتب من خلال المشاهد السردية المتلاحقة معاناة المرأة العاقر في بيت الزوجية عند بعض الأزواج وما تعانيه من ألم نفسي.

ويبدو من خلال القصة أن الكاتب يدعو إلى التحرر من قيود الزوج الظالم، الذي رمز إليه بالقناع، كما ويرسم لنا صورة الزوج الوحشية التي تمارس ضد المرأة وهي ظاهرة العنف الزوجي، وما تلحقه هذه الظاهرة من أضرار نفسية وجسدية ومعاناة داخلية لا يعرف مداها أحد.

أما قصة "ثرثرة" من مجموعة "ورقة واحدة لا تكفي" فيصور الكاتب المرأة الثرثارة ذات الوعي الخرافي، فسهلية الموظفة التي تعمل موظفة في الوزارة أوقفت الكاتب الذي يعمل في الوزارة أيضاً عن كتابة قصّته، وأوقفت دفق أفكاره الآسر مرات عديدة بتصرفاتها الغير مقبولة كموظفة، يقول السارد: "نفد صبري، فللمرة العشرين يتم وقفي عن كتابة قصتي، دمي بدأ يفور في عروقي، يكاد يمزقها، الفكرة طارت، تبخرت، أذناي ورأسي كله طمر بنفايات الكلام، ما كان يشغلني هو متى تنهي حديثها ويتوقف فمها عن مضغ اللبان المزعج وتخرج"[٢].

---

(١)باسم الزعبي،ابتسامة خضراء،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.ص٤٧.

(٢)باسم الزعبي،ثرثرة، مجموعة ورقة واحدة لا تكفي.ص٤٢.

فسهيلة الوجه الآخر للمرأة الذي ينتقده الكاتب ألا وهي المرأة الثرثارة، فهي دائمة على مضغ اللبان بصورة غير حضارية، صوتها المزعج وشكلها الذي يثير السخرية من شعر أصفر أشعث، نهضت من مقعدها وقذفت العلكة بسلة المهملات بطريقة سوقية غير حضارية، ثم عادت لتوها بحديث جديد حين استغابت إحدى الموظفات في الوزارة والتي يبدي لها الكاتب احتراماً، وربما علاقة وديّة مع هذه الموظَّفة، أمسك الكاتب الباب بيده إشارة إلى الرغبة في إنهاء الحديث والزيارة، قرر بعدها المرور بملك ليحييها ويشرب القهوة معها، وفي اللقاء يبدو أن كلا منهما فتح درفة قلبه، تسأله: "ما يهمه في المرأة؟ أجابها صدق اللحظة. قالت على الفور هل تشك في صدق حبي لك في هذه اللحظة؟"(١)، لم يستطع الكاتب في هذه اللحظة التفوه بكلمة واحدة، بعدها لم يستطع إكمال قصته، يمزق الورق في سلة المهملات التي غطت قاعها بعلك سهيلة.

فالكاتب يدعو إلى تغيير سلوك اجتماعي سيء عند أولئك النساء اللواتي يهرفن بما لا يعرفن، ويتصرفن بطريقة سوقية تنم عن جهل ووعي خرافي، فالنساء أمثال سهيلة ينبذن من قبل المجتمع، بل يسئن إلى المرأة والتي لطالما يسعى الكاتب لتحسين صورتها، وعدم الانتقاص من شأنها، بل وجعلها النصف الآخر من المجتمع.

٣-العادات والتقاليد والمعتقدات.

للعادات والتقاليد والمعتقدات أثر كبير على المجتمع بكل أطيافه، سواء أكانت سلبية أم إيجابية، فقد حفلت القصة الأردنية القصيرة بإشارات كثيرة إلى معتقدات مستمدة من الأقاصيص القديمة التي رسخت في عقول لناس وتوارثها الآباء عن الأجداد، كمحاولة ـــــــ

(١)باسم الزعبي،قصة ثرثرة، مصدر سابق،ص٤٥.

استكشاف الغيب عند المشعوذين، والحديث عن كثير من الحيوانات مثل الضبع والغول مرتبطة بأفكار بالية ومعتقدات شعبية تسامر بها كثير من الناس. ويمكننا القول أن المعتقدات العربية زاخرة من هذه العادات والتقاليد، حيث أصبحت بيئة خصبة لكتّاب القصة، فكان لهذه العادات والتقاليد والمعتقدات الأثر الأكبر في تراجع كثير من الناس عن مواكبة سير التقدم العلمي، والبعد عن الدين الإسلامي الحقيقي، الذي حارب هذه المعتقدات البالية منذ بداية الدعوة الإسلامية، وفي هذا يقول محمد سلام زغلول: "إن عدم مسايرة ركب الحضارة، وانتشار الرذائل، والشذوذ الجنسي وشيوع العادات والتقاليد الرجعية في وجدان الشعب، والفهم الخاطئ لتعاليم الدين، إذ إن هذه الموضوعات تعوق القوة البشرية عن العمل، والفقر الثقافي يمنع القوة الخلاقة في الإنسان من الإبداع "[١].

وباسم الزعبي واحد من الكتاب الأردنيين المبدعين الذين استطاعوا أن يوظفوا هذه الموروثات في كتاباتهم، حيث رصد الكثير من العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية البالية في قصصه، فهو جزء لا يتجزّأ من أبناء المجتمع العربي الكبير "الذي حفل بكثير من المظاهر والتقاليد المتضادة، التي شكلت مادة قصصية ثرية، أمدّت كتابنا بالكثير من الموضوعات والأحداث القصصية[٢].

كما استطاع الزعبي توظيف التراث الأسطوري في مجموعاته بأسلوب ممتع وشيّق رغم أن الأسطورة ليست من واقع حياتنا التي نعيش، بل هي نتاج خيالي للكاتب بعد وقع صداها على نفسية الأديب، وتأثره بها، وبالتالي سردها في واقع تجربته الإبداعية.

---

(١)محمد سلام زغلول، دراسات في القصة العربية الحديثة، ط١، الإسكندرية للطباعة والنشر، مصر، ١٩٧٣، ص١٧١.

(٢)عبد اللطيف الحديدي، الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي، النظرية والتطبيق،مرجع سابق ،ص٢٦.

يقول علي عشري زايد "فالأسطورة إذن ليست مجرد إطار بسيط، تأتي في أفكار الأديب جاهزة لتملأه، وإنما إذا وجدت أسطورة ما صدى خاصاً في نفسية الأديب، أو إذا وجدت في بعض الومضات القائمة في لاوعي الشاعر في بعض معطيات الأسطورة صورته الرمزية التي تضيئها وتنقلها إلى الشعور، عند إذن فقط يتم اعتماد الأسطورة وتحقيق الصلة بين الأسطورة والتجربة الشعرية"[1] والقصص هي:

أ-المهباش[٢].

ب-تسلية[٣].

ج-حصار[٤].

د-سهرة[٥].

هـ-حيلة[٦].

وتتحدث قصة المهباش من مجموعة الموت والزيتون عن القيم الاجتماعية المهدورة، وتدور أحداث هذه القصة في القرية، وزمانها في إحدى ليالي الصيف، فتصور عدم رضا الجد قطعياً عن إقامة الحفل لحفيده احتراماً للميت، وهي جارتهم "رحمة"، التي توافق موتها مع إقامة الحفل.

---

(١)علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،ط١،الشركة العامة للنشر،طرابلس،ليبيا،١٩٧٨،ص١٩٣.

(٢)باسم الزعبي،مجموعة الموت والزيتون.

(٣) باسم الزعبي،مجموعة دم الكاتب.

(٤) باسم الزعبي،مجموعة الموت والزيتون.

(٥) باسم الزعبي،مجموعة ورقة واحدة لا تكفي.

(٦) باسم الزعبي،مجموعة دم الكاتب.

غضب الحفيد ولعن روح المتوفاة، "لم يخطر ببالها أن تموت سوى الآن"[١]. لكن الجد رفض رفضاً قاطعاً إقامة الحفل، ولم يقتنع بحجج حفيده، حيث يقول: "في أي زمن نحن؟ و إلى أي قدر ننحط"[٢]، ثم يخرج الحاج متعب غاضباً معتقداً أن الأحفاد سوف يمنعون الحفل لكنّهم أصروا على إقامته، فأضيئت المصابيح عند المساء ورشت الساحة بالماء وتجمع الشباب إلى الدبكة، وبدأ عازف الشبابة يجرب ألحانه، وما أن سمع الحاج صوت الغناء حتى ذهب إلى الحفل ونظر إلى الجمع باحتقار، لكن لم يعره أحد أي اهتمام، توجه إلى العزاء وهو بحالة من الحزن والغضب، وجلس إلى مكان خال بجانب زوج المرحومة، وطلب من أحد أولاد المرحومة أن يأتيه بالمهباش، في حين كان الصمت قد حل بالمكان.

ثم يصور الكاتب أهل القرية وحمى الأسئلة تجتاحهم، فالحاج متعب لم يدق القهوة منذ سنين، فلم يدق الآن. ثم يرسم لنا الكاتب صورة متعب وهو يدق على المهباش نغمات تنم عن الحزن والأسى على ضياع هذه القيم الأصيلة، والتي تجذرت في صدور الناس أزمان طويلة، بدأ صوت المهباش يعلو شيئاً فشيئاً إلى أن علا صوت الدبكة، تسارعوا إلى المكان يقول السارد: "بدأ الإيقاع يثير لديهم أشجان حنين إلى الطفولة إلى القرية، إلى خبز الطابون ودلال القهوة وسهرات الصيف تحت عرائش العنب"[٣]. وتنتهي القصة بموت الحاج متعب وهو يدق على المهباش ويحوم بنظراته نحو الجميع وخاصة الصغار، ثم يصور خروج أهل القرى وهم يشيعون الحاج متعب، بينما جلس طفل صغير أخذ المهباش وراح يدق، يقول ـــــــ

(١)باسم الزعبي، المهباش، مجموعة الموت والزيتون.ص٣٣،

(٢)المصدر نفسه.صص٣٣،

(٣)المصدر نفسه.ص٣٥.

ِالسارد: "بدأت الدقات متعثّرة، مكتومة وشيئا فشيئاً، أخذت تنتظم وتعلو بنبرة واحدة"[1] حتى تناهى الصوت إلى أسماعهم وهم في المقبرة دقات قريبة من دقات الشيخ متعب بإيقاعها الحزين.

فالقصة تنبه على خطورة تجاوز قيم المجتمع السَّامية من قبل قيم المجتمع الفردي، الذي لا يقيس الأشياء من زاوية المصلحة الضيقة دون الاكتراث إلى مشاعر الآخرين الذين يعيشون معه في المجتمع نفسه. المهباش هنا يحمل دلالة رمزية، فهو أداة من التراث، يقوم مقام الصوت المحذِّر(ناقوس الخطر، أو الطبل)، وقد اختار الكاتب المهباش لأنه أداة تنتمي إلى تراثنا الأردني والعربي، في لفتة إلى التأكيد على أهمية الحفاظ على قيمنا الغارقة في التاريخ. والطفل الذي يدق المهباش أثناء وداع الشيخ دلالة على استمرار هذه القيم، وعدم توقفها أو ضياعها. قيمنا هي حياتنا التي تستحق أن نضحي من أجلها كما فعل الشيخ متعب.

وتصور قصة "تسلية" من مجموعة دم الكاتب، صورة الرجل المثقف الذي يؤمن بالخرافات وقراءة الأبراج وقبولها دون تفكير، وقد قسم الكاتب القصة إلى عشرة أجزاء يصور فيها سميح الشاب العصامي الذي كد سنين طويلة حتى أصبح يشار إليه بالبنان، فهو شاب مثقف يحمل أفكاراً وآراء سياسية خطيرة، ثم يصور الكاتب حواراً بين زميلين من أصدقاء "سميح" يتحاوران حول شخصيه.

ويبين الكاتب أثر هذه الاعتقادات الخاطئة التي يؤمن بها شخص مثقف وعصامي وجاد مثل "سميح"، وعندما دخل المدير على مكتبه أثناء العمل وقد استفحلت فيه هذه الخرافة وجد أخطاء فادحة في العمل، بل ومتكرّرة، وصاح به: " أنا لم أحضرك هنا لتخرب العمل وقذف الأوراق في وجهه هازاً إصبعه ومضيفا بحزم: أريدها اليوم، وإياك إياك والخطأ"[2].

---

(١)باسم الزعبي، المهباش، مجموعة الموت والزيتون.ص٣٥.

(٢)باسم الزعبي،تسلية، مجموعة دم الكاتب.ص١١١.

لكنّ "سميح" أصبح يقرأ الأبراج دون خجل، رغم الأخطاء المتكررة في العمل، وفي الجزء الأخير من القصة يؤكد سميح لأحد الأصدقاء قبل أن يفصل من العمل أنّ هناك عالماً أمريكيا أثبت صحة الأبراج وقراءة خطوط الكف والجبين وحتى فنجان القهوة.

ويبدو أن الكاتب ينتقد واقع كثير من المثقفين الذين يؤمنون بهذه الخرافات، كمحاولة استكشاف المستقبل الغامض عن طريق الأبراج والتنبؤ بما سيأتي به الغد، وما تؤدي به هذه المعتقدات الزائفة من تراجع لواقع الأمة ومثقفيها، ويبين الكاتب أن هذه المعتقدات مازالت راسخة عند كثير من الناس، وهي دليل على الجهل والتخلف، فالكاتب يستخف بقدرات أولئك المنجمين الذين يدّعون القدرة على كشف الغيب وفضح المستور.

ويواصل الكاتب باسم الزعبي تصويره لعادات ومعتقدات أهل القرية ومدى إيمانهم بالخرافات والخزعبلات التي توارثوها عن الأجداد، وهي دليل على الجهل الذي سيطر على مجتمعاتنا العربية، ففي قصة "حصار" تدور أحداث القصة عن الضبع الذي يصبح حديث أهل القرية وشغلها الشاغل، بعد اعتقادهم أنه سبب إسقاط فاطمة زوجة علي الراهب في الليل عندما كانت ذاهبة في الليل إلى "التمرجي" لعلاج ابنتها المريضة، فسرعان ما انتشرت هذه القصة في الصباح على ألسن النساء والصغار والكبار، ومنهم من قال عن زوج فاطمة علي الراهب: "أقسم أنه لو صرخ في وجه الضبع لولا هاربا، وستسمع ضراطه من أم اللوز"[١].

وتدور أحداث القصة على هذه الوتيرة بأحاديث طويلة، عن الضبع وعن البطولات التي تحدثها الأجداد عن مواجهته، بقيت القرية على هذه الحالة، ولم يجرؤ أحد منهم على الخروج ليلاً، وفي الليلة التالية "وحوش تهاجم حوش إبراهيم المفلح"[٢]، يختلط الأمر على ـــــ

(١)باسم الزعبي ،حصار،مجموعة الموت والزيتون ،ص٧٦.

(٢)المصدر نفسه،ص٧٧.

أهل القرية، هل ما حدث لفاطمة ضبع أم ذئب، ومنهم من قال: "أبو الحصيني، يا مساكين، الحجة عليا المستحية، رأته يخطف إحدى دجاجاتها، ويولي هاربا"[١].

بقي الحصار مشدداً على أهل القرية بقبضته القوية، والحوار يدور بين أبناء القرية، ولا أحد يجرؤ على الخروج ليلاً، وجدل لا ينتهي، بقيت القرية على هذه الحالة فترة طويلة، ولم يستطيعوا معرفة السر. يقول طه الهباهبة: "وبالرغم أن هذا الحيوان يعايش الإنسان معايشة حقيقية، إلا أن الإنسان الشعبي وضع بعض المعتقدات حوله، وخزّنها في وجدانه وبات يتحدث عنها حديث عن الغيبيات والأساطير، ومن المعتقدات التي حملها الرُّواة عن الضبع أنه يضبع الإنسان، حيث يضع قطرات من بوله على أطراف ذيله، فإذا استطاع أن يضرب بهذا الذيل المبلول وجه شخص ما، فإنه سيلحق بالضبع أينما يأخذه"[٢]. فالكاتب يلمس من خلال ذلك أن الضبع هو رمز لقوى خفية، تؤثر في الناس وتقودهم دون القدرة على لمسها أو حتى الإمساك بها.

وتصور قصة "سهرة" من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي، تصديق الخزعبلات والخرافات من قبل المثقفين وهي قريبة من قصة "تسلية" وتدور أحداث القصة في الليل وإطارها المكاني في أحد البيوت، وأشخاص القصة هم الزوج والزوجة، فعندما سمعت الزوجة صوتاً غريباً، قريبا من "الكومودينا" أسفل النافذة، هذا الصوت أقرب من زقزقة الفئران والعصافير، ولكن الزوجة أصبحت في حالة رعب تام، وأقسمت بأنها لن تنام في البيت ما لم تعرف السبب، حاول الزوج في سهرة ليلية معرفة مصدر الصوت، مفكراً في جميع الاحتمالات من فأر وعصافير وضفادع وحشرات، لكنه لم يعثر على شيء ثم يصور الكاتب حالة الزوجة التي يرثى لها، يقول السارد: "صرخت غاضبة، وأقسمت بأن لن ـــــــ

(١)باسم الزعبي ،حصار،ص٧٨.

(٢)طه الهباهبة، الحكاية الشعبية في محافظة معان، ط٢، دار الينابيع للنشر، عمان،١٩٨٨م، ص١٣٧.

تبقى دقيقة في المنزل، وانطلقت تدور بين الغرف وقد انسحب الدم من وجهها"[1]. لقد أيقنت الزوجة أن ما بداخل البيت إلا عفريت، لكن الزوج لا يؤمن بهذه الخرافات وبقي يبحث عن مصدر الصوت، وأنّه لا بدّ من حل هذه الليلة.

ويبرز الكاتب موقف المرأة المثقفة المؤمنة بهذه الخرافات، لكن الزوج أصبح في ورطة حقيقية، يقول السارد: "كان الصوت يزداد وضوحاً في سكون الليل، كنت محشوراً بين حجري رحى عجزي وخوفها"[2]. وتنتهي القصة بعد أن أحضرت الزوجة أغراضها من حقائب وثيرموس للطفل، وقررت الذهاب إلى بيت زوجها، سمع الزوج صوتاً قريباً من الأغراض، هتف الزوج "إنه صوت الماء الساخن في السخان"الثيرموس!!!".

وتصور قصة "حيلة" بعض معتقدات أهل القرية، حيث كانوا يعتقدون أن سعود الطالب شخص متزوج من جنية، وله منها سبعة أولاد، ويبين لنا الكاتب أن هناك صنفين من أهل القرية بشأن هذه الخرافة، الصنف الأول يأخذون هذه المسألة على أنها نوع من التسلية، أما القسم الثاني فكانوا يعتقدون أنها حقيقية، وعندما يقبل سعود الدايخ يسرع الصغار إليه حتى يكاد أن يختفي وهو يتحدث معهم عن الجنية وأولادها السبعة، بعدها ينتقل الكاتب إلى أحد الصغار المشدودين إلى القصة وهو "مؤيد" محاولاً معرفة السّر بعد أن قرر رؤية أولاد الجنية، تسلق منزل سعود الطالب من مكان خفي، رأى سعود الطالب منحنياً أمام الجدار الذي يفصل بينه وبين الجيران وينظر إلى "بدرة السالم"، يقول السَّارد: "كانت بدرة تجلس أمام لقن الغسيل، وقد رفعت ثوبها إلى ما فوق الركبة، وكشفت عن أفخاذ بيضاء صقيلة وأنزلت ثوبها على كتفها"[3]. عرف أهل القرية بعدها حيلة "سعود"، وسخره منهم.

---

(١)باسم الزعبي،سهرة، من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٧١.

(٢) المصدر نفسه،ص٧٠-٧١.

(٣)باسم الزعبي ،حيلة، مجموعة دم الكاتب ،ص١١٤.

فالقصة تشمل نقداً للخرافات الساخرة التي تسيطر على أذهان كثير من الناس، كالزواج من الجنيات وإنجاب أطفال منهن، خاصة في مجتمع القرية.

واستطاع باسم الزعبي في قصة "عدالة" من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة استلهام التراث الأسطوري بأسلوب جميل وممتع، وتتركز القصة على أسطورة "بروميثيوس" الذي عاقبه رب الآلهة "زيوس" لتصرفه رغم إرادته، بأن صلبه على الشجرة، تاركاً الطيور الجارحة تبقر بطنه.

فحارس المحكمة يقطع شجرة يتدفأ بها هو وأطفاله، فيوقع عليه القاضي أقسى العقوبات، وهي الحكم بالصلب على الشجرة حتى الموت، ولكن الحارس ظل حتى اللحظة الأخيرة مطمئنا إلى أنه لن ينفذ فيه الحكم، لسبب بسيط هو أن القاضي نفسه يعرف الحقيقة وهو الذي قال له: "لا ملكية في الماء والنار والكلأ، وكان أطفاله يتجمدون من البرد"[١] لكن الحارس لم يقل له: " دع أطفالي يستدفئون، سيأتي غيري ويشتري الغابة ويحول شجرها إلى حطب لمواقد الزينة في بيوتهم الفخمة"[٢].

---

(١)باسم الزعبي،عدالة ،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٩٨.

(٢)المصدر نفسه،ص٩٩.

ثانيا:القضايا السياسية

تناولت قصص باسم الزعبي موضوعات كثيرة ومتعددة، حملت في طياتها هموم الإنسان الأردني، وواقعه الوطني والقومي والاجتماعي، فانتقلت هذه الهموم المتعلقة بالفرد ورغباته، وقلقه إلى الهموم الوطنية ذات الطابع الوطني والقومي، فعبرت عمّا يعانيه الفرد ضمن الهموم الجماعية من دمار وقتل وحصار وحروب، وما تبع ذلك من هزائم متتالية، وظهور مشكلة اللاجئين والنازحين في فلسطين أعقاب نكبة عام ١٩٤٨م، ونكسة عام ١٩٦٧م، وحرب الخليج الأولى عام١٩٨١م والثانية عام١٩٩٠م والثالثة عام ٢٠٠٣م وجنوب لبنان وغيرها.

وقد انعكست آثار هذه الأحداث في قصص باسم الزعبي فبدت واضحة من خلال تشكيل النص ودلالاته، كما وركز على إبراز الجانب الوطني والقومي الذي يشغل فكر الأمة، يقول الدكتور نبيل حداد: "من النادر أن تخلو رواية أردنية، ولا سيّما تلك الأعمال التي صدرت في الثمانينات، من السياسة فقد اختلطت السياسة بالخبر في البلاد العربية بعامة و في دول المواجهة بصفة خاصة"[١]

فالمثقف العربي لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذه الأحداث التي هزت كيان الأمة، بل ناضل جنباً إلى جنب مع أبناء الأمة ضد الاستعمار الذي شكّل همّاً قوميا شغل أبناء الأمة العربية، يقول ياسين النصير: "وقارئ أدبنا العربي في الخمسينات والستينات والسبعينات، يجد نبرة التعاطف مع القضية الفلسطينية، غير النبرة التي تسود الأدب العربي اليوم، فلا نجد أديبا عربيا -خارج أدباء فلسطين- اليوم من يضع القضية الفلسطينية في المقدمة من اهتمامه، بل يجعل منها خلفية تاريخية لموضوعه المحلي"[٢].

---

(١)نبيل حداد، الرواية في الأردن ، فضاءات ومرتكزات،مرجع سابق ،ص٣١.

(٢)ياسين النصير،القضايا الوطنية والقومية في القصة الأردنية، مرجع سابق،ص١٤٧.

فهناك فلسطين عراقية، وفلسطين لبنانية وفلسطين سودانية، فطبيعة الواقع السياسي، تفرض على الإنسان العربي واقعاً محبطاً ومقلقاً يقول توفيق أبو الرب: " إنّ القصة صورت بصدق وعمق جرأة مشاعر العربي المثقف، الممتلئ بالإحباط والأحزان نتيجة لهول الهزيمة في حزيران"[١].

فجاءت هذه القصص صورة صادقة عن واقع الحياة السّياسية في البلاد العربية، في العصر الحديث، وقد عبّر عن نبض الشعوب العربية التي تتطلّع إلى تحقيق الحرية والعدل والمساواة، فكان لها الأثر الأكبر في بث الحماس في نفوس الشعوب والأحرار ضد المستعمرين.

فالزعبي لم يدّخر جهداً من خلال قصصه التي تناولت الهم الوطني والقومي، بل تفاعل مع هذا الواقع، متلمّساً المشكلات محاولاً وضع الحلول المناسبة لهذه القضايا التي تؤرق المثقف والإنسان العربي على حد سواء.

والقصص التي عبرت عن **القضايا القومية** هي:

أ-رواية الفصول الأربعة[٢].

ب-المنزل المطل على عبدون[٣].

ج-أحلام وآمال[٤].

د-الشيخ والأغراب[٥].

---

(١)توفيق أبو الرب،قراءات في الأدب الأردني،ط١،مطابع الدستور التجارية،عمان١٩٨٢،ص١٠.

(٢)باسم الزعبي، مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٣)باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٤)باسم الزعبي،مجموعة دم الكاتب.

(٥)باسم الزعبي،مجموعة.ورقة واحدة لاتكفي.

ففي قصة "رواية الفصول الأربعة" من مجموعة "تقاسيم المدينة المتعبة" ينتقد الكاتب باسم الزعبي موقف الإنسان العربي من أخيه الإنسان العربي المحبط الذي يعيش الحرب والدمار والقتل الإهانة والتشريد والاحتلال، وقد كتبت القصة عام ٢٠٠٣م أثناء سقوط بغداد، وهو يعاين بأم عينه ما يحدث لبغداد وهي تستباح، وقد دافعت عن شرف الأمة العربية، وعن الأقصى، ولم تتوانَ لحظة في تقديم العون والمساعدة إلى الدول العربية، فهي جزء لا يتجزأ من كيان هذه الأمة، وقد روت بدماء أبنائها الأرض العربية.

تتحدث قصة رواية الفصول الأربعة، عن كاتب ينتظر الوقت المناسب لكتابة روايته "هو ذا صيف آخر، وأنا أنتظر لحظة أطرزها في روايتي، لم أحظ بلحظة الفرح تلك، ولم تحظ أوراقي بكتابة صفحة واحدة من روايتي، ها أنذا أحسم أمري. لا بد أن أكتبها، قبل أن تتبخر الفكرة وتتفشى الحسرة في دروب حياتي"[١]، لكنّه كلما اقترب من البدء بالكتابة يأتي الظرف الذي يدفعه من تأجيل البدء إلى فصل آخر، وتمر الفصول الأربعة مرات عديدة دون أن يتمكن من كتابتها، رغم أنه كان يشكلها في ذهنه، فيحتار الكاتب من سيكون بطل الرواية، سيكون محامياً بماضٍ سياسي، أو يجعله ناشطاً يقود المظاهرات ضد أمريكيا وإسرائيل، أو يكون من رجال خمسينيات القرن الماضي. لكن الإجابة تأتي من واقع الحال الذي يعيشه الكاتب البطل المحبط، إذ ينتهي البطل بالهزيمة الروحية والمعنوية حين يصدمه الواقع الشرس، سقوط بغداد وضرب أفغانستان ودفن الحلم الفلسطيني بتأسيس دولة مستقلة، وفي النهاية يجلس بالبيت يقرقش البوشار ويتابع مع زوجته أحداث الفلم الأمريكي، فالأمر ببساطة أن البطل الكاتب قد ملَّ روايته التي لم تكتب، وتعب من كل شيء" الحياة، الأخبار، ولعبة الأعصاب المشدودة"[٢].

---

(١)باسم الزعبي ،رواية الفصول الأربعة، من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٥.

(٢)المصدر نفسه،ص١١.

ويصور الكاتب أمريكا وهي تحرض على الحرب ضد العراق، والعالم يقود المظاهرات الكاسحة ضد سياسة أمريكيا، وعدم جدوى هذه المظاهرات، كما وينتقد الموقف السلبي للإنسان العربي تجاه أخيه العربي الذي يعيش واقع المهزلة الأمريكية، ووقوفه مسلوب الإرادة غير قادر على التعبير حتى مع نفسه، فيصاب جراء ذلك بالكبتِ، الذي بالتالي يزيد من حنقه على الجبروت الأمريكي.

فالأحداث تجري في مستويين زمنيين: مستوى واقعي: زمن الكاتب وهو لحظة سقوط بغداد، وزمن القصة. أما الحدث فيسير عكس اتجاه الزمن. فالفعل في مستوى الزمن الواقعي لا واقعي(رغم أنه حدث) يسير عكس منطق الزمن الذي يفترض فعلا إيجابيا، وهو يناقض اتجاه الفعل المنطقي كما افترضته شخصية الكاتب في القصة وهو يصوغها ذهنيا.

وتمثل قصة "المنزل المطل على عبدون" من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة فكرة سقوط الوظيفة السياسية، وقد اتضحت هذه الفكرة من خلال انهيار الإتحاد السوفييتي مما يؤكد على زيف المواقف عند كثير من الأشخاص، فأحداث القصة تجمع علاقة ضبابية بين البطل الشاب "حماد" الذي درس في الاتحاد السوفييتي، بالفتاة الناشطة في الحزب الذي انظمَّ له، وتصرّ هذه الفتاة على العيش في أحد البيوت الحجرية المتهرئة في منطقة جبل عمان، وهذا المنزل يطلّ على المنازل الفخمة في الجانب المقابل من الوادي، وربما أراد الكاتب من ذلك أشارة إلى الصراع ضد الطبقية الذي تخوضه ناديا ورفاقها في الحزب.

يقول السارد: "ومع ذلك كلما نظر إلى عبدون شرد ذهنه بالمنازل الفخمة على الجانب الآخر من الوادي، لعن حظّه لماذا لم تكن ناديا تسكن أحد تلك المنازل؟!"[١].

وبانهيار الاتحاد السوفييتي -الذي كان صدمة للجميع- تنكشف أقنعة الرفاق، فمنهم من انبرى لانتقاد الاتحاد السوفييتي ونظامهم الديكتاتوري، ومنهم من أصبح نصيراً للديمقراطية، ومنهم من قبل بالمناصب الوزارية، ومنهم من طالب بالتخلي عن الأيديولوجيا، لذلك تترك ناديا الحزب وتصارح "حماد" بهذا القرار بقولها: "تأكد بأننا سوى أيتام نقتات على فتات ما يجود به السوفيات بشكل أو بآخر"[٢].

لكن ردّة فعل حماد جاءت على عكس ما يتوقع المتلقي، إذ يرحب بقرار ناديا، بترك الحزب فهو يختلف مع الفكر الشيوعي بل إنه يكرهه، حيث يقول: "فليذهب الاتحاد السوفييتي إلى الجحيم، لكن هذا الجسد الذي منحني الإحساس بإنسانيتي لا يمكن التخلي عنه"[٣]، فحماد يودّ أن يكشف سر علاقته بناديا، فقد انتهى كل شيء، لم يعد هو في جهة وهي في الجهة المضادّة، إنهما الآن عاريين من كل الأقنعة "اليسار واليمين، السلطة والمعارضة، الإيمان والإلحاد، الخير والشر، الأسود الأبيض"[٤].

---

(١)باسم الزعبي، المنزل المطل على عبدون، من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص١٢.

(٢)المصدر نفسه،ص١٥.

(٣)المصدر نفسه،ص١٦.

(٤)المصدر نفسه،ص١٨.

وفي نهاية القصة يعترف حماد لناديا بحبّه لها، والذي فاجأها بذهول، يقول السارد: " توقفت عن الكلام من فرط ذهولها، فالكلمة وقعت على مسمعها مثل برق أضاء سنيَّ العمر المضى للحظة، ثم يتركها في ذهول"[١].

أما قصة "أحلام وآمال" من مجموعة دم المكاتب، فتبحث في الوضع السياسي للإنسان العربي المثقف، ومعاناته من القوانين التي تضعها البلاد العربية، والتي تحد من حريّته، فهو إنسان مقهور ومأزوم ومحبط، ويعاني من الكبت نتيجة للقمع والتسلط، الذي يمارس ضدّه حيث يعاقب لأتفه الأسباب، بل يقتل حُلَّمه، وذلك حال "زيد" الذي يقوم على خدمة المجموعة "أصدقاء الوالد" دون أن يعيره والده أي اهتمام .

كان حلم زيد أن يصنع طائرة تطير بمحرِّك من خلال مقتنيات الوالد من لوازم الحدادة والمسامير والبراغي التي حرص الوالد على اقتنائها دون أن يستخدمها، كما يروي لسان السارد: "نبَّشتَ كل شيء يتصل بالطيران، أي جنٍّ ركبك، لقد عرفت سر صناعتها، تدبرت أمرك من الخردوات، الهيكل، العجلات، المروحة المحرّك"[٢] وبعد التعب والمشقّة والتفكير والصَّبر، أصبحت الطائرة جاهزة للطيران، وكان الوالد لا يفطن على ابنه إلا عندما يحتاج شيئاً منه، وفي إحدى المرات طلب منه أن يشتريَ له علبة تبغ، ذهب على فوره إلى الدكان، وعندما طلب منه البائع ثمن علبة التبغ، رعب الصغير، لأن النقود قد ضاعت، وعندما علم الوالد استشاط غضباً لاعناً مهدّداً، فنزلت عليه الجلدات من كل جانب. وتنتهي القصة عندما تمكن العم من تثبيت الأب وفرار زيد إلى أحضان أمّه، والتي راحت تدعوه لفك يديه المشدودتين، وعندما تمكن من فتحها تفاجأت الأم أن النقود مازالت بيده.

---

(١)باسم الزعبي،المنزل المطل على عبدون،ص١٩.

(٢)باسم الزعبي، أحلام وآمال، من مجموعة دم الكاتب،ص ٧٤.

يقول السارد: "لكن لسانك عُقِد، وظلت يدك ممدودة وعيناك مبحلقتين بقطعة النقد المغروزة في اللحم"[1]. وبذلك حطّم قلب زيد و أحلامه.

وركّز الزعبي من خلال هذه القصة على حقوق الأطفال وعدم إغفالها، وضرورة خلق ظروف مناسبة للطفل في ظل أهله، حتى لا يتأثر سلباً في المستقبل، بأن يهزم من الداخل، وتهتز شخصيّته، فهذه القصة كتاب إلى الأمة التي مستقبلها الأطفال، لاهتمام أكثر بالطفل ومراعاة مواهبه، والتأكيد على حقوقهم، فالكاتب ينبذ أمثال هذه التصرفات التي تتخذ بحق الأطفال.

كما هدف باسم الزعبي من وراء قصة "أحلام وآمال" إلى الوضع السياسي للمثقف والمبدع العربي، فهو يعاني القهر والكبت والحرمان والملاحقات من قبل الحكومات العربية، على الرغم مما تتمتع به، الأمة العربية من خيرات وثروات طائلة وإمكانيات هائلة وموارد لم يحلم بها شعب من الشعوب المعاصرة، إلا أن هذه الموارد تذهب سدى على الملذّات وعلى أشياء لا طائل منها، فهذه الطاقة الفكرية الهائلة تعطَّل، بل وتُقتل وبذلك يقتل الذكاء الجماعي، وتحطّم الآمال، وذلك كما حدث لأبي زيد الذي يصرف طوال وقته لشراء الهرايس، والتتن، واللعب، إلى أوقات متأخرة من الليل، دون الاكتراث إلى موهبة ابنه وتطويرها.

وتصور قصة "الشيخ والغراب" من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي الإنسان العربي الانتهازي صاحب المبادئ والقيم الذي يساوم في بيع وطنه من أجل المال والمصلحة الذاتية على حساب قوت الأمة وكرامتها، وقد رمز بذلك الكاتب إلى شخصيّات القصّة وأحداثها، والتي تصور "أبو حمزة" الغريب الذي يقود دبّه الضخم وقد زينت أقدامه ومخطمه بالودع، حيث يقوم بتقديم الإيعازات لدبّه، ملقّماً إياه قطعا من الحلوى بين الحين والآخر، ويقول ـــــ

(١)باسم الزعبي،أحلام وآمال،مصدر سابق،ص٧٩.

مستخفّاً بعقول أهل القرية: "صلُّوا على الذي مخطمه ودع"[١]، مشيراً بذلك إلى قوة الدب الذي يتحدى فيه قوّة أبناء القرية، فالدب باقٍ في القرية مادام يصرع الرجال، وبذلك يحقق الانتصار، ويجني الأرباح في احتفالات ساحة القرية.

وتقدم الكثير من أبناء القرية إلى الدب لكنهم لم يستطيعوا بطحه، وبذلك يكسب "أبو حمزة" الرهان. إلى أن تقدم الشاب "حمود" محروق البشرة، القادم من الحصاد، معتمراً حطَّة بيضاء، والذي يرمز إلى الإنسان العربي البسيط الغيور على كرامة أمّته، ويتحدى الدب، وصاحب الدب، والذي يرمز إليه الكاتب بالمستعمر الذي ينهب خيرات الأمة ويستغلها، وسط جموع أهل القرية من الرجال والنساء والصغار، وقد اختار الكاتب الدب كون أنَّ الدب من الحيوانات غير المألوفة "الغريبة" في البلاد العربية، يقول السارد: "اندفع حمود فجأة حاضناً الدب بيديه كلتيهما، شدّه بكل ما لديه من قوة وأماله إلى اليسار ثم طرحه أرضاً"[٢]، وبذلك ترتفع الهتافات، يقول أبو مازن صديق "حمود": "بعد اليوم لا تستطيع هلالة أن تلويَ أذنها"[٣]، اعتز حمود بشجاعته شاقا الطريق إلى مضافة "الشيخ فندي" زعيم أهل القرية، وبعد أن شرب القهوة، باشره القول: "أبو حمزة وجماعته أراذل أنه يستخف بعقول أهل البلد، ويهين النبي، ويبدو أنه طاب له المقام هنا، ما دام الناس أغبياء بنظره"[٤]، ولكن الشيخ فندي لم يتحرك من مكانه، وراح يقلب الجمرات في الموقد، يقول السارد: "أضاءت الجمرات وجهه فبان التماع في عينيه"[٥]. اصطحب الشيخ فندي حمود إلى أبي حمزة ـــــ

(١)باسم الزعبي، الشيخ والأغراب،مصدر سابق،ص٥٤.

(٢)المصدر نفسه،ص٥٦.

(٣)المصدر نفسه،ص٥٦.

(٤)المصدر نفسه،ص٥٦.

(٥)المصدر نفسه،ص٥٧.

وجماعته الذين انتهوا من تجهيز متاعهم للرحيل بعد الهزيمة، لكن الكاتب يصدم المتلقي هنا، بقول الشيخ لأبي حمزة وجماعته بقوله: "وما بالكم أن منحتكم أرضاً"[1]. وبذلك يساوم أبو حمزة شيخ العشيرة، ورمزها بكرامة أهل القرية نتيجة لحبه المال، وتغليب المصلحة الفردية والمنفعة على المصلحة الجماعية.

وقد اتخذ الكاتب شخصية "الشيخ فندي" صورة لأولئك الذين ينصبوا أنفسهم رموزاً وأصحاب مبادئ للأمةً-وهم كُثر- وهم في حقيقة الأمر أناس انتهازيون مستغلون، يحطُّون من قيمة الأمة، ويؤخرون ركبَها والتي تنظر إليهم الأمة بعين الإجلال والإكبار.

---

(١)باسم الزعبي، الشيخ والأغراب،مصدر سابق،ص٥٧

-القضايا الوطنية:

باسم الزعبي واحد من أبناء الوطن الذين يطمحون إلى التخلص من التخلف بكل أشكاله، من أجل مواكبة مسيرة التقدم، لذا فقد ضمّن في مجموعاته القصصية بعض القضايا الوطنية التي تعبر عما يجول في ضمير الكاتب ووجدانه تجاه هذه القضايا.

وتشمل القضايا الوطنية القصص التالية:

أ- تقاسيم المدينة المتعبة[١]

ب- ذات شتاء[٢].

ج- دينار والأصدقاء[٣].

د- الصعود حتى حافّة الحذاء[٤].

هـ- تضحية[٥].

و- جرأة[٦].

ح-ضمير[٧].

وتصور قصة "تقاسيم المدينة المتعبة" من مجموعة الموت والزيتون التحولات السياسية والاقتصادية بعد عام ١٩٨٩، عندما استؤنفت الحياة الديمقراطية في الأردن، واتجهت ـــــ

(١)باسم الزعبي،مجموعة الموت والزيتون.

(٢) باسم الزعبي،مجموعة الموت والزيتون.

(٣) باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٤) باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٥) باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٦) باسم الزعبي،مجموعة ورقة واحدة لا تكفي.

(٧) باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

السياسة الأردنية نحو تعميم المشاركة الأردنية في اتخاذ القرارات، وزيادة التواصل بين الشعب والسلطة، يقول أمين مشاقبة حول رؤية الأمير حسن بن طلال في الديمقراطية: "إن الديمقراطية الأردنية الأكثر حرية بين مثيلاتها في المنطقة، إذ يكنّ الأردن احتراماً لحقوق الإنسان، باعتبارها مرجعا جوهرياً للغاية، إذ أن حرية الرأي والتعبير وتبني الآراء السياسية والمعتقدات الدينية تشكل الأرضية الصلبة للتعددية الليبرالية"[١]. حيث عملت الحكومة على تعميق النهج الديمقراطي، ورفع سقف الحريات، وكذلك أرادت الحكومة مراجعة شاملة للتشريعات، مثل إلغاء الأحكام العرفية، وإصدار قانون الأحزاب والمطبوعات وغيرها.

وقد انتقد باسم الزعبي من خلال هذه القصة الفهم الخاطئ من قبل كثير من الناس لمبدأ الديمقراطية، وعدم القدرة على استيعابها وتطبيقها بالمعنى المطلوب، فالطابور طويل جداً من قبل المواطنين الذين ينتظرون الحافلة على أحر من الجمر، والناس يحتمون من أشعة الشمس اللاهبة بأشياء بسيطة، كحقيبة أو كتاب أو مجلة أو غيرها، لكن هناك الكثير من المتربصين الذين يودون الصعود إلى الحافلة دون تكليف، وقد رمز لهم الكاتب بالذين يعيقون سير الديمقراطية الجديدة على البلاد، فالطابور لم يكن معهوداً من قِبل المواطنين، لكنه اليوم أصبح وضعاً طبيعياً في مركز الحافلات، ويقف في الطابور شاب يحمل جريدة يتقي بها حر الشمس، وقد كتب عليها "الديمقراطية ركيزة"[٢]، يحترم الدور والهدوء دون أن يصدر صوتاً أو تذمراً، فهو يمثل الإنسان التي يحترم الديمقراطية والنظام، ويطبقها على أرض الواقع، وقد جعل الكاتب المهمة الأولى إلى الطبقة المثقفة.

---

(١) أمين مشاقبة،الحسن بن طلال المفكر الإنسان،وزارة الثقافة،عمان،١٩٩٨.ص٢٨-٢٩.

(٢)باسم الزعبي،تقاسيم المدينة المتعبة،مجموعة الموت والزيتون،ص٣٨.

وعندما جاءت الحافلة، اقترب المتربصون ودخلوا الحافلة بعد المزاحمة، وبقي الشاب الذي يحمل الجريدة، والنساء وكبار السن على هذه الحالة، إلى أن أتت الحافلة الأخرى ولكن الفوضى بدت تعم، إلى أن صاح رجل عجوز، بقوله: "اللعنة على هذه الحال، لا فائدة من النظام، فالذي يحترم النظام يظل ملقى على قارعة الطريق، والذي لا يحترم النظام يصل بسهولة"[١]، إلى أن خرج شاب قوي البنية ظهر فجأة أمام الطابور وتوجّه إلى الركاب بحزم شديد، بقوله: "يا أخوان الدور للجميع، ثم تقدم من شاب دخل وسط الطابور، وأثار احتجاج بعض الركاب، وطلب منه الخروج والعودة إلى آخر الدور، أذعن الشاب للأمر وسط ابتهاج الواقفين الذين راحوا يشكرونه، ويشكون له، ويرجونه ضبط الدور"[٢].

بعدها ألقى الشاب خطبة عن الدور والنظام والأخلاق نتيجة الإطراء من قبل الركاب، وتنتهي القصة بالمفارقة الساخرة، عندما تأتي الحافلة الأخرى، ويندفع الشاب المنظّم إلى داخل الحافلة، يقول السارد: "سوّى من جلسته، واستدار نحو السائق ودخل معه بحديث دون مقدمات"[٣].

فالكاتب يدعو إلى تعميم العمل الديمقراطي المتمثل بالنظام، وكراهية الفوضى، فالديمقراطية كما أرادها الكاتب التحضّر، والحرية ولكن ليس على حساب الآخرين، فعندما يحرم الإنسان حقه بعدم تحقيق العدالة والمساواة، فإنه يحبط وبالتالي يفقد الأمل ويحقد على المؤسسات، وبالتالي يضعف إيمانه بالعمل الديمقراطي.

وتصور قصة "ذات شتاء" من مجموعة الموت والزيتون الثورة الاجتماعية والاقتصادية في الأردن ثم الانهيار، وذلك منذ بداية السبعينات وحتى منتصف الثمانينات من القرن ـــــــ

(١)باسم الزعبي،تقاسيم المدينة المتعبة،ص٤١.

(٢)المصدر نفسه،ص٤١.

(٣)المصدر نفسه،ص٤٣.

الماضي وبالتحديد حتى عام ١٩٨٧، وما طرأ على الحياة في المجتمع الأردني من تغيرات كبيرة في شتّى مجالات الحياة، حيث كانت الأسباب كثيرة منها حرب الخليج الأولى عام١٩٨٠الحرب "العراقيَّة الإيرانية" وكذلك إلغاء المساعدات العربية إلى الأردن، وارتفاع نسبة التضخم، والهجرة من القرية والريف الأردني إلى المدينة، وذلك ما حصل لمحسن الذي ترك الأرض، وباع جزءا منها ليشتري "شاحنة" عن طريق الأقساط البنكيَّة، معتقداً بذلك أنّه سيحسن من ظروف الحياة الصعبة التي يعيش، لكن التغيرات فاجأت الجميع، فصاحب الشركة استرد الشاحنة بعد أن عجز "محسن" عن تسديد الأقساط، فساءت حالته النفسيّة ، يقول السَّارد: "مطر.. مطر.. مطر. ينهمر كرشاش حمام طوال الليل لم يتركني أنام، والآن يسجنني بين جدران تطبق على روحي ..أغرس رأسي تحت الغطاء، وألعن نفسي، تتجاوب اللعنة في تجويف الرأس ويعلو صداها"[١]، و وأصبحت زوجته رسميَّة تولول على حياتها نتيجة البرد والجوع، ونقص لوازم البيت. وتنتهي القصة بخروج محسن في الطقس الماطر الشديد البرودة، يضحك تارة ويبكي تارة أخرى.

وتصور قصة "دينار والأصدقاء" من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة غياب القضايا الوطنية بالنسبة لطبقة أصحاب رؤوس الأموال والذين لا يعرفون سوى متعهم ومصالحهم، في الحياة، يقول سليمان الأزرعي: "لقد ضاقت دوائر انتماء الفرد ومسؤولياته، ولم يعد وطنه، ومجتمعه مهماً بنظره، إلا بمقدار ما يؤمن له –كمظلة اجتماعية- استمرارية مصالحه الفردية الطبقية، وغدت حقيبته مصالحه ووطنه"[٢].

وتبدأ القصة بتلبية الجميع للدعوة التي أقامها رجل الأعمال الكبير السيد "ربحي" ولم يتغيب في الحفلة سوى "كساب" الرجل الفقير، فقدم السيد ربحي كل ما يليق بكرم الضيافة ــــــ

(١)باسم الزعبي،تقاسيم المدينة المتعبة،مجموعة الموت والزيتون،ص٦٧.

(٢)سليمان الأزرعي"الاغتراب المديني في الرواية الأردنية،مجلة عمان،العدد٣٥،ص٤١.

لدى رجل أعمال كبير مثله من طعام فاخر وبدأت الحفلة ودينار المرأة الجميلة بينهم، يقول السارد: " علتِ الموسيقى، اندفع الشباب اندفاع الفحول نحو الحلبة ورقصوا دون ملل، ودينار وسطهم تدور بفستانها مثل فراشة"[١]، ولكن الموسيقى توقفت فجأة، وقبل أن يحتج المحتفلون، أعلن ربحي عن وفاة كساب الفقير، وكاد الخبر أن يفسد عليهم ليلتهم، لكن الحفلة استؤنفت من جديد، يقول السارد: "تحركت الأقدام، ارتفعت الأيدي، اهتزت الخصور، وتلوت...عادت دينار سيدة الموقف"[٢].

وتحضر السخرية الناقدة في قصة "الصعود حتى حافة الحذاء" من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة، حيث تصور قصة البطل الذي يحب منذ الطفولة بناء الأبراج، حيث يكبر وتكبر هوايته، ففي مرحلة المدرسة لم يقبل إلا أن يكون في الأول في صفه، حتى لو تدخّل أهل الأهل لدى إدارة المدرسة، وفي مرحلة الجامعة يسكن في أعلى طابق في العمارة "الروف" ولم يكن يتناول الطعام إلا في مطعم البرج المشرف على المدينة، وبعد التخرج عمل مستشاراً بفضل نفوذ والده، وظل على هذه الحال لا يقتنع أو يرضى بأقل من القمّة، يقول السارد: "بقي طابق أعلى مني، هناك منصب لم أصله بعد، لا أريد أن أبقى انظر إلى الأعلى، يجب أن يكون كل شيء أسفل منّي، المدينة والناس والرجال، والنساء...آه ما أمتع أن يكون الرجال تحت حذائك والنساء على سريرك"[٣]. وعندما قرر أن يصعد الطابق الأخير الأعلى منه، اصطدم رأسه بحذاء كبير، غطى سطح الغرفة، وقام بطريقة تراتبية يقول السارد: "حنى رأسه، ثم راح يمسحه بقدم صاحب الحذاء مثل هر"[٤].

---

(١)باسم الزعبي،دينار والأصدقاء،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٤١.

(٢)المصدر نفسه،ص٤١.

(١)باسم الزعبي، الوصول حتى حافة الحذاء،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٨٢.

(٤)المصدر نفسه،ص٨٢.

فالكاتب يرفض الواقع من خلال استخدام السخرية الناقدة، واستخدام عنصر المفاجأة، الذي يثير لدى المتلقي البسمة في بداية القصة، ثم التساؤل والتعجب بعد ذلك. حيث استطاع أن ينتقد هؤلاء الوصوليين، الذين يودون الوصول على تحقيق أمنياتهم بأي طريقة وبأي ثمن كان، حتى لو تحكم عليهم بلوغ مرادهم بالطرق اللا أخلاقية، أو كما يسميها الكاتب تراسانات الوصول إلى المنصب، مثل: المال، والنساء، والعضلات، والدماغ، والدهاء، والخديعة، والخيانة، والرشوة، والمؤامرة، والنفاق وغيرها.

وتنتقد قصة "تسلية" من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة، جهل القيادة، فيرى الكاتب أن القيادة والزعامة وحدها لا تكفي بل تحتاج، إلى العلم والمعرفة، فالكاتب ينتقد بطل قصته "زعيم القرية" الذي انصاع لأوامر أهل القرية باعتقادهم بوجود كنز كبير في "المغارة" بأسفل الجبل، فهذه الخرافة تسيطر على عقولهم منذ زمن طويل، وتوارثا الآباء عن الأجداد، ولكن هذا الزعيم بدل أن ينتزع هذه الخرافة التي تسيطر على عقول أهل القرية، انصاع لأمرهم ودخل المغارة، لكنَّه غاب وقتاً طويلاً، دخل بعدها الرجال لإنقاذ زعيمهم واحداً تلو الآخر، لكنهم لم يخرجوا جميعاً، يقول السارد: "بعد أيام كانت تنبعث من المغارة رائحة جثث حادة خانقة"[1].

وتمتدح قصة "جرأة" من مجموعة ورقة واحدة لاتكفي، قيمة التحدي وقول كلمة الحق مهما كان الثمن، حتى لو أدى ذلك إلى حتفه، فقد حقق باسم الزعبي هذه القصة مما ألفه الشعب لقيمتها، فكبير القوم بهر بالهدية التي تلقاها من أحد ولاته في الأمصار، وهي قطعة من أفخر أنواع القماش، فأشار عليه كبير المستشارين بخياطتها، وعندما عاين كبير الخياطين القطعة قال إنها لا تكفي لثوب، وحين غضب كبير القوم، طلب المزيد من ـــــــ

(١)باسم الزعبي، تضحية،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٧٦.

الخياطين، لكن الإجابة كانت نفسها، وحين طلب آخر خياط ماهر، قال الخياط عندما رأى القطعة: "كيف يا مولاي لا تكفي إنها تكفي وتزيد"[1]، وعندما عاد الخياط بعد يومين من

الانتظار من قبل كبير القوم والحاشية وكبير المستشارين على أحر من الجمر لإرضاء كبير القوم، لبس كبير القوم القطعة، لكن يا لهول ما صنع الخياط الجريء، فقد كان الثوب قصيرا بشكل كبير، ومضحك للغاية، غضب كبير القوم باستهزاء الخياط به وقال له بعدما طلب أصغر تابوت، اختر الطريقة التي ستوضع بها بالتابوت، لكن الخياط قال بكل جرأة: "الموت واحد يا سيدي"[٢]. فرؤية الخياط تكمن في رؤية الحقائق كما هي، لا كما يراها الصغار.

وفي قصة "ضمير" من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة، ينتقد الكاتب أولئك الذين تبنوا فكرا سياسيا وناضلوا من أجله دفاعا عن قضايا تهم الوطن، ولكن سرعان ما انقلبوا ضد مبادئهم عندما طمعوا بالمنصب، فيصفهم الكاتب بالانتهازيين والوصوليين، فالكاتب الذي درس في الاتحاد السوفياتي، وعرف الرفاق الذين يدافعون عن المبادئ، وعندما انهار الاتحاد السوفياتي، تكشفت أقنعة الرفاق، فمنهم من أصبح نصيراً للديمقراطية، ومنهم من قبل المناصب الوزارية في الدولة كما حصل لوالد رانيا الوزير، الذي قبل المنصب الوزاري وتخلى عن ماضيه الثوري والرومانس، فهو اليوم يدير المؤتمرات ويدافع عن واقعه الجديد، لكن الوزير يفاجأ بوجود صديق قديم يبدو أنه معارض اسمه "كريم" في بيته بعد إحدى المؤتمرات الساخنة التي كان يديرها، فكانت المفاجأة صفعة على الوجه بالنسبة لهذا الوزير لأن هذه الزيارة ذكرت الوزير بماضيه الثوري، فشعر الوزير بالخيانة وتأنيب الضمير.

---

(١)باسم الزعبي،جرأة، مجموعة ورقة واحدة لاتكفي،ص١٠١.

(٢)باسم الزعبي، جرأة،ص١٠٤.

ثالثاً: القضايا الفلسفية الوجودية:

يقصد بالقضايا الفلسفيّة الوجودية، تلك القضايا التي تصور وجود الإنسان على الأرض، سبب وجوده، وما يجري له من أحداث حتى الموت، مبينة المصير الذي يختاره، فالإنسان فرداً قبل أن يكون مجتمعاً، فهو يتحمل مسؤولية ذلك الاختيار "ومن حقه أن يختار قيمة وطريقة حياته، ومن وجوده الذاتي يستمد معاييره الخاصّة"[1].

وينتمي باسم الزعبي إلى الجيل المعاصر، حيث بدأ نشاطه الأدبي في تسعينيات القرن الماضي، وهو قاص لديه رؤية فلسفيّة بعيدة، يسعى لكشف فلسفة العقل البشري، وحقيقة النفس البشرية، وعن تفسيرات فلسفية لمعاني الحياة وقيمها، واتجه إلى مسائل إنسانية عامة تتعلق بالوجود، وعبثية الوجود، ولا جدوى الحياة، والنظرة المادية للحياة، ومسألة الخلود.

ويلاحظ أن هذه القضايا الفلسفية تحتل حيزاً كبيراً من إنتاج باسم الزعبي، فالزعبي يحمل فكرة تغيير الواقع إلا أن شخصيات قصصه تنزع نحو فكرة عبثية الوجود، هذه المفارقة برزت عند إصدار الكاتب المجموعة الثانية تأتي أسماها "ورقة واحدة لا تكفي".

وقد ركّز الكاتب في القضايا الفلسفية الوجودية، على قضية الاغتراب، ليبيَّن ما يعانيه الإنسان من القمع والتفكك وعدم الاستقرار، ويلاحظ أن الزعبي لم يفرد قصصاً كاملة تتحدث عن الاغتراب، بل جاء حديثه موزعا بين ثنايا قصصه، ثم على قضية أخرى وهي "الرؤية الفلسفية الوجودية".

---

(١)نهاد التكرلي، التحليل النفسي الوجودي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ،العدد١٣، ١٩٨١، ص١٠٠.

١-الاغتراب:

قبل الشروع في الحديث عن الاغتراب، وفلسفته في قصص باسم الزعبي القصيرة، لا بد لنا من التعرف إلى معنى الاغتراب في اللغة والاصطلاح.

أما من حيث اللغة، فقد ورد في المعجم الوسيط أن "اغترب: نزح عن وطنه، واحتدَّ، ونشط، وفلان تزوج من غير القارب، وتغرَّب نزح عن الوطن"[١]. ومن حيث الاصطلاح، فهو "الفيض من الضياع والشجن، والإحساس بالقهر والانهزام ورفض الواقع، والانسحاق تحت جبروته"[٢]. إذ يعاني الإنسان من العجز والضياع والغموض والشجن فالاغتراب "شعور بفقدان الصلة الأساسية، بين عالم الواقع وعالم الحلم وهو ناتج عن التناقض والتصادم بين الواقع كما هو موجود وبين الحلم كما هو مطلوب"[٣]. ويعرفه عبد اللطيف خليفة بأنه" انعدام الشعور بمغزى الحياة فينتج عنه فتور العلاقة الحميمة مع الأوضاع والأشخاص المحيطين"[٤].

والاغتراب نوعان، اغتراب مكاني واغتراب زماني، أما الاغتراب المكاني، فنعني به "ذلك المعنى المباشر والملاصق لاستخدام الكلمة، وهو الإحساس الذي يشعر به الإنسان عن بعده عن وطنه، هذا النوع من الاغتراب نراه ممثّلا في الشعراء الذين هجروا أوطانهم

---

(١)مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الثاني ،ط٣، مصر.ت، ص٦٧١.

(٢)محمد زكريا عناني،الاغتراب في رواية محمود حنفي، مجلة فصول-مجلة النقد الأدبي،تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد١٢،العدد الثاني،١٩٩٣،ص٣٢٥.

(٣)عبد اللطيف خليفة،دراسات في سيكلوجيّة الاغتراب،دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع،القاهرة،٢٠٠٣ ص٢١.

(٤)بسام خليل فرنجيّة، الاغتراب في الرواية الفلسطينية، مراجعة خليل أحمد، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت،ص٢٧.

وديارهم وانتقلوا إلى أرض لم يألفوها فعاشوا فيها غرباء، يعانون آلام الفراق والشوق والحنين إلى أوطانهم التي لا تفارق صورتها خيالهم"[١]. ويأتي أحياناً عندما يكون الأديب "مغترباً مهاجراً إلى بلد أجنبي أو عربي، بما يصحبه من بعد عن الأهل والوطن"[٢]. فهذا النوع من الاغتراب أقرب إلى المعنى اللغوي، وهو البعد والنزوح عن الأهل والوطن.

أما النوع الثاني من أنواع الاغتراب فهو "تلك الحالة النفسية التي تصيب الإنسان داخل وطنه في مرحلة زمنية مواتية، تجعله يشعر بالغربة بين أهله وذويه"[٣]، فيرى بعض الباحثين في هذا النوع من الاغتراب بأنه "نوعا من الانفصال عن المجتمع وثقافته"[٤].

وقد تضاعف إحساس الكاتب بالغربة، عندما عاد من الاتحاد السوفييتي الذي درس فيه، فوجد أن الحياة قد تغيرت، فعالم قرية الكاتب التي كانت تحملها الذاكرة قد محيت، فالتغيرات التي حصلت على المكان لم تكن بالاتجاه الأفضل، رغم ظاهرها، فالكاتب يعد أن مكان الأردني أقل من عمر ساكنيه، بالاختلاف عن العديد من الأمكنة في العالم المحيط بنا، فالزعبي يرى أن المكان قد حافظ على ذاته في الذاكرة بشكل أقوى مما هو في الحياة، فكانت الكثير من قصص الكاتب تحمل محاولات ذاكرة استعادة المكان قصير العمر.

---

(١)عبد الرحمن الهويدي،الغربة في شعر المتنبي، مجلة الكوفة،المجلد٥،العدد١، ٢٠٠١،ص١٨.

(٢)معجم اللغة العربية،المعجم الفلسفي،ط١،هيئة المطابع الأميرية،القاهرة،١٩٨٣،ص١٦.

(٣)عبد الرحمن الهويدي،الغربة في شعر المتنبي، مرجع سابق،ص١٩.

(٤)قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، مجلد١٠، عدد١، الكويت،١٩٧٩ ص١٧.

يقول سليمان الأزرعي عن المبدعين في الأردن بأنهم "ينحدرون من أصول قروية، أنهم يعيشون المدينة بأبعادها الاجتماعية والثقافية والحضارية غير أنهم لا زالوا يحملون بين جوانحهم قيم الريف الوادع" أو فروسية البادية، ولا يحتملون ضغوطات المدينة بمخرجاتها الاجتماعية والإنسانية، لهذا نرى أولى صور الاغتراب في الرواية الأردنية، تتمثل في الموقف العدائي من المدينة بوصفها هجوماً حضارياً لتكوين اجتماعي مدني على قرويتهم الأصيلة"[١].

وزاد شعور الكاتب بمرارة الاغتراب من خلال الواقع الذي يعيشه، فهو واقع مليء بالتناقضات والتخلف والزيف، هذا الواقع يعاني من القسوة والألم، حيث امتطى الزمان فيه أناس مزيّفون وانتهازيون حتى النخاع، فهو كما يراه الزعبي واقع متلون بلون الدم والمعاناة.

فيقف مأزوما متألماً يحس بالضعف والسلبية تجاه ما يحدث لأخيه الإنسان العربي، من حرب وقتل واستلاب وتشويه، وتدمير للحياة الإنسانية، كما حدث للعراق ولبنان وما يحدث لأبناء فلسطين كل يوم، فيحاول تحريك السكون في جوف الأمة الميتة، فهو من الذين امتلكوا "أدوات فنية ثقافية زمنية مكنتهم من الخوض الواعي في تقليب أحوال الأمة، وأزماتها السياسية، وهمومها الاجتماعية، فكانت رواياتهم صرخات حية تحاول وضع الإصبع على الجرح، ومن ثم محاولة علاجه"[٢]

---

(١)سليمان الأزرعي، الاغتراب المديني في الرواية الأردنية، مجلة عمان، العدد الخامس والثلاثون، عمان، ص١٥.

(٢)عيسى العبادي، مضامين الرواية الأردنية ١٩٦٧-١٩٩٠ ،دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص٢١٩.

والقصص التي عالجت هذه القضيّة هي:

أ-رواية الفصول الأربعة.[١]

ب-هشاشة.[٢]

ج-غزالة.[٣]

د-شقائق النعمان.[٤]

هـ-المهباش.[٥]

و-حالة.[٦]

ففي قصة رواية الفصول من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة، يظل بطل القصة ينتظر الوقت المناسب لكتابة روايته، وتتقلب الفصول الأربعة، وهو عاجز عن الكتابة، فهو لا يستطيع كتابة روايته، نتيجة الظروف النفسية الصعبة والقاسية التي يعاني منها الكاتب، والتي حالت بين الكاتب وروايته، يقول السارد: "هو ذا صيف آخر، والصيف الثلاثون، ثلاثون مرة أجا وراح الصيف، وأنا أنتظر لحظة فرح أطرز بها روايتي"[٧]. فالكاتب يحس باغتراب نفسي واجتماعي كبير نتيجة الظروف التي تعيشها الأمة العربية، فبغداد تسقط، والحلم الفلسطيني يدفن، والأمة تعيش حالة من الضياع التام.

---

(١)باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٢) باسم الزعبي،مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة.

(٣) باسم الزعبي،مجموعة ورقة واحدة لا تكفي.

(٤) باسم الزعبي،مجموعة دم الكاتب.

(٥) باسم الزعبي،مجموعة الموت والزيتون.

(٦) باسم الزعبي،مجموعة الموت والزيتون.

(٧) باسم الزعبي،رواية الفصول الأربعة،ص٥.

يقول السارد عندما سقطت بغداد: "بغداد سقطت، آخر ضربة على الرأس مثخنة"[1]، وتزداد غربة الكاتب النفسية، عندما يرى أمريكيا وهي تتسيد العالم، والعالم يعيش بقطب واحد، فهي تدمر العراق وأفغانستان، وتدفن الحلم الفلسطيني بإقامة دولة مستقلَّة بحجج كاذبة، ويزداد سخط الكاتب واغترابه النفسي وعزلته، عندما يرى حال أبناء الأمة العربية وهم مسلوبو الإرادة، ويقفون كالأصنام محنطين ومصابين هم أنفسهم باغتراب شديد، لا يستطيعون حتى التعبير تجاه ما يجري للأمة من أحداث.

ويبقى الكاتب فاقداً لذاته، غارقاً في غربته، تائهاً بين الحقيقة والخيال، حتى ملَّ روايته، وتعب من كل شيء، يقول السارد: "لقد مللت روايتي، مللت بطلي المحبط، تعبت من كل شيء: الحياة، الأخبار، ولعبة الأعصاب المشدودة"[2].

ويصور الكاتب في قصة "هشاشة" من مجموعة تقاسيم المدينة التعبة، بطل القصة الذي يسكن في المدينة، ويفاجأ حين يعود إلى البيت بعدم وجود الماء، وبدأ رحلة البحث عن الماء في كل مكان لكنّه لم يجد جرعة ماء تفك ضمأه يقول السارد: " فتح الثلاجة. لا ماء فيها، صاح لم يجبه أحد، خبط باب الثلاجة وأسرع إلى الحنفية، رغم أنه لا يشرب منها أصلا، فتحها، لا ماء، ضربها بيده غاضباً، توقَّف لحظة وسط المطبخ، مفكراً، توجّه إلى الحمام، فتح حنفيّته،لا ماء. عطشه يتعاظم، يزداد، يتعاظم، يحيله إلى وحش"[3]، فهو يعاني مجتمعاً غريبا، وهو مجتمع المدينة، فبطل القصّة، ينحدر من أصول قروية، ويقف موقفاً سلبياً من المجتمع المدني الصناعي الذي يعيش فيه، لذلك فهو يحب الطبيعة الهادئة والنقيّة، ويحمل ــــــــــ

(١)باسم الزعبي رواية الفصول الأربعة،مصدر سابق،ص١٠.

(٢)المصدر نفسه،ص١١.

(٣)باسم الزعبي ، هشاشة، مجموعة تقاسيم المدين المتعبة،ص٧٨.

بين جوانحه قيم الريف الوادع، يقول بطل القصة أثناء بحثه عن الماء: " هنيئاً لمن لديه بئر ماء في الدار، يا إلهي، ما أطيب ماء البئر! الآن تظهر قيمة البئر، ولكن من يا ترى أبقى لديه بئراً؟ الجميع وضعوا خزانات، وحوّلوا آبارهم إلى خزانات للمياه العادمة"[١] فجاءت هذه القصة فانتازيا على شكل كابوس تعكس حياة الاغتراب في الحياة المدنية، وتكشف هشاشة الشخصية المدنية المعاصرة، التي أصبحت تعتمد في حياتها على شروط الحياة الصناعية، فلم تستطع تلبية أبسط احتياجات الحياة، الماء، فبطل القصة يعيش اغتراباً نفسيا حاداً في مجتمع المدينة التي أحدثت شرخاً كبيرا في نفسيّته، وجعلته يعيش حالة حادة من الفصام.

ويرسم الكاتب في قصّة "غزالة" من مجموعة "ورقة واحدة لا تكفي" صورة لمعاناة غزالة، تلك المرأة التي هجرها زوجها، ودارت الشبهات حولها عندما انتشرت الإشاعات في القرية بأن صبحي الفرّان يحب غزالة زوجة المغترب "سامي الكايد" وسرعان ما وصل الخبر إلى دار أهلها "دار مزعل" الذين ما أن سمعوا الإشاعة حتى قرَّروا تزويجها قسراً من "فلاح الحجي" الذي طلب يدها، لكن غزالة رفضت الزواج بتاتاً، فهي تربي صغارها وتنتظر زوجها المغترب في ألمانيا، وما أن سمع أخوتها الجواب حتى انهالت عليها الضربات واللكمات و الشتائم المقذعة، يقول السارد: " ارتجف جسدها كورقة شجر غضّة، أمام ريح لا ترحم"[٢]. وتحيا غزالة حياة الاغتراب الذاتي والعزلة عندما حبست في غرفة طينيّة حقيرة لا يدخلها النور، فلم تعد ترى شيئاً بالنسبة لها سوى ذكريات من الماضي، يقول السارد: "كانت بهيئة اللقلق الأبيض وأبناءها بهيئة الحمام الأبيض"[٣].

---

(١)باسم الزعبي، هشاشة،ص١١.

(٢)باسم الزعبي، غزالة،مصدر سابق، ص٢٦.

(٣) المصدر نفسه،ص٢٦-٢٧.

فتحيا غزالة الاغتراب والوحدة والعزلة والظلم الذي تستشعره نتيجة شعورها الحاد بالانفعال السلبي، حيث فقدت الحرية وأبناءها وزوجها في ظل تقاليد مجتمع لا يرحم، وقد أدى بها الاغتراب إلى حالة نفسيّة صعبة، يقول السارد: " يبيضُّ رأس غزالة وروحها التي أصبحت شفّافة تترقرق فيها الأشياء"[١]، وبدأت صحة "غزالة" تتدهور شيئاً فشيئاً، إلى أن ماتت مسمومة على يد امرأة غريبة بالاتفاق مع أولاد مزعل في القرية، يقول السارد: " صرخة ألم تصدر من غرفة غزالة...يخفق الأنين شيئاً فشيئاً، وفي السماء كانت أسراب من طائر مالك الحزين ملأ صوتها الفضاء وطغى على صوت الأنين"[٢].

ويصور الكاتب في قصّة "شقائق النعمان" من مجموعة دم الكاتب، معاناة غادة العراقية زوجة جبّار عندما هاجرت مع زوجها قسراً إلى عمان زمن الحصار، وهي تعاني الاغتراب الذاتي، وتعيش حياة القهر والحرمان والحاجة، وتلاقي غادة الصعوبات الكثيرة أثناء عيشها في جبل الجوفة بعمان، حيث انهزام الزوج، وتحوله إلى الخمر، ونسيان عائلته وتسليم نفسه للضياع ، تقول غادة: "كان يتركني في الصباح ويعود آخر الليل مخموراً لا أراه، ولا يرى أولاده، ولا يترك لنا مالاً، عضّنا الجوع"[٣]. فزادت الخلافات بين غادة وجبار، حيث بدأت بالصراخ، لكن لا جدوى، بدأت غادة تتدبّر أمرها، فهي تحمل دبلوم لغة انجليزيّة، تقول: "كم شعرت بالذل والمهانة وأنا أطرق باب الجيران"[٤]، فوقعت غادة بين فكي مفترس الاغتراب،وضياع زوجها جبار، فتشعر بالاغتراب وهي تعاني قسوة الحياة الجديدة، ويتنامى الاغتراب لديها عندما حاول ابن الجيران اختراق البوابة معلنا مشاعره تجاه ــــــــــ

(١)باسم الزعبي، غزالة، مصدر سابق،٢٦.

(٢)المصدر نفسه،ص٢٨.

(٣)باسم الزعبي، شقائق النعمان، مصدر سابق، ص١٣.

(٤)المصدر نفسه، ص١٣.

غادة، تقول البطلة: "أعلن مشاعره هائما بقدي النحيل مثل نخيل العراق"[١]. لكنها صدّته، وفي المرّة التالية هجم عليها كالمفترس، واقترب منها أكثر مما ينبغي ، تقول: " كانت السكينة أقرب إليَّ من نعمان...وضع يده على جرحه وهرب عاوياً"[٢].

فالخلافات الزوجيّة بين غادة وجبار، ومحاولة الاعتداء عليها جنسيّاً، وما تعانيه من فقر، وتربية الأولاد، ساهمت جميعها في عزلة "غادة" وكآبتها، واغترابها الروحي، الذي مزق روحها وذاتها.

أما في قصة "المهباش" من مجموعة الموت والزيتون، فيصور الكاتب حياة العزلة والاغتراب الروحي عند الحاج "متعب" عن المجتمع الذي يعيش فيه، فقد عارض بشدّة إقامة الحفل في فرح حفيده، بحجة العزاء عند الجيران، وممّا زاد في عزلته واغترابه، أن الشباب تداعوا إلى الحفلة، وأهملوا إلحاح الحاج "متعب" على منع إقامة الحفل، فالحاج مازال متمسكاً بثوابته الأخلاقية وقيمه، وباتت هذه الثوابت والقيم مهدّدة، فأصبح أبناء القرية يتنازلون عن هذه القيم شيئا فشيئا للتواصل مع مستجدّات الحياة الجديدة.

ويمثل الحاج متعب صورة من النماذج الاجتماعية التي مازالت متمسّكة بثوابتها وقيمها الاجتماعية الأصيلة، فهو يعيش في غربة داخل أهله وأبناء قريته، فأصبح يسخر من هذا الجيل الجديد، بل أنَّ الحاجَّ لم يستطع العيش في هذا المجتمع الجديد الذي لا يحترم أعراف المجتمع القروي، يقول السارد: "حوَّم بنظراته في الوجوه، وكأنَّه يحييهم، ثم شخص بنظره، وبقيت عينيه شاخصتين"[٣].

---

(١)باسم الزعبي ، شقائق النعمان، ص١٥.

(٢)المصدر نفسه، ص١٧.

(٣) باسم الزعبي، المهباش، مصدر سابق،ص٣٥.

أما في قصّة "حالة" من مجموعة الموت والزيتون، فتصور حالة الاغتراب التي اكتنفت الرجل الأسمر بطل القصّة التي عقد فيها المؤتمر، فهو يعاني حالة من الغربة النفسيّة نتيجة عجز المثقّف العربي في ظل مجموعة من القوانين السياسية في تأكيد ذاته، كتحديد السلطة الدول التي يُمنع خريجوها من التوظيف، يقول الرجل الأسمر محتدّاً مقاطعا المتحدِّث :"إنني أحتج، لا أعرف لماذا يعتمد بعض الناس في مثل هذه المناسبات، الكذب واستدرار العواطف"[١]، وقد تضاعف إحساس الكاتب البطل بالغربة والوحشة، عندما يعامل خريج الجامعات الحكوميّة والخاصَّة وجامعات من الدول الغربيَّة معاملة أخرى في التوظيف، وتسلمهم أرقى المراكز في الدولة، حيث اعتبر ذلك البطل المحبط مؤامرة على حريَّة الأفراد وسحقهم، فجعلهم يعيشون الاغتراب النفسي والروحي وهو أشد أنواع الاغتراب ألماً لما فيه من كبت داخلي، وإحساس بالضياع والتشتت، فنتائج سلوكيَّة الاغتراب بدأت "بعصر الأدباء والسبب يدفعهم إلى وعي اغترابهم وإلى محاولات مختلفة للتعبير عنه"[٢].

---

(١)باسم الزعبي، حالة، من مجموعة الموت والزيتون،ص٩٧.

(٢)سميّة علي خصاونة،الاغتراب في الرواية في الأردن،بين سنتي١٩٦٧-١٩٩٠، رسالة جامعيّة، جامعة اليرموك،١٩٩٥، ص١٠.

٢-الرؤية الفلسفيَّة الوجوديَّة:

يبحث الفرد إلى التحقيق الذاتي وعن وجوده الأصيل، المتمثل في الحرية الفردية المطلقة والتي تصور الوجود، فالإنسان هو محور العملية الفلسفية، وبخاصة حينما يتعلّق الأمر بوجوده، فالوجود بأسره لا معنى له إلا بوجود الإنسان.

فتتميز الوجوديّة بميلها إلى الوجود "فهي لا تبالي بماهيّات الأشياء وجواهرها، كما لا تبالي بالوجود الممكن والصور الذهنيّة المجرَّدة، إن غرضها الأساسي هو كل موجود، أو بتعبير آخر هو وجود كل ما هو موجود في الواقع والحقيقة"(١). فالفلسفة الوجوديّة في أبسط مفاهيمها، هي" الحقيقة الأنا... من غيري يثبت وجودي؟ من سواي يدرك علاقة الأشياء ببعضها؟ من غير الإنسان -عقل الكون- يحس بامتداد كون الوجود"(٢).

والمذهب الوجودي يناقض تماماً الخمول، فهو يرى أن الحقيقة لا تكمن إلاَّ في العمل، بل يرى "أن الإنسان ليس إلا مشروعه الإنساني، وهو لا يوجد إلا بمقدار ما يحقّق ذلك المشروع، فهو إذن عبارة عن مجموعة أعمال تكوُّن حياته"(٣).

وقد انعكست الفلسفة الوجوديّة على الأدب، لتظهر لدينا مدرسة وجوديّة بزعامة "سارتر"، فقد وضع مبدأً للوجوديّة بقوله: "إن الوجود يسبق الماهيّة، أي فيما يتصل بالإنسان، مثلاَ:

---

(١)جان بول سارتر، دراسات مستقاة من أعلام الفلسفة الوجوديّة،منشورات مكتبة الحياة،بيروت-لبنان،١٩٧٨،ص ١١٢.

(٢)فايز محمود، الحقيقة بحث في الوجود،ط٢، ١٩٨٩، المطابع النموذجيّة،عمان-الأردن ،ص٢٤.

(٣)جان بول سارتر، الوجوديّة مذهب إنساني، قدَّم له الدكتور كمال الحاج، منشورات مكتبة الحياة،بيروت، ص٦٥.

الإنسان يوجد أولا ويصادف، وينبثق في العالم، ثم يتحدّد من بعد، فالإنسان في أول وجوده ليس شيئاً ولا يمكن أن نحدَّهُ بحدِّه"[١].

وقد تأثر كتاب القصّة في العالم العربي بالمدرسة الوجوديّة، وانعكس هذا التأثر على أعمالهم، فبدت أعمالهم واضحة تتحدّث عن قلق الإنسان، وإبحاره في البحث عن تفسيرات فلسفيّة لمعاني الحياة.

وباسم الزعبي واحد من الكتّاب العرب الذين تأثّروا بالوجودية، فبوادر أعماله الأدبية ظهرت في بداية التسعينات من القرن الماضي، فقد درس الفلسفة الإسلامية في روسيا، وكانت أطروحة الدكتوراه بعنوان "فلسفه الحياة عند أبي حيان التوحيدي"، وقد وجد باسم الزعبي من خلال الأطروحة أن أبا حيان موزع بين الإيمان والشك، ولم يكن لديه يقين في الحياة،، وسيرة حياته تعكس هذا الواقع، فقد أقدم على إحراق كتبه عن رؤيته الوجوديّة "اللاجدوى" من الحياة، وقد كان باسم الزعبي في مرحلة ما قريب من هذا الموقف من الحياة، حيث انعكس هذا الموقف على العديد من قصصه.

وتجسد القصص التالية الرؤية الفلسفية الوجودية، وهي:

أ-ورقة واحدة تكفي[٢].

ب-فيروز لا تغني لغزوان المحيسن[٣].

---

(١)عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجوديّة، ط١، ١٩٨٠، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص٢٦٢.

(٢)باسم الزعبي،مجموعة ورقة واحدة لا تكفي.

(٣)باسم الزعبي،مجموعة ورقة واحدة لا تكفي.

ج-لا أحد[١].

د-الموت والزيتون[٢]

ففي مجموعة "ورقة واحدة لا تكفي" نجد أن الكاتب قد تغيرت نظرته للحياة، بل أن الدارس لهذه المجموعة بدقة يرى أن شعور الكاتب بعبثية الوجود "عبثيّة الحياة"، قد حصل فيه تغير كبير، مقارنة مع المجموعة الأولى التي جاءت بعنوان "الموت والزيتون"، حيث نجد أن الكاتب عبَّر عن هذا التغيير في قصص المجموعة، ونلحظ الاختلاف بين عنوان المجموعة وعنوان القصّة، :التي تحمل عنوان "ورقة واحدة تكفي" وهي النتيجة التي وصلت إليها بطلة القصة عن الحياة، وعنوان المجموعة التي كانت تحمل عنوان "ورقة واحدة لا تكفي" وهي التي تبين رأي الكاتب المغاير لبطلة قصّته، فالحياة بالنسبة إليها تشبه أوراق الروزنامة، فعندما رأت البطلة صغيرتها، وهي تمسك المكنسة، وقد ظهرت أغنية راقصة في التلفاز، سحبت بطلة القصة "والدة الصغيرة" المكنسة من يد الصغيرة، وطلبت منها الرقص، وعندما رأت الأم صغيرتها وهي ترقص، شعرت بأنها تشبهها تماما، "أعادت لي طفولتي، بل أعادتني إليها، لا أعرف تفسيراً للحالة، التي يشعر فيها الإنسان بأن لحظة بعينها تتكرر بنفس الإحساس"[٣]. فبطلة القصة ترى أن الأيام والصور والكلمات والنبضات تتشابه، فالبطلة ترى نفسها في ابنتها مشهداً مكرّراً، فالعمر بالنسبة إليها كذبة، بل خدعة، فالحياة كأوراق المفكرة، فما جدوى الأوراق الأخرى، وما جدوى الحياة في الأيام المكرّرة، ــــــــــــ

(١) باسم الزعبي،مجموعة ورقة واحدة لا تكفي.

(٢) باسم الزعبي،مجموعة الموت والزيتون

(٣)باسم الزعبي، ورقة واحدة لا تكفي، من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي، ص٨٢.

فيوم واحد هو الحياة، فالبطلة متشائمة من الحياة ، والروتين يقتلها بل ويجلدها كل يوم، "حصن عمره خمسون عاماً، يتفجَّر، يتناثر شظايا، ثم يهوي على الأرض ركاماً، حصن فارغ، فراغ اتحد بفراغ الكون، وطوب كأوراق المفكَّرة، تكرَّرت فيه الأيام والملاحظات"(١).

فالبطلة المأزومة ترى أن حياتها أصبحت مشكلة، فهي تشعر بالملل والإحباط والحزن واليأس، فترى البطلة "أنَّنا نحن البشر لسنا أكثر من كائنات تعسة، مملَّة، عبثيَّة، زائفة، فارغة، المنزل يتحول إلى قبر معتم، ضيق يطبق على صدري"(٢). فهي تشعر بأنها تقاعدت من الحياة، فأيامها أصبحت آلية ، فهي تتساءل عن وجودها وقيمة وجودها ، لذلك يكفيها أن تعيش يوماً واحداً.

وفي قصة "فيروز لا تغني لغزوان المحيسن" من مجموعة ورقة واحد لا تكفي ، يعيش بطل القصّة جوّاً رومانسياً، وهو يحفر اسم حبيبته على جذع شجرة ضخم تجاوباً مع أغنية فيروز "لاكتب اسمك يا حبيبي على الحور العتيق" ، فبينما هو يكتب حتى ظهر عليه رجل فجأة، قاطعاً حلمه الآسر، يستنكر عليه الرجل ما يكتب، بعد أن ارتبك الشاب الصغير بشيء من الخوف والكراهيّة، ونظر إليه باشمئزاز قائلاً: "لا تخف، لست حارس الغابة"(٣)، ثم راح الرجل يتحسّس الحفر جيداً، ويتلمسه بيده، ويتعيّنه بدقّة، ناظراً إلية تارة وإلى ــــــــ

(١)باسم الزعبي، ورقة واحدة لا تكفي، ص٨٣.

(٢)المصدر نفسه،ص٨٥.

(٣)باسم الزعبي، فيروز لا تغني لغزوان المحيسن، من مجموعة ورقة واحده لا تكفي ، ص٨.

الكتابة تارة أخرى، ثم يستطرد "حفرك لن يضر بالشجرة، إنَّه بالنسبة إليها جرح، ويلتئم بعد أيام، ولن يبقى منه سوى بعض الندب"[١]. ثم سأله عن رجل يدعى "غزوان المحيسن"، فأجابه الشاب الصغير، بأنه لا يهمه أمره، ففي الإجابة تبهت صورة الفتاة صاحبة الذكرى، وتغيب اللحظة الجميلة، وتخاطب شخصيّة الشاب نفسها بعد أن شعرت بالإحباط والانكسار والضياع الكامل الذي أحسّ به، وعن عدم القدرة على تحقيق أحلامه، "صوت فيروز غاب وغابت الأغنية التي لم تتمكن من استعادتها فيما بعد"[٢].

القصة تحتوي على شخصيتين: الفتى الصغير الذي يسعى إلى تخليد لحظة الحب الجميلة التي استدعتها الأغنية، وشخصية الرجل مدعي الحكمة، لكنه يقتل لحظة الجمال. وتثير القصة في هذا الإطار سؤالا وجوديا: هل الحياة هي عيوبها، أم لحظاتها الجميلة؟ لماذا يرى البعض فقط صفحة الحياة السوداء، ولا يرون صفحتها الملونة؟ ما مسؤولية أدعياء الحكمة في قتل الحياة ذاتها؟...

وقد شغلت عبثيّة الوجود وأثقلت البطل بتفكيره، وهمومه في قصّة "لا أحد" من مجموعة "ورقة واحدة لا تكفي" ، فالبطل حسم أمره واختار الشكل المناسب للانتحار، فهو يقرر بذلك "اللاجدوى" من الحياة، فهو يعتقد بذلك إثبات وجوده من خلال نفي نفسه، فينهي بذلك آلامه وأحزانه الكثيرة، التي لم يبال بها أحد، هذا بالإضافة إلى إحساسه القوي بسرعة مرور الزمن، وما له من أثر مدمّر على حياته، فالموت حتمي في النهاية، والحياة لا جدوى منها، ولا قيمة لها لذلك نجده يقول: "لا شيء يستحق الحياة، هذه هي الحقيقة"[٣]، فلم تعد العلاقة بينه وبين العالم قائمة على التوافق، فحياته أصبحت عبثاً، فالعبث ما هو إلا "علاقة ــــــــ

(١)باسم الزعبي، فيروز لا تغني لغزوان المحيسن، ص٨.

(٢)المصدر نفسه، ص٨-٩.

(٣)باسم الزعبي،لا أحد، مجموعة ورقة واحدة لا تكفي، ص٢٠.

انعدام التوافق بين الفرد من ناحية، وبين العالم من ناحية أخرى، فليس هو شيئاً قائما بذاته، بل هو تقابل بين شيئين آخرين، غير العبث نفسه، هما الوجود من ناحية والعقل من ناحية أخرى"[١].

وشرد في ذهنه فيما سيدور بعد وفاته، "ابنه جاسر يتنفس الصعداء لأنه لم يعد عقبة في طريق زواجه من ابنة خاله، وأمه تقول أثناء العزاء "كان ابناً عاقاً، لم يزرني يوماً وفي يده ولو حبة خيار أو قطف عنب"[٢]، وتمر على ذاكرته شريط من الذكريات تذكره بمحطّات كثيرة في حياته جعلته يفكر في الانتحار. وبعد هذا الاستغراق الكبير في التفكير، يعدل عن إعدام نفسه، ليكتب سيرة حياته قبل أن ينفِّذ ما عزم عليه، وبعد أن انتهى من كتابة روايته، نشرها لترى النور، لكن لم يبال بها أحد، اكتشف بعدها أن هذه هي الحياة، لا أحد يبالي بأحد، وكل يغني على ليلاه، قرَّر بعدها العدول عمّا عزم عليه، وبهذا تنقذه الكتابة من الموت، قال بعضهم: "إنَّه اختفى في هيئة متسوّل، ويجوب الشوارع.. لكن ما من تأكيد على موت الكاتب"[٣].

وقد شغلت قضية الحياة والموت كثيراً من الكتّاب والأدباء، وباسم الزعبي يتميّز عن غيره من الكتاب بأن جعل للحياة قيمة، رغم إحاطة الموت بالإنسان من كل الجهات، فقصصه تطرح أسئلة فلسفيّة عن قيم الحياة، وجدواها والنظرة الماديَّة لها، وغيرها.

ففي قصة "الموت والزيتون" من مجموعة "الموت والزيتون"، وهي من القصص الغرائبيّة، تبيّن لنا رؤية الكاتب عن الحياة، وقيمها، وتروي لنا قصّة الموت والزيتون قصة

---

(٤)جون كروكشانك، ألبيركامو وأدب التّمرُّد،ترجمة جلال العشري، بيروت،١٩٧٠، ص٧٣.

(١)باسم الزعبي،لا أحد،من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٢١.

(٢)المصدر نفسه، ص٢٣.

قرية تحيط بها البيادر والبساتين من كل جانب، كثر الموت في هذه القرية، فأخذت المقبرة تزحف نحو القرية مبتلعة البساتين والبيادر ثم الجبل والوادي إلى حدود البيوت، يقول السارد: "فبدت المقبرة مدينة من المرمر الأبيض والزهور الملونة التي زُرعت، لتحول دون انتشار رائحة تعفن الأجساد، لدرجة أنّها تحوّلت إلى متنزّه للناس يتنفسون فيه"[١].

اجتمع أهل القرية ليقرّروا ما هم فاعلون، لكنّهم لم يتوصّلوا إلى حل بهذا الشأن، ويظل الموت يزحف إلى القرية إلى أن يتحدَّاه أحد الشباب، حيث يخرج من حصار الموت المحيق بالناس، ويقرِّر أن يزيل المقبرة، ويزرعها زيتوناً، وقد رمز الكاتب إلى هذا الشاب بالحياة مقابل الموت، يقول الشاب بطل القصّة: "سأجعل من حجارتها سوراً عظيما وأزرعها زيتوناً، كي يولد لنا أطفال"[٢].

فالزعبي ينتقد الواقع من خلال هذه القصَّة الغرائبيّة، فأراد بذلك أننا ما زلنا نصنع الموت الذي يطوقنا من كل جانب، ضانين أننا نبني الحياة، فالقبور التي يشيدها الناس لموتاهم ما هي إلا بناياتهم الفارهة التي يبنونها لحياتهم التي هي موتهم، فالكاتب يرى أن الناس يصنعون موتهم بطريقة عيشهم، يصنعون موتهم عندما لا يلتفتون إلى مصدر حياتهم، بل تراهم يسهمون في القضاء على مصدر الحياة.

---

(١)باسم الزعبي،الموت والزيتون،مصدر سابق، ص١٤.

(٢) المصدر نفسه،ص١٩.

الفصل الثالث

البناء الفني في قصص باسم الزعبي

أولاً : البناء الهيكلي.

ثانياً : الأحداث.

ثالثاً : الشخصيات.

رابعاً : البيئة القصصية(الزمان والمكان).

خامساً : النسيج اللغوي.

سادساً : الأساليب السردية.

أولاً:البناء الهيكلي

تتميز القصة القصيرة بكثافة التعبير، فهي تعتني بكم الكلام، وتقلل من الفائض اللغوي، كما أن لغتها معبرة على المستوى الجمالي أو على مستوى المعنى، فقصص باسم الزعبي تعتمد على هندسة بناء محكمة ودقيقة توفر للقارئ والمتلقي متعة التلقي، وتحفز ذهن القارئ على التفكير والبحث والمشاركة في عملية استكمال القصة، وبالتالي تدفع المتلقي للتفكير المبدع الخلاق في حل المعضلات التي تطرحها القصص، فنلاحظ أن "كاتب القصة القصيرة لا يعرف شيئاً اسمه الشكل الجوهري، لأنه لا يطمح في تصوير الحياة الإنسانية في مجموعها، بل يختار فقط ما يتناول من الحياة من إحدى زواياها"[١]، وقد تنوّعت قصص الكاتب من حيث الحجم ما بين الصفحة والسبع صفحات ، وكان مجموعة كتاباته ما يزيد عن المائة قصة ومازال عطاؤه مستمراً في النتاج القصصي.

ولم يعمد الكاتب إلى الإطالة في قصصه كي لا تخرج القصة عن الفكرة القائمة عليها أساساً، وحتى لا يشعر المتلقي بالملل، حيث أن التكثيف يعطي القصة قوة و تماسكاً أكثر، هذا بالإضافة إلى كتابة القصة القصيرة جداً والتي زاد عددها في مجموعاته عن الخمسين قصة، وذلك يعود إلى رغبة القاص بتغيير الواقع المليء بالهزائم واستلاب الحريات، فشخصيات قصصه كانت تعاني اليأس والإحباط من الحياة والواقع، ذلك الواقع الذي يعيشه الكاتب نفسه فالكاتب ينزع إلى مبدأ تغيير الواقع، بل وحتميّة التغيير، إلّا أن شخصيات قصصه كانت تنزع نحو فكرة عبثية الوجود.

وعند دراسة أي عمل فني لا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون "فكان من الخطأ أن نتكلم عن نسيج القصة منفصلاً عن بنائها ، لأن النسيج والبناء شيء واحد ..فالقصة القصيرة وحدة مستقلة لها كيان ذاتي لا يمكن تجزئته إلى بناء ونسيج"[٢]، وهذا لا يلغي سيادة عنصر من عناصر القصة على شكل العمل ومضمونه، فسيادة عنصر من عناصر القصة يعد نجاحا للقاص "وهي سيادة الحوادث، وسيادة الشخصية، وسيادة البيئة أو الجو، وسيادة الفكرة، ولا بد أن يخرج القارئ من القصة الناجحة، وقد غلب على نفسه عنصر من هذه العناصر، أما إذا خرج منها بمزيج مختلط من الحوادث والشخصيات والأفكار، فمعنى ذلك أن الكاتب أخفق في ــــــــــ

(١)يوسف الشاروني دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص٤٦.

(٢)رشاد رشدي،فن القصة،مرجع سابق،ص١٢٢.

إبراز أحد هذه العناصر"[١].

تميز البناء الهيكلي التقليدي في قصص باسم الزعبي ضمن المرحلة الأولى في كتاباته باتكائه على البناء الهيكلي التقليدي، الذي ظهر بفعل التأثر الاجتماعي والتقليد الواضح للفن القصصي السابق، مما جعل قصصه تخضع لأسس وعناصر فنية محدّدة، من حيث الغرض والشكل لتؤدي رؤية محدّدة يسعى الكاتب لتجسيدها في النص القصصي.

اتسمت بداية القصص عند باسم الزعبي بالتشويق والإثارة، فبداية القصة هي بوابتها، وهي الباب التي يلج القارئ منها إلى معرفة الأحداث والشخصيّات، فالبداية تحدد نجاح القصة أو إخفاقه؛ لأنها المفتاح للقصة "وربما كان عنوان القصة هو بدايتها وهو الذي يجذب القارئ إليها أو يجعله لا يكترث لقراءتها...وقد وصف تشيكوف القصة الجيدة بأنها قصة محذوفة مقدمتها، أي أننا نواجه الأحداث مباشرة، بلا مقدمات قد تصرف القارئ عن متابعة قراءته، وقد اهتم ادجار آلان بو ببداية القصة لدرجة أنه قال إنها هي التي تحدد نجاح القصة وفشلها"[٢].

وتمتاز بدايات القصص عند باسم الزعبي بإثارتها، كما في قصة مداد ورصاص ودم، ففيها الكثير من الإثارة التي تشد المتلقي إلى معرفة باقي أحداث القصة، فالتوتر الكبير والغضب الذي نلمح آثاره على الشخصيات يشدنا إلى متابعة القص إلى النهاية، يقول السارد: "دخل، وعلى وجهه أمارات غضب مبالغ فيه، وخلفه آخران غليظا الملامح، يحملان أسلحة رشاشة لم أر مثلها من قبل إلا في الأفلام الأمريكية، شخص لا أعرفه يقتحم منزلي، شخص في منتهى القحة، لا أدرك غايته، ولا يمكنني القول إنه معتوه، لأن حديثه لا ينم عن ذلك"[٣].

أما النهاية فلا تقل أهمية عن البداية "لأنها ليست مجرد ختام لأحداث القصة، بل هي التنوير النهائي، إنها اللمسة الأخيرة التي تمنح شخصيات القص كمالها ونهايتها"[٤]، فتثير في مخيلة المتلقي ما تثير من الصور والمشاعر والانفعالات، فالنهاية عند باسم الزعبي نهاية متنوعة، وغالباً ما تكون النهاية مأساويّة تتسم بالحزن والقلق والكآبة، فلا نلمح خاتمة سعيدة في معظم ــــــــــ

(١) محمد يوسف نجم،فن القصة،ط٥،دار الثقافة بيروت-لبنان،ص١٥.

(٢)يوسف الشاروني،دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص٥٤.

(٣)باسم الزعبي،مداد ورصاص ودم،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٨٦.

(٤)محمد صالح الشنطي،آفاق الرؤية وجمال التشكيل،مطابع الشرق الأوسط،السعودية،حائل،١٩٩٢،ص٦٣.

قصصه، بل كانت الخاتمة تعبيّراً عن ألم الواقع. ففي قصة(الشيخ والأغراب) يعتمد الكاتب النهاية التقليديّة، فينهي القصة بعنصر المفاجأة عندما يصدم المتلقي بشخصية الشيخ فندي الذي منح

الأغراب أرضاً، وكأنه يبدي شهامة، إلا أنه يتضح تغليبه المصلحة الفردية والمنفعة الخاصة على المصلحة الجماعية.

وقد يتطور الحدث باتّجاه تصاعدي، كما في قصة (دينار والأصدقاء) فتصل الأحداث إلى النهاية، بإهمال الأصدقاء زميلهم كساب الفقير الذي مات للتّو وهو قادم إلى الحفلة، ولم يتجاوز رد فعلهم أن ظهر بعض التجهم على وجوههم في بداية سماع الخبر، إلا أنهم سرعان ما يعودون إلى الانغماس في لهوهم. يقول السارد في نهاية القصة: "دارت الكؤوس، الجميع في حيرة من أمرهم، كاد الخبر أن يفسد عليهم ليلتهم، أحدهم شغّل الموسيقى فجأة، أعلن المضيف: نستأنف الحفل أيها الأصدقاء ...ارتفعت الأيدي، اهتزت الخصور، وتلوَّت...وعادت دينار سيدة الموقف"(١).

كما استخدم الكاتب مقدمة من نوع آخر، وهو ما يسمى بالارتداد "حتى أن بعض القصاصين يبدؤون قصصهم بما انتهت إليه، فهم لا يعتمدون في تشويق القارئ على تكنيك القصة البوليسيّة والاحتفاظ بالمفاجأة إلى النهاية، بل يتحدون هذا الأسلوب القصصي الفج مبرهنين أن قصصهم يمكن أن تغري قراءها بالمتابعة على الرغم من أن نهايتها معروفة منذ البداية"(٢)، ومن هذه القصص قصة (انتحار برسم الحياة) حيث يقول السارد في بداية القصة التي لخصها بالمفتتح التالي: "هذه هي القصة: انتحر! لم يترك وصية، لم يشك طيلة حياته، لم يتشاجر مع زوجته أو مع مديره في العمل ، لم يكن مديناً، وقد وجد في محفظته بعض النقود"(٣)، فبدأت القصة من نهايتها لتستمر الأحداث فتكشف للمتلقي عن سبب انتحاره "ويكون الدافع الرئيسي في بداية الأحداث هو اكتشاف كيف تطورت الأمور حتى وصلت إلى تلك النهاية، نهاية الأحداث وإن ذكرت في بداية القصّة"(٤)، فعرض القاص الخاتمة المأساوية أولاً، ولكنها كانت النهاية فقد أظهر لنا السارد سبب الانتحار مع عدم معرفتنا للسبب، فعرض الخاتمة أولاً لجذب القارئ ثم بدأ بعرض تفاصيل القصة.

---

(١)باسم الزعبي ،دينار والأصدقاء،مصدر سابق،ص٤١.

(٢)يوسف الشاروني،دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص٥٤-٥٥.

(٣)باسم الزعبي،انتحار برسم الحياة،من مجموعة دم الكاتب،ص٥٢.

(٤)يوسف الشاروني،دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص٥٥.

كما أن النهاية ظهرت في بعض القصص بطريقة غامضة، ففي قصة (حادث عرضي) نجد أن الراوي يصف لنا موت الراكب في نهاية القصّة بطريقة غامضة "وصلت السيارة العنوان، نظر السائق إلى جواره، وجد راكبه غافياً، نده عليه، لم يستجب، هزّه، سقط الآخر على الجانب الآخر من دون حراك أو نفس"[١]

كما اتسمت النهايات بالحزن والقلق والكآبة، فغالباً ما تكون النهايات في قصص باسم الزعبي مأساويّة، كما في قصة(رصاصة واحدة تحية لأم الوليد) نجد أن البطل ينتحر، يقول السارد: "في لحظة تشبه رد التحية، يضغط على إصبع الزناد، ويعلن رصاصة واحدة تحيّة، ويهوي شخص مضرجاً بدمه"[٢]، وفي قصة (تفاحة آدم) نجد النهاية غير السعيدة "اهتزت له الشجرة وعلا حفيف أوراقها ليختلط مع صوت النحيب، أما حواء فظلت متعلقة بآدم تسمع دقات قلبه، وغضب وحيرة وحزن تملأ عينيها"[٣]، وكذلك في قصة (المرايا المعتمة) "خرج وهو يفكر بأمر واحد: لماذا تأتي المصائب مرة واحدة"[٤]، كما ونجد النهاية المأساوية في قصة دم الكاتب "النمل الأسود سكن الصفحات البيضاء، وقد انتفخ بالدم والدمع"[٥]، ونفس النهاية في قصة (الحقير) "انسحب بصمت، خائباً ذليلاً، دخل منزله، وجلس على أريكته، وراح يراقب الدود وهو ينسل من ثقوب ملأت جلده"[٦]، فجاءت النهايات في غالبتها سوداويّة، لأنها تعكس رؤية الكاتب للعالم الكئيب القلق، فشخصيّات قصص الزعبي تعاني من اليأس والإحباط من الحياة والواقع، فالواقع الذي يراه الكاتب واقع يعاني من القسوة والألم، واقع متلون بلون الألم والمعاناة، امتطى الزمان فيه أناس انتهازيون مزيفون حتى النخاع، وضاع فيها لدرجة الخروج من الزمن أناس بسطاء حاملين بذرة الحياة في داخلهم.

ومنها النهاية التي تتضمن الحكمة الفلسفية، والرأي القائم على أساس علم النفس، كنهاية قصة (حكاية) "كان هو الشخص الوحيد الذي يمتلك مفتاحاً لحل ذاك اللغز، ولكن لسانه كان قد

---

(١)باسم الزعبي،حادث عرضي،من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٥٣.

(٢)باسم الزعبي،رصاصة واحدة تحية لأم الوليد،مصدر سابق،ص٦٢.

(٣)باسم الزعبي،تفاحة آدم،مصدر سابق،ص١٢١.

(٤)باسم الزعبي المرايا المعتمة،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٥٢.

(٥)باسم الزعبي،دم الكاتب،من مجموعة دم الكاتب،ص٩.

(٦) باسم الزعبي،الحقير،من مجموعة ورقة واحدة لاتكفي،ص٨٩.

تجمد، وبقي سره في قلب الحجر"[1]، كما ظهرت النهاية الفلسفية في قصة (فيروز لا تغني لغزوان المحيسن) "يبدو الرجل لك أقبح إنسان على وجه الأرض، يطبق الكون عليك أضلاعه، والأشجار تغدو تماثيل خرساء"[2].

ومن الملاحظ على البناء الهيكلي في مجموعات باسم الزعبي الأخيرة أنها جاءت جديدة، قائمة على الإيهام لغايات الإثارة وطرح التساؤلات، وهي رؤية جديدة للعالم والإنسان والفن، لانتقاد الموضوعات والحقائق بشكل عام، ويتجلى هذا البناء من خلال العناوين المتفرقة المتوزعة بشكل عشوائي، والمختلفة في أحجامها، ويبدو بعد إصداره المجموعة الرابعة-وهي من أنضج مجموعات الكاتب- أنها تشتمل على نظام فني متميز، ترك خلفه القصة التقليديّة، وبدأت ملامح أسلوبه يتميز بالكتابة الواقعيّة، يقول نضال القاسم عن هذه المجوعة: "فهو يكتب من حضور واقعي طافح، يعرف كيف يروضه ليدخل القصة، ويكتب نفسه، وهو يرصد مشاهد الحياة بكثير من الشفافيّة المؤثّرة، وتبدو بعض شخصيّاته كأنماط أكثر منها شخصّيات حقيقّية تنبض بالحياة"[1]. فالنهايات كانت متنوعة، وهذا التنوّع يدل على التطور الفني والتجديد في قصصه القصيرة، فقد ترك النهايات التقليدية في بداية إنتاجه، إلى أن اتجه إلى أساليب حديثة في إنتاجه القصصي.

---

(٦) باسم الزعبي،حكاية،من مجموعة دم الكاتب،ص٨٤.

(٧) باسم الزعبي،فيروز لا تغني لغزوان المحيسن، من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٩.

(١)نضال القاسم،البناء الفني في تقاسيم المدينة المتعبة،جريدة الرأي،٢٠٠٩/١٢/١٨.ص٤.

ثانياً:بناء الأحداث

يعد الحدث من العناصر المهمة في القصة، فهو سلسلة من الوقائع التي تقدم فيها الشخصية في إطار زماني ومكاني؛ لأن عمليّة بناء القصة تبدأ من حدث ما ينشأ عن موقف ما من مواقف الحياة فالحدث "اقتران فعل بزمن، وهو لازم في القصة لأنها لا تقوم إلا به"[١]، وينمو الحدث ويتطور إلى أحداث أخرى متفرّعة، فالتطور"هو الذي يبعث في القصة الحركة والنشاط، وهو العصا السحريّة التي تحرك الشخصّيات على صفحات القصّة، تسوق الأحداث، الواحدة تلو الأخرى، حتى تؤدي إلى تلك النتيجة المريحة المقنعة، التي تطمئن إليها نفس القارئ بعد طوال التجوال، والتي تتفق مع منطق الكاتب، ونظرته الخاصة إلى الحياة"[٢]، والحدث عبارة عن مركب معقد "يشتمل على أفعال أخرى تحيط به قبل وقوعه، وبعد وقوعه، فالفعل ليس حادثاً واحداً وخيطا منفرداً، وليس مجرد عمل يظهر في السلوك المرئي المشاهد، بل هو نتيجة عدد كبير من الدوافع والرغبات والعادات والضوابط، وغير ذلك ما تموج به النفس وتزخر، سواء أكانت هذه العوامل الباطنيّة الخافية في حدود الوعي عند القيام بالعمل، أو لم تكن"[٣].

أما الأحداث في القصة الحديثة، فلم تعد كما كانت عليه في السابق تحمل عنصر المفاجأة والعقدة والتشويق، أو تبنى على ترابط الأحداث وتسلسلها، لأنّ كثيراً من الكتاب يفضلون الدخول إلى القصة مباشرة دون وجود بداية، ودون اتباع لتسلسل البناء التقليدي في القصة "فالقاص لا يتقيد بعنصر من الزمان في عرض الحدث، وإنما يتجاوز ذلك ليعني بلحظات شعوريّة وإنسانيّة لا بلحظات زمنيّة، فهو يستحضر الحدث من الماضي، وقد يتبعه بحدث من الحاضر، ويخلطه بآخر من المستقبل، ثم يعود لينبش من ذاكرته أحداثاً أخرى، وهكذا دون اكتراث لمنطق تسلسل الأحداث"[٤].

وفي بداية مسيرة كتابة القصة عند باسم الزعبي اتبع الكاتب ما يعرف بالتقسيمات الفنية المعروفة للقصة من حيث البداية ثم الحبكة ثم الحل، فالحدث عند باسم الزعبي شأن عادي بسيط كأي أمر يحدث للإنسان في حياته اليومية، فلم ينتق باسم الزعبي أحداث القصة ـــــــ

(١)محمد سلام زغلول،دراسات في القصة العربية الحديثة،مرجع سابق،ص١١.

(٢)محمد يوسف نجم، فن القصة، مرجع سابق، ص٣١.

(٣)عز الدين إسماعيل،الأدب وفنونه،ط٦،دار الفكر العربي،بيروت،١٩٧٦،ص١٨٠.

(٤)احمد الزعبي،التيارات المعاصرة في مصر،المكتبة الوطنيّة،اربد،١٩٩٥،ص١١٦.

من بيئة مجهولة، إنما انتقاها من أحداث الحياة اليومية، فهي أحداث مستمدة من الواقع الذي كان مصدراً غنياً لأحداث كثيرة من قصصه، ومن القصص التي اتبع القاص الحدث في تسلسله المتتابع قصة(أوجاع) من مجموعة دم الكاتب، حيث يبدأ الحدث عندما قال الطبيب للمراجع في المركز الصحي "أنت بحاجة لمراجعة أخصائي الأعصاب ...سأعطيك تحويلاً إلى البشير"[١]، ثم يحمل المراجع أوراقة التي كتبها الطبيب، ثم تتابعت الأحداث لتكشف عن التساؤل الذي يدور في ذهن المريض، عن شكل الطبيب الأخصائي، وعن آلام المريض التي تساوره من كل جانب "تخيلته رجلاً كهلاً، أصلعاً، حليق الشارب، قصير القامة، قادراً أن يشخّص مرضي بمجرد النظر إلي"[٢]، وعندما وصل المريض مستشفى البشير وجد خلقاً كثيراً من الناس، وصالة امتلأت بالكراسي المصطفة والجميع يشاهدون التلفاز المعلق فوق رؤوسهم، والألم يقصم ظهر هذا المراجع المريض، والناس ينتظرون الدور، كل واحد منهم يود التخلص مما به من ألم، لكن الطبيب تأخر كثيراً، حيث ازدادت أنّات المرضى، وبعد الانتظار وقتاً طويلاً تفاجأ المريض برد الممرضة عليه بقولها: "ملفك غير موجود أيها الأخ"[٣]، شعر بعدها المريض باليأس والإحباط، عاد ليعمل ملفاً جديداً، ولكنه بعد أن أحضر الملف تفاجأ بأن الطبيب قد أنهى عيادته، بعد أن قرر أن يعطيه موعداً بعد يومين.

وتطور الأحداث في القصة، من أهم الأسباب التي تبقي المتلقي مشدوداً على متابعة قراءة القصة، كما نجد أن الحوار الداخلي الذي يدور بين بطل القصة وذاته في قصة أوجاع ساعد المتلقي إلى متابعة أحداث القصة حتى النهاية. وقد استخدم القاص ضمير المتكلم في سرده لأحداث القصة(حملتُ، خرجتُ، أبحثُ، قلتُ، أجرجرُ)، فضمير المتكلم قريب من قلب المتلقي، بل ويشعره بصدق الرواية والثقة والإحساس العميق في سرد الأحداث "أجرجر قدمي عبر الصالة التي فرغت من المراجعين، ومازال التلفاز إياه يقدم صوراً دون صوت لدبابات ودمار ودماء... قدماي لم تعودا قادرتين على حمل كاهلي، هبطت على إحدى المقاعد، اختفى الناس من حولي، لم أعد أرى وأسمع شيئاً"[٤].

ولعلّ انتقاء الزعبي أحداث قصصه من الحياة اليوميّة "جاء ليصنع منها مادّة لها وظائف وأهداف إنسانية عدة، ويكشف ما يختبئ في دواخل الناس، وفي بيوتهم، أي البحث عن حياتهم

---

(١)باسم الزعبي،أوجاع، من مجموعة دم الكاتب،ص٦٣.

(٢)المصدر نفسه،ص٦٣.

(٣)نفسه،ص٧١.

(٤)نفسه.ص٧٤.

المهشمة، وإخراج الصراع الداخلي إلى العلنية: الصراع بين الشخصية وذاتها، وبين الشخصية ومحيطها الاجتماعي"[١]. ويبدو في هذه القصة توجه الكاتب إلى البناء التقليدي، الذي يعتمد على تسلسل الأحداث ويضم عناصر بناء القصة التقليدية: البداية ثم الوسط ثم النهاية.

لكن الكاتب لا يعتمد في جميع قصصه على بناء الأحداث وفقا التسلسل الزمني، من بداية ووسط ونهاية، ولم يعد الحدث يحمل عنصر المفاجأة والتشويق والعقدة، وإنما أصبح نقطة إيحائية رامزة له أبعاده المختلفة، والكاتب يجعل من هذه الأحداث أسلوباً فنيًا يزيد من جمالية القصة وينأى بها عن أسلوب القصة التقليديّة، ويأتي الحدث لخدمة الفكرة.

فالقص عند باسم الزعبي يهدف إلى تحقيق رحلة كشفيّة لعالم الذات، ولهذا اعتمد على لغة مكثفة معبّرة، وبقع متناثرة مشظاة من الزمن بالمعنى الإيجابي، فلا يوجد زمن محدد مبني على التسلسل الزمني القادم من الماضي نحو المستقبل، ففي قصة(رواية الفصول الأربعة) من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة، نجد أن التعامل مع أحداث القصة جاء ليفصح عن بقاء الحالة القصصية داخل الذات، والتعامل مع أحداثها يكون بنجوى داخلية، فأحداث القصة تدور داخل ذات القاص، وحركة الحدث في القصة تتجه نحو التذبذب في الصعود والهبوط بصورة تعبر "عن تراجيديا الشخصية الرئيسية، البطل الذي لم يفصح عن اسمه، وكأنه أمل غائم أو حالة مرتجاة تشبه البحث عن المهدي المنتظر الذي لا يتيح له الزمان تحقيق رسالته في الاقتصاص وإقامة العدل ومحور الشرور"[٢]، فبطل القصة المأزوم ينتظر اللحظة التي يكتب فيها روايته ويسمي بطلها، ليبوح بالمكنون المضمر في داخله حالة من التوتر الداخلي أو ما يسمى بالزمن النفسي "لأنه زمن يجعلهم يهتمون بالعالم الداخلي للشخصية، وينأون عن الحركة الخارجية لها"[٣]. كما ويعيش حالة من القلق الذي يدعو إلى إطلاق صرخة في وجه الواقع المريض، وعلى جبن الإنسان العربي الغير قادر على التغيير، والعاجز عن مواجهه هذا الواقع المؤلم، يقول بطل القصة: "عند المغيب، صنعت قهوتي، جهزت أوراقي، أغلقت النوافذ، أبقيت نافذة وحيدة مطلة على الأفق البعيد باتجاه الغرب، عبر الوادي السحيق، حيث السماء اتشحت بلون ـــــ

(١)نضال القاسم، البناء الفني في تقاسيم المدينة المتعبة لباسم الزعبي، جريدة الرأي الأردنية، العدد١٤٣١٣، عمان، الجمعة،٢٠٠٩/١٢/١٨.ص٤.

(٢)محمد سلام جميعان،وحدة الفاعلية النفسية والاستدخالات الشعورية في قصتين للقيسي والزعبي،جريدة الرأي-الرأي الثقافي،العدد١٢١٩٨،عمان،الجمعة٢٠٠٤/٢/١٣.

(٣)طه وادي،دراسات في نقد الرواية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨٩،ص٣٦.

الدم، كان الجو هادئاً، مناسباً للكتابة، الفكرة مختمرة...شغلت التلفاز فانهمر عليّ شلال من النشوة...رأيت أمريكا تنهار، كبرياء وصلف وعنجهيّة، أمريكا تمرغت جميعها بالوحل، مرة واحدة

بمجرد أن شغلت زر التلفاز، ما أجمل المنظر، سكرت دون شراب...وفي صبيحة اليوم التالي لم يعد بإمكاني أن أكتب، جلست متمسراً أمام التلفاز، وقد صحوت من سكرة الأمس، بتُّ أدرك أن العهد الأمريكي بدأ تواً، وأنهم سيضربون أفغانستان، ويدمرونها ويحتلونها، ثم ستدور الدائرة على العراق"[١].

فهذه القصة لا ترتبط فيها الأسباب بالمسببات، لأنها صورة تنقلنا من الذات المتشتتة وحالة التوتر والضيق والسأم الذي تشعر به الشخصية الرئيسية في القصة، لذلك تنتهي القصة بشعور البطل بالإحباط واليأس، وعدم القدرة على كتابة روايته بعد ولوجه في عالم الذات.

وقد استخدم القاص في قصة (ضياع) تقنية الاسترجاع، وتذبذب الزمن بين الماضي والحاضر والمستقبل، ولم تترتب الأحداث وفقاً للتسلسل الزمني، فبدأ الحدث في القصة في الزمن الحاضر عندما كان ينظر بطل القصة إلى والدته وهي تدير المبخرة حول رأس ولده المعاق وتتمتم بتعاويذ وأدعية، فالأحداث في تصاعدها تسير إلى الأمام، لكنها تعود مرتدة إلى الخلف فيرتبط الألم الحاضر مع الألم الماضي وتبتلعه دائرة الكوابيس، وتعود به الذاكرة إلى الماضي عندما كانت زوجته تطرح عليه السؤال الذي يراوده دائماً "هل بإمكانك أن تفعل شيئاً للآخرين إذا كنت عاجزاً عن فعل شيء لابنك"[٢]. ثم ينتقل إلى موقف آخر وهو لوم صديقه البارد له عندما كان يقول له: "هل كنت تظن أن طريق النضال سهلة؟ من يريد أن يحمل العالم على كتفه يجب أن يكون قادراً على حمل ولده على الكتف الأخرى"[٣]. فالذكرى تبدو له كشراب الحنظل الذي كان يحس بطعمه وهو في المعتقل، ثم يتصاعد الحدث مرّة أخرى ليعود إلى الماضي عندما اعتقل للمرة الرابعة، وكان يجيب نفسه عن عدم زيارة أحد إليه بأنهم يتعرضون إلى ضغوط كبيرة، ثم يتطور الحدث وهو يصور مشاعره في الحاضر، عندما كانت مشاعره تنسل من روحه في شقوق الأرض العطشى، وهو ينظر إلى الأفق بنظرات بليدة.

---

(١)باسم الزعبي،رواية الفصول الأربعة،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص(٧-٨).

(٢)باسم الزعبي،ضياع،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص١١٥.

(٣)باسم الزعبي،ضياع،ص١١٥.

ثالثا:الشخصيات

تعد الشخصية من مقومات القصة، إلى حد أنه "ليس ثمة قصة واحدة في العالم من غير شخصيات"[١]، لذلك تعد الشخصية العنصر الأول في القصة، وبدونها لا وجود للقصة، فهي تظهر ملكة الإبداع عند الكاتب ولها الدور الأكبر في بناء القصة وأحداثها، وهي التي تقوم بالأحداث وتحرك مسارات القصة، فنجاح القصة يتوقف على نجاح الكاتب في انتقائه لشخصياته، ودقته في رسمها، وسبر أعماقها، وعرض تلك الأعماق للقارئ. والشخصية هي التي تضع اللغة في القصة ومحورها في ذات الوقت، وهي أساس انطلاق الأحداث وهدفها النهائي، لأن "الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث إنها هي التي تصنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة، وهي التي تصف معظم المناظر التي تستهويها، وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع وتنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها"[٢].

وقد تؤثر الشخصية في القصة على المتلقي أكثر من الشخصيات الواقعية، فهي تعطينا النصح والإرشاد وتجنبنا الأخطاء، وقد يتشبه القارئ ببعض الشخصيات في القصة دون أن يشعر بها "وهو منذ اللحظة التي تقع فيها من نفسه موقعاً حسناً، يبدأ بمعايشتها والسير معها، وهو يشعر بشعورها ويعيش بإحساسها، ويعتبر نجاحها أو إخفاقها نجاحاً أو إخفاقا له، وهذه هي ظاهرة الإشعاع أو العدوى (Empathy)، كما يسميها علماء النفس، ومعناه أن شعاعاً ينبعث من الشخصية فيؤثر على شخصية أخرى ويجذبها"[٣].

ومن خلال قراءة مجموعات باسم الزعبي، نجد أن شخصية البطل أو ما يمكن تسميته بالشخصية المحورية شخصية مستلبة تماماً، ويعود ذلك لرؤية الكاتب الفكرية، كما وينتقي باسم الزعبي شخصيات قصصه من الواقع الذي يعيش ومن الحياة اليومية، ليكشف ما يختبئ في دواخل الناس، وفي بيوتهم والبحث عن حياتهم المهشمة، كما استطاع أن يخرج الصراع بين الشخصية وذاتها وبين الشخصية ومحيطها الاجتماعي.

---

(١)رولان بارت،مدخل إلى التحليل البنيوي للقصة، ترجمة منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري-حلب سورية-، ٢٠٠٢م، ص٩٤.

(٢)عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية"بحث في تقنيات السرد"،سلسلة عالم المعرفة،العدد(٢٤٠)،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،١٩٩٨،ص١٠٣.

(٣)محمد يوسف نجم، فن القصة،مرجع سابق،ص(٥٣-٥٤).

لكن باسم الزعبي لم يتقيد برسم شخصيات بعض قصصه من لحم ودم أي من عالم الإنسان وإنما "يستعير الأشياء من حوله ويتلاعب بها بحس فني وبطريقة مبتكرة"[1] فيلجأ أحياناً إلى اختيار شخصيات قصصه من عالم الحيوان أو الجماد كما في قصة (الثور الأسود) حيث جعل الكاتب فيها الثور الأسود سارداً للقصة، ومن ثم تابع قصته من خلال حوار بين عبدالله بن المقفع والثور الأسود، وكذلك الأمر في قصة(رأس البصل)، فهي حكاية مستوحاة من التراث الشعبي أراد الكاتب من خلال هذه القصة توظيف الحكاية المستوحاة من التراث في بناء قصة عصرية.

ولكل شخصية من شخصيات القصة عند باسم الزعبي ظروفها الاجتماعية، وملامحها الشخصية و النفسية، وأيضاً لها مستوى محدد في اللغة والفكر، وقد انصب اهتمام الكاتب على الشخصيات التي تعاني من إحباط ويأس من الحياة والواقع، وهو الواقع الذي يعيشه الكاتب كإنسان يملك بوعيه الخاص تجاهه، فقد كان يحمل فكرة التغيير، وإمكانية، بل و حتمية تغييره، إلا أن شخصيات قصصه كانت تنزع نحو عبثية الوجود، هذه المفارقة نكتشفها في (قصة ورقة واحدة تكفي)، في مجموعة ورقة واحدة لا تكفي، وكأن الكاتب يود من خلال عنوان المجموعة أن يبين رفضه لمقولة شخصيته التي لا ترى في الحياة سوى مشوار عبثي.

والكاتب بتصويره الفردي لشخصية ما هو إلا امتداد لتصوير حياة شريحة كاملة من المجتمع ممن يقعون في نفس الظروف المتشابهة. كما ونلحظ أن القاص قد رسم لنا الشخصية بأبعادها الأربعة وهي: البعد المادي والبعد الاجتماعي والبعد النفسي والبعد الفكري(الأيديولوجي)، وسوف نتبين هذه الأبعاد من خلال إلقاء الضوء على بعض من القصص في توضيح بسيط لهذه الأبعاد.

أولاً: البعد المادي

ونعني بالبعد المادي رسم الشخصية في القصة بملامحها الجسدية، وما يميزها من علامات فارقة كالشعر الكثيف والشوارب، ولون البشرة والعلامات الفارقة الجسدية، أو ما ترتديه من ملابس وأشياء خاصة تتميز بها عن الشخصيات الأخرى "وتعامل الشخصية في القصة التقليدية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها، وقامتها وصوتها، وملابسها وسحنتها وسنها وأهواؤها، وهواجسها وآمالها وسعادتها وشقاوتها، وذلك بأن الشخصية كانت تلعب الدور الأكبر في أي عمل قصصي، ويبدو أن العناية الفائقة برسم الشخصية أو بنائها

---

(١)نضال القاسم،البناء الفني في تقاسيم المدينة المتعبة لباسم الزعبي،جريدة الرأي الأردنية، العدد١٤٣١٣، عمان،الجمعة،٢٠٠٩/١٢/١٨.ص

في العمل الروائي، كان له ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من جهة، وهيمنة الأيدولوجيا من جهة أخرى"[١].

فالقاص المبدع هو الذي يستطيع رسم شخصيات قصصه بكل دقة وإتقان بطريقة هادفة تتفاعل مع الحدث، ويستطيع أن يتفنن في رسم شخصيات قصصه ويوظف هذا التفنن لخدمة الفكرة التي يودُّ توصيلها للمتلقي، فكلّما أوغل المتلقي في أسلوب القاص يصبح قادراً على تأويل أوصاف الشخصية وبالتالي يستطيع فهم ما يرمي إليه القاص. ففي قصة (نخلة) يصف القاص باسم الزعبي بطلة القصة من الخارج فهي أرملة وحيدة بائسة شاحبة اللون ضئيلة الجسم، كما ويصف أبناءها بالأشباح التي تشبه الغيلان، وقد أضاف إلى المتلقي من خلال هذا الوصف الوضع الاجتماعي للشخصية، فضآلة الجسم وشحوب اللون تكشف بشكل غير مباشر عن حالة الفقر التي تعيشها "بدأ المنزل الصغير في الضباب وسط الحديقة أرملة وحيدة يائسة كئيبة، الضباب غطى جميع المزارع المحيطة ولا أقدام أو أنفاس بشر في المكان قبل أن تظهر تلك المرأة الشاحبة، حاضنة أرواحها وعمرها في كيس، متردّدة أمام المنزل الريفي المنعزل: إنها خائفة، انتظرت المرأة قبل أن تأتي الشمس قرناً، تسلل الخوف من شقوق روحها، امتلأت الغرفة بأشباح تشبه الغيلان"[٢]، فشحوب المرأة والأطفال الذين يشبهون الغيلان بدلالته الرمزية يدل على تعب الفقراء، وعلى التعب الجسدي الذي يجعل هم الإنسان هو الحصول على الطعام لسد رمق الصغار، فهذه المرأة تتعب وتكد وتبحث عن قوت أطفالها، وبذلك يزول الجمال الأنثوي بسبب الوضع الاقتصادي المتدني والفقر وما تعانيه الشخصية من محاولة الاستغلال الجسدي .

كما ويتجلى البعد الخارجي في قصة (غزالة) فتصور شخصيات القصة أهل غزالة (دار مزعل) بأنهم ضخام الجثث غلاظ الحواجب والشوارب، دلالة على الظلم والجهل والتسلط "تسلل الخبر إلى دار مزعل وأشعل النار في هشيمهم، اجتمع أخوة غزالة ضخام الجثث غلاظ الحواجب والشوارب مع أمهم، كانت الوجوه محتقنة، والعيون تنفجر من الغضب، قال الأخ الأصغر: لست على استعداد أن أكون راعياً لها ولأولادها، فلتذهب إلى الجحيم، ليس لها عندي مأوى بعد اليوم"[٣].

---

(١)عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية،(ص٨٣-٨٦).

(٢)باسم الزعبي،نخلة،مصدر سابق،ص٤٧.

(٣)باسم الزعبي،غزالة،مصدر سابق ،ص٢٤.

ومن أبرز النماذج التي تبرز البعد المادي قصة (ذات الرداء الأصفر) فكان التحول في الشكل الخارجي تبعاً للتغير في العالم الداخلي للشخصية، فالفتاة الكئيبة التي ترتدي ثوباً رمادياً وتغطي رأسها، وليس لها ملامح تذكر، تتغير عندما تتغير في شكلها بتأثير الفنان، تتغير حياتها، فلم تعد كئيبة، أو تجلس وحيدة، بل تصبح محاطة بالشباب، وكذلك الأمر في قصة (المتحف)، إذ تبدو الشخصية منذ البداية وكأنها خارجة من متحف "خمسة وعشرون عاما! لم يكن يسمح بأن يتغير شيء في وقع حياته. إنه لا يبرح عتبة منزله ناقص الأناقة: الشعر المصفوف والمدهون بـ" البريل كريم"، البنطلون المكوي، والياقة البيضاء المنشّاة-للعلم، لم يتخل عن المكواة المعدنية التي تسخن على البريموس، ولم يتخل عن القيام بهذه المهمة بنفسه- وتلميع حذائه بالفرشاة والـ"كيوي"..."[1] هذا الوصف للشخصية يؤكد على أنها تعيش في الماضي، وينتهي مصيرها بأن تصبح مديراً للمتحف "يحتل نفس المكتب، ولم يعد وحيدا. صور المسؤولين السابقين تحيط به، وأجهزة الهاتف القديمة، والطابعات، ونماذج من الخزائن الخشبية والحديدية، والمكاتب، والملفات، ونموذج شمعي لعامل البوفيه حاملا صينية القهوة والشاي... إنه متحف حقيقي!"[2] ويتضح هنا تحول تلك الشخصية إلى إحدى موجودات المتحف، موجود حي، أو شخصية محنطة. كما نجد هذا البعد في قصص: (قفر)، و(النون)، الشخصية التي تثبت على المبدأ فتتحول إلى نصب خالد ينبض بالماء، مصدر الحياة، و(قصة المنزل المطل على عبدون) الشخصيتان في القصة بشعتان ببشاعة سلوكهما الانتهازي، حتى أن المكان يأخذ منهما حاله فهو مكان عفن، وقصة(ذات السوار الذهبي)، حيث يعبر الوصف الخارجي للشخصية عن فراغ تلك الشخصية وقسوتها، شخصية معادية للحياة والإنسان رغم التفاف المعجبين حولها، فهي تحوّل مأساة الآخر، بالإضافة إلى امتداد لعالم متعها، وقصة(رأس البصل) المقارنة بين حالتين شخصيتين: الملكة والخادمة، الأولى رغم جمالها إلا أنها تتصف بالقسوة، والثانية رغم بشاعتها إلا أنها تتصف بالإنسانية وغيرها.

---

(١)باسم الزعبي،المتحف، من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٢٧.

(٢)المصدر نفسه،ص٣٢.

وليس شرطاً أن تكون الشخصيات في القصة القصيرة حقيقية-كما أسلفنا-وربما تكون متخيلة "والمبدع لا يخلق شخصيات، لأن ما يقدمه ليسوا أناساً حقيقيين، فضلاً عن كونه لا يحاول حتى مجرّد إعطائنا النماذج الحية الواقعية أو التاريخية أو الأسطورية، وفي تقديرنا أن المهم في العملية الإبداعية، هو صدق الكاتب في التعبير عن النماذج الإنسانية التي يصورها، بأبعادها النفسية أو الاجتماعية أو الثقافية"[١]. ففي قصة (الشيخ والأغراب) يصف لنا الراوي الدب من الخارج، يقول: "الوجوه مشدودة، العيون مشدودة إلى الدب الضخم المقيد بسلسلة حديدية طويلة، يمسكها أبو حمزة وقد زينت أقدامه ومخطمه بالودع، ومن جديد يطلب أبو حمزة مزيداً من الصلاة ومزيداً من الإكراميات، ومزيداً من التصفيق، وبعد أن يرقص الدّب رقصة الانتصار، بجسده المترهل من كثرة الشحوم يصيح أبو حمزة بنبرة احتفالية، من قال أنا؟ من يريد أن يعود إلى زوجته رافعاً رأسه"[٢]، فهذه أوصاف الدب من الخارج وهو رمز للمستعمر الغريب الذي ينهب ثروات الأمة.

وقد رسم القاص أيضاً البعد الخارجي لفراشة عندما كانت في الحديقة في قصة (فراشة)، يقول السارد: "وجدت في الحديقة كومة من الطين بحجم بيضة العصفور، أثارت لدي حب الاستطلاع، تناولتها كانت هشة كورق الشجر الجاف، خرجت منها فراشة بجناحين فيهما كل ألوان أزهار الحديقة...قلت لها: لا تطيري. ابقي عندي، هزت جناحيها تستجمع طاقة للطيران. قالت: لا، إني أحب الطيران[٣]، وعندما أمسك بها ابن الجيران في اليوم التالي واضعاً إيّاها في ألبوم مزخرف، وعندما نظرت إليها "كانت عينا الفراشة البلوريتان تنظران إلي، دون أن تقولا شيئا، وكان كل القول لي"[٤].

فهو يشعر بتأنيب الضمير، لأن البشر اصطادوها وجعلوها زينة لألبوماتهم عندما صادروا حريتها، فالبعد المادي خدم الشخصية وجعلها سهلة الوصول إلى المتلقي بصورة أكثر وضوحاً، وأدق تفصيلاً.

---

(١)عبد الرحمن شلش،صورة الواقع في القصة،النقد في الإمارات،كتاب الرافد،منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،١٩٩٨،ص٧٩

(٢)باسم الزعبي،الشيخ والأغراب،مصدر سابق،ص(٥٤-٥٥).

(٣)باسم الزعبي،فراشة،من مجموعة الموت والزيتون،ص١٠٣.

(٤)المصدر نفسه،ص١٠٤.

ثانياً:البعد الاجتماعي

يعرف البعد الاجتماعي للشخصية بأنه "انتماء الشخصية إلى فئة معينة من الناس أو مكان محدد كالريف أو المدينة أو طبقة اجتماعية، بحيث ينعكس هذا الانتماء على حركتها، ولغتها وسلوكها وطموحها"[١]، ويتناغم هذا البعد مع البعد المادي للشخصية، مما يزيد من وضوح الشخصية، وتبرز معاناتها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، أو انكسارها في مواجهة ظروف الحياة، أو تهميشها من قبل المجتمع، ويساعد هذا التناغم في أبعاد الشخصية من إقناع القارئ فيها واستمراره في البحث عن معاناتها والإحساس بها، وبالتالي يشعر بصدق القاص في إبراز معاناة تلك الشخصية، والقارئ لقصص باسم الزعبي قراءة فاحصة يجد أن القاص قد بذل جهداً كبيراً في انتقاء شخصيات قصصه، فالقاص يركّز على الشخصيات الريفية الفقيرة والمهشمة في المجتمع، لذلك تترك البيئة أثرها على الشخصيات وعلى ردود أفعالها، ونجد أن القاص قد اختار الشخصية البسيطة في قصة(ذات شتاء) حيث نجد شخصية محسن مأزومة، تعيش حياة الفقر والبؤس والإحباط عندما باع أرضه واشترى شاحنة لم يتمكن من تسديد أقساطها، لذلك استردت الشركة البائعة الشاحنة، وضاعت الأرض فخسر الأمرين معاً، إضافة إلى ذلك البيت الذي أخذه البنك عندما تم رهنه لشراء الشاحنة، فيخرج من البيت محبطاً مأزوماً وتائها مما أدى به إلى تشتته وانفراط شخصيته، يقول: "أسمع رسمية تلاحق الصغار، تشتمهم، وتولول على حظها، أسمع خطواتها القادمة، وخفقان الماء في الحذاء المطاطي، لعنة الله على النساء: هن السبب: رسمية كانت السبب فيما وصلت إليه، كل ما فعلته كان يرضيها لتتبجّج أمام النساء، ولكن لماذا توقف عمل الشاحنات هكذا فجأة، حتى الآن لم أفهم شيئاً، آه، لو لم يتوقف عمل الشاحنات لكانت حالي فوق الريح"[٢].

ونلمس التناغم في البعدين المادي والاجتماعي في شخصية(حمود) في قصة الشيخ والأغراب، فهي شخصية ريفية بسيطة غيورة وصاحبة مبادئ في الحياة "حمود الشاب القادم ـــــ

(١)فريال سماحة، الشخصيات في روايات حنا مينة، دراسة أدبية، ط١، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص٣٢.

(٢)باسم الزعبي،ذات شتاء،مصدر سابق،ص٧١.

لتوه من الحصاد، معتمراً حطة بيضاء، حال لونها إلى البني، سمع بعض الهمس، امتلأت عيناه غضباً، ودار تصميم في رأسه"[1]، فحمود لم يحتمل الدب الذي يصرع أبناء القرية، حتى صايل صديقه الشاب القوي استطاع أن يصرعه الدب الذي يمتلكه أبو حمزة، لكن حمود شق الحلقة ودخل في الحلبة وعلى وجهه تصميم قوي، فاستطاع أن يطرح الدب أرضاً"هجم على كتفي الدب، دفع بقوة، تراجع الدب خطوة، ثم خطوة، لكنه لم يسقط، اندفع حمود فجأة حاضناً الدب بيديه كلتيهما، شد بكل ما لديه من قوة، وأماله إلى اليسار، ثم طرحه أرضاً"[2]، لكن حمود صدم عندما سمع عرض الشيخ فندي على الغرباء أن يبقوا مع دبهم ليقاسمهم الرهان.

كما نجد هذا البعد في نماذج اجتماعية محددة، مثل الموظف الفقير في قصة (ثمن الحذاء)، والحزبي الآفل في (تقاسيم المدينة المتعبة) و(تحوّل) و(ولادة) و(ضياع) و(المنزل المطل على عبدون)، وحارس القيم النبيلة في(المهباش)، والوصولي في (الصعود حتى حافة الحذاء)، الإنسان الطيب مقابل الانتهازي في قصة (من مفكرة سكرتيرة معالي الوزير)، شخصية المثقف المتناقضة في قصص: (ثرثرة)، (الحقير)، (الغنيمة)، (دم الكاتب)، (نخلة)، (انتحار برسم الحياة)، (على هامش قصة صديق)، (رواية الفصول الأربعة)، والمرأة التي تم تناولها في أكثر من قصة وقدمت نماذج من مختلف البيئات الاجتماعية.

ثالثاً:البعد النفسي

ويمثل البعد النفسي حالة الشخصية النفسية والفكرية، وهو محصلة للبعدين السابقين البعد المادي والبعد الاجتماعي، فهذا البعد يصور لنا أحاسيس الشخصية الداخلية ومشاعرها وتصوراتها، وتأزم الشخصية مع نفسها ومع الآخرين، وتكشف عن ملامحها النفسية منذ الوهلة الأولى "والمفروض أن يكون محصلة للبعدين السابقين: هل هو عصبي أو بارد، مجنون أو عاقل. هل تصرفاته متناقضة هل هو عاشق أو همه جمع المال"[3]، هي ملامح تتصف بالوحدة والبؤس وما تعانيه الشخصية من غربة نفسية على الرغم من عيشها داخل المجتمع، ونلاحظ أن القاص قد استخدم شخصيات حقيقية واقعية حية تعيش في واقع المجتمع وتحيا معه، فهي ـــــــ

(١)باسم الزعبي،الشيخ والأغراب،مصدر سابق،ص٥٥.

(٢)نفسه،ص٥٦.

(٣)يوسف الشاروني دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص٥١.

شخصيات من لحم ودم، كما تحب وتكره وتكافح وتفرح وتحزن فهي شخصيات متجسدة في الواقع، وقد ظهر هذا البعد من شخصيات القاص من خلال أحاديث الشخصية الداخلية مع نفسها، من خلال الحوار الداخلي الذي يتم بصورة المتكلم، ففي قصة شقائق النعمان يتضح هذا البعد عندما تؤنّب غادة نفسها عندما قبلت بجبار زوجاً رغم المعارضة الشديدة من قبل أهلها لهذا الزواج "ما الذي جعلني أقبل به زوجاً؟ بل إني أحببته بعض الأوقات، بل إنني كنت معجبة به،

أذكر عندما اصطاد لي سمكة من دجلة بيده وشواها لي، لم أذق في حياتي أطيب من تلك السمكة، وأذكر عندما تصدى للشبان الثلاثة الذين اعترضوني، كان نمراً يومها...ألف عباءتي على جسدي وأمشي إلى جانبه، واثقة، واقفة مثل نخلة"(١).

وفي قصة (ذهب أيلول) يكشف الحوار الداخلي للشخصية عن أعماق المرأة طبيبة الأسنان، عندما انبهرت بالمريض الذي يراجع عيادتها "لا أعرف ماذا تملكني عندما رأيته أول مرة، هدوءه، جديته، شكله، الفضة المشتعلة في رأسه، العينان السوداوان اللتان أراهما أول مرة في حياتي، لم أن أجرؤ على النظر في عيون الرجال، رغم أنني أقترب منهم رغم العناق، إلا أنني لا أجرؤ على الانحراف في خط بصري قدر المسافة ما بين الفم المفتوح على اتساعه، وبحر العينين المليء بالأسرار والحكايات والخبايا، إذا هما العينان! يا لتعسي وشقائي، ما الذي جعل بصري ينزلق ليغرق في مجاهل صمته، في تلك البحيرة الوقور التي تسرد حكايات طفولة غابت في غياهب الزمن؟"(٢).

ولقد حرص الكاتب على التنوع في اختيار شخصيات قصصه بأوضاع مختلفة للشخصية، كي يكون الكاتب قريباً من الواقع، الذي يرى فيه باسم الزعبي التنوع الكبير في اختيار الشخصيات، فقد صور شخصيات عاملة مثل الممرضة في قصة (ابتسامة خضراء)، والمعلمة في(شقائق النعمان) والطبيبة في (ذهب أيلول) والفران في قصة (غزالة) والوزير في قصة (ضمير) والموظف في قصة (أوجاع)، والأغنياء في قصة (دينار والأصدقاء) والفقير في قصة (رغيف وديدان) وقصة (سندويتش) وشخصيات أطفال مثل قصة (أحلام وآمال) وغيرها.

وتلعب الشخصيات الثانوية في قصص باسم الزعبي دوراً أساسياً في توضيح القصة، فتلك الشخصيات تمثل العوامل المساعدة بالنسبة للشخصية الرئيسية في القصة، رغم أن الكثير من الكتاب لا يذكرون أسماءها أو يجعلونها تتحدث بنفسها، حيث يستمد منها البطل قوة ـــــــ

(١)باسم الزعبي،نخلة،مصدر سابق،ص(١٠-١١).

(٢)باسم الزعبي،ذهب أيلول،من مجموعة دم الكاتب،ص١٨.

الشخصية أو ضعفها، وهي تعمل رافداً مهماً إلى جانب الشخصيات الأخرى، كما ويعتمد عليها الراوي في القصة في إبراز مشكلات القصة الرئيسية "وهي مادة الكاتب الخام، الذي يستمد منها موضوعه، كما أنها ساعدت على حركة القصة لإظهار من خلال المواقف التي يمر بها العامل الذات، وربطت بين الفكرة وبين الواقع وحاجته إلى التغيير"(١).

كما "تقود القارئ في مجاهل العمل القصص وتوجه الحبكة والأحداث بحيث تلقي ضوءاً كاشف على الشخصيات الرئيسية"(٢)، ومن الشخصيات الثانوية في قصص باسم الزعبي شخصية الرجل الذي يتحدث مع رجل آخر وهو يحفر بالمجرفة بالأرض ليحول بالماء دون الوصول إلى البيوت ويحركه نحو الشجر، وبطل القصة محسن يستمع إليهما أثناء نزول المطر بشدة في قصة(ذات شتاء) "إني لا أذكر في حياتي شتاء مثل هذا، تصور أنا أصبحنا على البئر ممتلئة حتى خرزتها، انظر إلى المزاريب! إنها لا تستوعب الماء، إنه يفيض على حافة السطح"(٣). وفي قصة دينار والأصدقاء نرى الشخصية الثانوية لذلك الرجل الذي شغل الموسيقى واستأنف الحفل بعد إعلان خبر وفاة كساب الفقير. وتتمثل الشخصية الثانوية في شخصية أم عامر في قصة ابتسامة خضراء التي كانت تستلف منها البطلة الممرضة رانيا أجرة "السرفيس" للذهاب إلى المركز الصحي.

وقد اهتم القاص بشخصية الرجل فكانت تشكل حيزاً كبيراً في مجموعاته القصصية، ولكنه لم يغفل دور البطولة النسوية، بل وجدت المرأة في قصص كثيرة مثل: ذات السوار الذهبي ودينار والأصدقاء وابتسامة خضراء وشقائق النعمان ونخلة وغزالة وثرثرة وذات الرداء الأصفر وغيرها الكثير من القصص، مما يدل على أن القاص لا يقلل من شأن المرأة ودورها الفعال في الحياة بل وتحتل جزءاً كبيراً بوضعها الحياتي في مجموعاته.

وقد تنوعت شخصية المرأة في مجموعاته، فقد صورت المرأة العاملة كما في قصة ابتسامة خضراء، والمرأة المثقفة والمرأة الثرثارة كما في قصة ثرثرة، والمرأة الباحثة عن التحرر من قيود المجتمع الظالمة كما في قصة غزالة وقصة البكارة وغيرها.

وقد جاءت نسبة كبيرة من شخصيات باسم الزعبي مسطحة لا تنامي فيها، والشخصية

---

(١)ايفلن فريد جورج،نجيب محفوظ والقصة القصيرة،دار الشروق للنشر والتوزيع،بيروت،١٩٨٨م،ص١٨.

(٢)محمد يوسف نجم،فن القصة،مرجع سابق،ص٤٦.

(٣) باسم الزعبي،ذات شتاء،مصدر سابق،ص٦٨.

المسطحة تبنى فيها الشخصية "حول فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث ولا تأخذ منها شيئاً"[١]، فمعظم هذه الشخصيات ثابتة على نمط واحد أو موقف واحد في القصة منذ بدايتها وحتى نهايتها، كما في قصة غزالة التي رفضت فكرة الزواج على الإطلاق بعد أن هاجر زوجها إلى ألمانيا فترة طويلة، وعندما دارت حولها الشبهات وفرض عليها أهلها تزويجها قسراً، لكنها ظلت متمسكة بموقفها وهو تربية الأبناء وانتظار زوجها المغترب "حبست في غرفة طينية حقيرة لا يدخلها النور سوى من طاقة صغيرة مغلقة بشبك حديدي، لم يعد الزمن يعني شيئاً لها، سوى حطام من ذكريات الماضي، ولم تعد الشمس تشرق وتغرب، وهي غير متأكدة فيما إذا كان الناس ينامون أو يصحون في الخارج أو لا"[٢].

أما الشخصيات النامية "فهي التي تتكشف لنا تدريجياً، خلال القصة، وتتطور بتطور حوادثها ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث"[٣]، فالقاص باسم الزعبي استطاع أن يوظفها في الكثير من قصصه، فقصة (ذات الرداء الأصفر) تبين لنا تنامي شخصية الفتاة إحدى طالبات الجامعة التي كان يراها الفنان برداء ومنديل رماديين، مهملة كئيبة، حيث تولد لدى الفنان اعتقاد غير طبيعي يجعل من تلك الفتاة شيئاُ آخر، فأسرت الفنان رغبة في نثر مكوناتها وإعادة ترتيبها وفق رؤياه، وعندما تمت اللوحة وعرضت في المعرض الذي أقيم في الجامعة، وزارت الفتاة المعرض استوقفتها اللوحة كثيراً ثم انطلقت بانفعال لا تلوي على شيء، وبعد فترة وقبل انتهاء المعرض، دخلت نفس الفتاة وقد تغيرت حالها إثر اللوحة التي رسمها حيث استطاع أن يحل مشكلتها ويخرجها من الكآبة "دخلت القاعة فتاة برداء أصفر، وشعر كستنائي منثور على الكتف، وعينين عسليتين تلمعان حيوية، وإلى جانبها شاب وسيم ببدلة سوداء أنيقة، تحركا إلى الصفوف متجهين إلى المقاعد الفارغة في نهاية القاعة، دهش الحضور وهم يتابعون الفتاة بنظراتهم، ثم عادوا يتابعون الجلسة ونظراتهم مصوبة نحو الفنان الشاب بتساؤل ودهشة... انتهى الحفل، تحرك الجميع نحو المخرج، وبقي الفنان الشاب في مكانه تمثالا من الحيرة، مر الجميع من أمام المنصة وكان آخرهم الفتاة ذات الرداء الأصفر يرافقها الشاب ذو البذلة السوداء وبينهما حديث، التف الشاب إلى الفنان، وأومأ برأسه بتحية عابرة، وانصرف مع الفتاة، وبقي الفنان وحيداً لا يعي شيئاً، مشيعا الفتاة ذات الرداء الأصفر بنظراته، ـــــــ

(١)محمد يوسف نجم،فن القصة،مرجع سابق،ص١٠٣.

(٢)باسم الزعبي،غزالة،مصدر سابق،ص١٠٣.

(٣)محمد يوسف نجم،فن القصة،مرجع سابق،ص١٠٤.

ولم يبق في القاعة إلاه ولوحة مغلفة بالورق ترقد أمامه"[١].وعموماً فإن هذه الشخصيات السطحية أو النامية تكشف لنا عن الأبعاد الاجتماعية للبشر، وعن توجهاتهم الفكرية والاجتماعية والإنسانية.

رابعاً:البعد الأيديولوجي(الفكري)

أما البعد الأيديولوجي فيكشف فيه القاص النقاب عن انتماء الشخصية الفكري واتجاهها وعقيدتها "هل هو محافظ أو متحرر، إذا كان في القرية هل هو مع الأخذ بالثأر، أم ضده، وإذا كان في المدينة هل هو يؤمن بسيطرة الرجل على المرأة أو بمساواتها، هل آراؤه تطابق أفعاله؟"[٢]، فهذه الملامح لها أثر كبير في تحديد وعي الشخصية، وقد يرسم القاص هذا البعد "ليؤكد الفصام الذي تعيشه الشخصية بين ما تؤمن به أو ما تقوم به من أفكار وبين ممارساتها، فالشخصية تدعي أنها تؤمن بفكر معين، لكنها تمارس عكسه بوعي أو بدون وعي"[٣]، والقاص باسم الزعبي لم يغفل هذا البعد، فنجد هذا البعد في قصة (تقاسيم المدينة المتعبة)، حيث تظهر لنا صورة الشاب الذي يحمل الجريدة وينتظم الدور منتظراً الحافلة، صورة الإنسان المؤمن والملتزم بتعاليم الديمقراطية، فرغم صعود الشباب المتربصين الحافلة دون التزام الدور، إلا أنه بقي ملتزماُ، حتى تأثر به الكثير و أصبحوا ينادون بالنظام والتزام الدور "انطلقت الحافلة، وعاد الركاب يتصايحون: "...ليس دورك. أنت لم تكن هنا...لا فائدة، شعب فوضوي، لا يمكن أن يتحضر. إننا بحاجة إلى بسطار يدوس على رؤوسنا ليعلمنا النظام، إلى متى سنظل نعيش في هذه الفوضى؟ يقولون ديمقراطية، أيّة ديمقراطية، أنها سر البلاء..."[٤]. وتظهر لنا قصة(جرأة) شخصية الخياط الذي يؤمن بأن الموت واحد رغم تخيير كبير القوم للخياط باختيار الطريقة المناسبة للموت،، والذي سخر من ظلم كبير القوم عندما هيأ له ثوباً قصيراً على الرغم من معرفته بنهايته، حيث نادى كبير القوم على الحاجب عندما علم بأن الخياط قد سخر منه "يا حاجب، نادِ على النجار وليحضر لي أصغر تابوت لديه، أحضر النجار أصغر تابوت وقد بدأ ــــــــ

(١)باسم الزعبي،ذات الرداء الأصفر،من مجموعة الموت والزيتون،ص(٦١-٦٢)

(٢)يوسف الشاروني دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص(٥١-٥٢).

(٣)فريال سماحة،رسم الشخصية في روايات حنا مينة،ط١،دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان،١٩٩٩م،ص٣٣.

(٤)باسم الزعبي تقاسيم المدينة المتعبة، ص٤٠.

صغيراً لدرجة أن الرائي يخاله تابوت طفل وليد، أمر الكبير بأن يوضع الخياط فيه، لم يسع التابوت الخياط، وقف الكبير فوقه مبتسماً هازئاً، وقال: الآن اختر كيف ستوضع في التابوت، بدون أرجل أو بدون رأس؟ قال الخياط بلا مبالاة: الموت واحد يا سيدي"[١]. وفي قصة (الصعود حتى حافة لحذاء) يظهر لنا القاص البعد الأيديولوجي من خلال استخدام السخرية الناقدة لشخص يحاول تلبية طموحاته حتى لو كان ذلك بطرق لا أخلاقية "لقد بقي طابق أعلى مني، هناك منصب لم أصله بعد، لا أريد أن أبقى أنظر إلى الأعلى، يجب أن يكون كل شيء أسفل مني: المدينة، والناس، والرجال، والنساء...آه ما أمتع أن تجعل الرجال تحت حذائك والنساء على سريرك"[٢].

نستنتج من خلال قراءة الشخصيات ما يلي:

أولاً: إن الشخصيات في قصص باسم الزعبي تتكون من النماذج البشرية التي تتحقق فيها سمات أشخاص العالم الواقعي الذين يجسدون الصورة المألوفة المعتادة للإنسان في واقع المجتمع.

ثانياً: لم ينتق باسم الزعبي شخصيات قصصه من طبقة معينة، بل جاءت شخصيات قصصه لتشتمل جميع الطبقات من متقدمة ومتوسطة وفقيرة، كي تبين لنا واقع المجتمع الذي يلتقط منه باسم الزعبي هذه الشخصيات.

ثالثاً: لم تقتصر الشخصيات في المجموعات القصصية على شخصية جنس دون آخر، بل جاءت متساوية في معالجة قضايا كل منهما.

رابعاً: تشترك شخصيات القاص باسم الزعبي ببعض السمات مثل: السوداوية والوحدة، فهي مستلبة مسيطر عليها من قبل العالم الخارجي، مأزومة وسلبية، وهي دائما في عراك مع العالم الخارجي بسبب ما تعيشه الشخصية من حالة الاغتراب.

---

(١)باسم الزعبي،جرأة،من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص(١٠٣-١٠٤).

(٢)باسم الزعبي،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،الصعود حتى حافة الحذاء،ص٨٢.

رابعاً:البيئة القصصية(المكان والزمان)

البيئة القصصية عنصر من عناصر القصة، ولها دور أساسي في بناء الأحداث وتطورها وبلورتها، كما وتحدد مسار الشخصيات التي تبنى عليها الأحداث، لأن الشخصية هي نتاج البيئة، فالبيئة تجعل من القصة قطعة من الحياة، سواء أكانت حقيقية أم خيالية "وبيئة القصة هي حقيقتها الزمانية والمكانية، أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي، وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم، وأساليبهم في الحياة"(١)، حيث أن للبيئة القروية والزراعية والريفية تأثيرات واضحة في بناء حركة القصة، وفي تحريك أحداثها، فعلاقة المكان والزمان علاقة جدلية لا تنتهي، فكلاهما مكمل للآخر ويؤثر فيه، بل ويندغم المكان والزمان في القصة "فكل من المكان والزمان يتكشف ليعطي جملة من أحداث التاريخ التي تتكشف عبر المكان"(٢).

والقاص باسم الزعبي أولى البيئة القصصية جل اهتمامه، حيث استطاع القاص اقتناص اللحظة القصصية من البيئة التي يعيش عن طريق كلماته وخياله ورؤيته للواقع مكاناً وزماناً خياليين، فالزعبي يميل إلى الواقعية في كتابة قصصه، ومن خلال تتبعنا للقصص الواقعية في المجموعات، نجدها قد صورت المكان والزمان بوضوح "والكاتب يستعين في رسم بيئة قصته بالوسائل نفسها التي يستعين بها في سرد الحوادث، أو رسم الشخصيات، وهو يلتقطها كما يلتقط هذه بالملاحظة والمشاهدة، أومن قراءاته الخاصة، أو ينسجها بخياله نسجاً، مسلطا عليها قوة عليها قوة الاختراع والإبداع معتمدا على ما يلتقطه أثناء تجاربه في الحياة"(٣)، فالزمان والمكان يحدّدان شكل القصة القصيرة ويعملان على إبراز البيئة القصصية فعلاقتهما متلازمة ومن الصعب الفصل بينهما في العمل القصصي.

١-المكان

المكان عنصر مهم من عناصر البناء القصصي الذي تدور فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات "ولا بد لكل قصة من أن تبدأ بمكان معين، وأن تنتهي عند نهاية معينة، والكاتب يختار بعض مظاهر الحياة وصورها ليقدمها للقارئ بوضوح وجلاء"(٤)، والمكان يحمل قيمة فنية وبعداً جمالياً من خلال رسم وتشكيل ملامح المكان في القصة، فالمكان"عنصر جمالي ــــــ

(١)محمد يوسف نجم،فن القصة،مرجع سابق،ص١٠٨.

(٢)ميخائيل باختين،أشكال الزمان والمكان في الرواية،ترجمة يوسف الحلاق،ط١،وزارة الثقافة،دمشق،١٩٩٠م،ص٦.

(٣)محمد يوسف نجم،فن القصة،مرجع سابق،ص١٠٨.

(٤)المرجع نفسه،ص٣٣.

أساسي، عنصر شكلي وتشكيلي، وليس ديكوراً، إنه يكون الهوية الجماعية، أو يطبعها بطابعها على الأقل"[1]. والمكان هو"مرآة المتلقي وهو اللوحة الفنية التي فيها من الإيحاءات المؤثرة أكثر ما فيها من خطورة صماء"[2].

وقد يجعل القاص المكان اسماً للقصة، وقد يجعله مقدمة لها أو في ثناياها، وقد يقصد من تسمية المكان إيهام القارئ بواقعية النص، فالقاص يلوّن المكان حسب الأحداث وتوجهات الشخصية التي يستخدمها، فأحياناً يستخدم المكان للخير، وأحياناً يستخدم للشر وذلك حسب الرمز الذي يرمي إليه المكان.

أما المكان في قصص باسم الزعبي فقد جاء متنوعاً، ولم يأت هذا التنوع عشوائياً، بل كان تنوعا يحمل مدلولات ورموزاً كثيرة، فالمكان في قصص الزعبي "ليس حجرة مكيفة أو زقاقا مغبراً وحسب، إنه في أصله الصحراء والبحر في لحظة خاصة ونادرة التقائهما، إنه تلك اللحظة الصادحة بالحرية والمغامرة"[3]، فالمكان في قصص باسم الزعبي يتجاوز إطاره الجغرافي ليرسم حالة الشخصية، وموقفها من العالم، كما ويرسم نفسيتها، ودلالة الأحداث فيها، كالسجن أو المنزل أو الشارع.

كما يرتبط المكان بالحدث الذي لا بد له من مكان يجري عليه، ويقع البيت ضمن اهتمامات باسم الزعبي، حين حاول نقل صورة واضحة الملامح ليس لصورة البيت الخارجية كقصة (المنزل المطل على عبدون)، ولكن ما يكتنفه من صراعات مريرة، ومن تفاوت طبقي، ومأساة أهله وبؤسهم، فالغرفة التي حبست فيها غزالة في قصة(غزالة) تظهر تأزم الشخصية وظلمها واغترابها بسبب رفضها للزواج والتمسك بصغارها، حيث يُدخل الراوي الغرفة الطينية القديمة في ثنايا القصة، فيرسم لنا الجو المحيط بالغرفة، العتمة الشديدة ليلاً والطاقة المرتفعة والصغيرة، والآلام تتلفع غزالة من كل جانب "حبست غزالة في غرفة طينية حقيرة، لا يدخلها النور سوى من طاقة صغيرة مغلقة بشبك حديدي، لم يعد الزمان يعني شيئا بالنسبة لها، سوى حطام ذكريات الماضي، لم تعد الشمس تشرق وتغرب، وهي غير متأكدة فيما إذا كان الناس ينامون ويصحون في الخارج أم لا، لم تعد تنهض إلى الطاقة تتوسل النور، لم تعد تبكي، كل ما كانت تقوم به هو الانكماش في زاوية معتمة في الغرفة، غير مبالية بالعالم خارج ـــــ

(١)نبيل سليمان،فتنة السرد والنقد،دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية،١٩٩٤،ص٢٨٧.

(٢)عدوان نمر عدوان، المكان في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو١٩٩٣م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م،ص٢٤.

(٣)نبيل سليمان،فتنة السرد والنقد،مرجع سابق،ص٢٨٧.

جدار الغرفة، ولا بالحركة التي تدور حولها بين الحين والآخر كي تمد لها صحن الطعام"[١].

فالمكان الذي يختاره باسم الزعبي هو أي مكان، كالبيت أو الغرفة أو السجن، كما وتتأزم الشخصية داخل البيت عند شخصية محسن بسبب الفقر، وعدم القدرة على تسديد أقساط الشاحنة التي اشتراها، حيث استردت الشركة البائعة الشاحنة، فاستخدم القاص البيت المكان المغلق وجدرانه التي تطبق على روحه نتيجة للحالة النفسية التي يعيشها "المطر ينهمر كرشاش حمام طوال الليل، لم يتركني أنام، والآن يسجنني بين جدران تطبق على روحي، أحس بحباته الكبيرة تضرب على رأسي بنقرات قوية، مؤلمة، أحس بالماء يغرق قلبي...إنني أختنق"[٢]، ثم يخرج بعدها من الجدران التي تطبق على روحه إلى الشارع "أخرج من البيت، أسمع رسمية تصيح خلفي، تدعوني أن آخذ شيئا أغطي به رأسي، أسير في الشارع لا ألوي على شيء، الضباب يلفني، الضباب يلف كل شيء، يغسلني المطر، جاكيتي يبتل، ينفذ الماء إلى القميص، أحس بالرطوبة على جلدي، تلتصق ملابسي بجسمي..كلي مبتل"[٣]، فالشارع أصبح فضاء مفتوحاً أمام محسن، هرب إليه بسبب ضيق العيش الموحش داخل البيت.

ويقدم باسم الزعبي في قصة (المنزل المطل على عبدون) صورة لأحد البيوت الحجرية المهترئة في جبل عمان، له واجهة حجرية مسودة بفعل الطحالب والعفن، وفي هذا المكان تجري أحداث القصة بين البطلة وعشيقها الذي يتردد عليها، حيث يشير هذا المنزل إلى الصراع الطبقي بين الأحياء الراقية في عمان والأحياء القديمة، وما يعانيه أصحاب هذه البيوت من البؤس والحرمان والقهر، حيث يطل المنزل على المنازل الفخمة في الجانب المقابل من وادي عبدون "ينزل الدرجات الحجرية المهترئة في جبل عمان، تزحم أنفه رائحة الرطوبة والعفن والطحالب، تأسره العتمة حتى يدخل منزلها..يلج الباب الحديدي والرمادي للمنزل القديم ذي الواجهة الحجرية المسودة بفعل الطحالب والعفن، المنزل الملتجئ إلى كتف الجبل خجلاً من تواضعه، يلفي عمان تصطخب في الخارج ليلج إلى عالم آخر، على الشرفة الصغيرة الوحيدة المطلة على وادي عبدون زرعت بعض من نباتات الزينة في أصص فخارية، تشي بلمسات نسائية متواضعة. لم يتوقع أن يعود إلى هذا المنزل بعد أول زيارة قام إليها. كيف تعيش مع كل هذا العفن، لكنه عاد، عاد مراراً وتكراراً، بل كاد المنزل يتحول إلى منزل خاص، ومع ذلك ـــــ

(١)باسم الزعبي،غزالة،مصدر سابق،ص٢٦.

(٢)باسم الزعبي ،ذات شتاء،مصدر سابق،ص٦٧.

(٣)المصدر نفسه،ص٧٢.

كلما نظر إلى عبدون، شرد ذهنه بالمنازل الفخمة على الجانب الآخر من الوادي، لعن حظه: لماذا لم تكن ناديا تسكن أحد تلك المنازل"[١].

وفي قصة (أحلام وآمال) نرى تأزم الابن من المنزل، بل ويجلد جلداً مبرحاً لأنه أضاع النقود التي أرسلها معه والده إلى الدكان ليشتري له علبة من التبغ، حيث تقتل أحلام الابن الذي يطمح أن يصنع طائرة تطير بمحرك، ويحتاج إلى مساعدة من والده كي يحقق أحلامه، فتستلب شخصية الابن وأحلامه ليتحرك تحت سلطة الأب "قادك من أذنك كما لو كنت خروفاً، أدخلك إلى المضافة، استل الحزام الجلدي عن خصره، لف طرفه عن يده، ثم تناولك من كتفك..ووضعك في وسط الغرفة، قدحت عيناه غضباً، الجميع توقفوا في حالة ترقب دون أن يجرؤ أحد على التدخل...نزلت الجلدات على ظهرك وذراعيك ورجليك، علا صراخك حامياً رأسك بذراعيك طالباً العفو، ولولت أمك وبكت أختك مخفية وجهها بكفيها"[٢].

وقد احتلت المدينة مكانة متميزة في مجموعات باسم الزعبي القصصية، وكان للمكان تأثيره العميق في بنائه القصصي، ويلمس المتلقي هذا الإحساس بالمكان في تقنية عدد كبير من قصصه، وخاصة في مجموعته الأخيرة (تقاسيم المدينة المتعبة)، فهي تصف المدينة بصورتها السّلبية في أثرها على أبطال القصص وخاصة في قصة رواية الفصول الأربعة، فالبطل الذي يريد كتابة روايته تتقلب عليه الفصول الأربعة وهو عاجز عن كتابة روايته نتيجة للظروف النفسية التي عانى منها، فبطل القصة يحس باغتراب نفسي شديد نتيجة للعلاقة المعادية مع المدينة، فالبطل يعيش حالات اغتراب شديدة وعدائية مع الآخرين ومع المجتمع المدني، فالعلاقات مفكّكة، حتى يمتد هذا التفكك ليصل الأسرة الواحدة، فالمدينة مكان لاستلاب الإنسان ، فشخصيات الزعبي تعارض كثير من قيم المجتمع المدني، بل وتصدم به، ولذلك فهي تعيش الاغتراب النفسي وعدم القدرة على الانخراط في المجتمع المديني والاندماج فيه، فالكاتب يبحث عن بطل روايته من المدينة لكنه ييأس في النهاية، حيث لا يجده "بطلي محامٍ-المحامي أفضل نموذج للمثقف-سأجعله ذا ماضي سياسي، لا، بل الأفضل أن أجعله مستقلاً سياسياً، لا بأس لأن يكون ذا ميول قومية يسارية، لن أجعله منتمياً لحزب معين، مما سيجعله ذا قبول عند القراء، فالقارئ-المواطن العادي لا يعرف عن الأحزاب وبطولاتها شيئاً، لكني لا بد أن أجعله نموذجاً إيجابيا، فزماننا هذا يفتقر إلى البطولة، يجب أن أشبع وألبي حاجات إنساننا الداخلية، أن أنعش ـــــــ

(١)باسم الزعبي،المنزل المطل على عبدون،ص١٢.

(٢)باسم الزعبي،أحلام وآمال،مصدر سابق،ص٧٨.

روحه، أن أزرع لديه الأمل بوجود بطل يسير عكس التيار، بطل لا يعرف الخوف، ولا ترهبه كل وسائل القمع، لذلك سأجعله ناشطاً سياسيا، يقود المظاهرات ضد أمريكيا وإسرائيل"[١].

وعلى الرغم من قسوة المدينة والتي لها قوانينها الخاصة بها وقيمها وعلاقاتها المختلفة والمتعارضة مع القيم التي تحملها شخصيات قصص باسم الزعبي، إلا أن أبطال بعض القصص يتشبّثون بالمدينة، ولا يعبرون عما يجري داخلها من تشويه للحياة الإنسانية، وقد صور الكاتب في قصة "المتحف" صورة الرجل الذي يصاب باغتراب نفسي واجتماعي كبير نتيجة لنقل (المصلحة) التي يعمل بها والتي تقرب بيته بعدة أمتار إلى مكان آخر، لكنه بعد ذلك أقنع مدير المؤسسة أن يحوّل هذه المصلحة إلى متحف، وأصبح مديرا للمتحف "نعم ولطالما دعوت إلى تحويل المبنى إلى متحف، إننا نفرط بالأبنية التراثية، هذا المبنى تراث، المؤسسة بحاجة إلى متحف يبرز تاريخها"[٢].

وتنتقد قصة هشاشة حياة الشخصية المدنية المعاصرة، التي أصبحت تعتمد في حياتها على شروط الحياة الصناعية القاسية من كهرباء وسيارات ومصانع وآلات وغيرها، فعلى شكل كابوس مرعب يصور لنا الزعبي صورة لشخصية مدنية وهي تبحث عن ماء فلا تجده لا في البيت و لا في المدينة كاملة "خرج، راحت تتزاحم في ذهنه الأفكار: الحنفية، يبدو أن الماء مقطوعة عن المدينة، تنكات الماء غير موجودة الآن، البئر، غير موجودة، ولا خزانات الماء، الينابيع جفت وبنيت فوقها البيوت، الصحراء تطوق المدينة من كل الجهات لا نبات غضاً"[٣].

ويتجاوز مفهوم الصحراء عند باسم الزعبي كمكان وبعد جغرافي، فهي تحمل أبعاداً رمزية بعيدة، كالضياع والتيه، وأحيانا تهرب الشخصية عبر الصحراء هروباً من الواقع الأليم "قررت التحدي والسير نحو المدينة، كان المسير طويلاً، اضطرني لربط حجر على بطني يحميني من الشعور بالجوع، غربت الشمس، وأشرقت مرات عديدة قبل أن تطلّ على المدينة، كانت الشمس تغيب خلف الصحراء وظلي يمتد طويلا حتى حدود المدينة"[٤].

وتشير المدرسة في قصص باسم الزعبي إلى وطن الذكريات، فتمثل قصة حارس المدرسة بطل القصة عندما عاد من الغربة واشتم رائحة اللزاب ، حيث أثارت ذكرياته وقرر أن

---

(١)باسم الزعبي،رواية الفصول الأربعة،مصدر سابق،ص(٥-٦).

(٢)باسم الزعبي،المتحف،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٣١.

(٣)باسم الزعبي،هشاشة،مصدر سابق،ص٧٩.

(٤)باسم الزعبي،دخول المدينة،من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص(٦٦-٦٧).

يذهب إلى المدرسة التي درس فيها أيام صباه، وعندما دخل إلى غرفة الحارس، وجد أن كل شيء قد تغير، ولم تعد الحياة كما كانت في السابق، فالماضي هو الأجمل أما الحاضر فلا طعم له "غثيان يتحرك في داخلي، يدفعني إلى الخارج، إلى الهواء الطلق، أقذف بدفتر الذكريات، لتتطاير أوراقه في كل الاتجاهات، أمسك معدتي خوف الاستفراغ، تتحول الأشياء أمام عيني إلى ضباب وسراب"(١).

٢-الزمان

يعد الزمان في القصة من أهم العناصر القصصية، لأنه الهيكل الذي تشيد فيه القصة، فالقصة فن يرتبط فيه الحدث بزمن ما، وهو الزمن الذي تدور فيه أحداث القصة، ولذلك فهو إحساس الشخصيات في القصة بالزمن، وهو غير الزمن الذي يكتب فيه القاص قصته، وقد يكون هذا الزمن واقعياً، أي حدث حقيقة، أو ربما يكون من نسيج خيال القاص.

وقد وظف القاص باسم الزعبي الزمن في مجموعاته أزمنة مختلفة، منها الاسترجاع وهو "مخالفة لسير السرد، وتقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق، وهذه المخالفة لخط الزمن تولد داخل الرواية نوعاً من الحكاية الثانوية، أما وظيفته فهي غالباً تفسيرية: تسليط الضوء على ما فات أو غمض من حياة الشخصية في الماضي أو ما وقع خلال غيابها في السرد"(٢)، فالقاص يعتمد في قصصه إلى الاتكاء على الزمن الماضي مستدعياً بعض مفرداته للتعرف إلى ماضي الشخصية ومقابلتها بين الماضي والحاضر.

أما الزمان الحاضر فهو الزمن الذي يقع ما بين الزمن الماضي والمستقبل وهو الزمن الذي يعيشه الإنسان الراوي والسارد، وهو امتداد للزمن الماضي، فتسير الأحداث فيه وكأنها الآن، أما الزمن المستقبل، فهو محاولة لكشف المزيد من الزمن المجهول، حيث تريد الشخصية أن تسبق الزمن ومعرفته وتستشرف المستقبل الغامض الذي تجهل تفاصيله، كما وتهرب الشخصية فيه من واقعها الحاضر لعدم القدرة على تحمله، فهو "مخالفة لسير زمن السرد وتقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد، ويتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب أو شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعا ما بشأن المستقبل"(٣).

---

(١)باسم الزعبي،دخول المدينة،من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٩٤.

(٢)لطيف زيتوني،معجم مصطلحات الرواية،مرجع سابق،ص١٨.

(٣)المرجع نفسه،ص(١٧-١٨).

والقاص باسم الزعبي يتلاعب في إدراج الزمن فتارة نجد الزمن الماضي، وتارة نجد الزمن الحاضر وتارة يستشرف المستقبل، وأحيانا تتداخل الأزمنة عبر حكاية واحدة بحيث يمكن أن تجري عدة أحداث دفعة واحدة، فينتقل القاص من زمن لآخر داخل القصة، فالقاص يبتر التعاقب الزمني المنطقي المبني على تسلسل الأحداث، ليسلط الضوء على ما غمض من مقتضيات في الزمن الحاضر لا يمكن أن تسير بدون الاسترجاع والعودة إلى الزمن الماضي.

فالبطل في قصة (تضحية) ينقل لنا أحداث قديمة حدثت عندما اعتنى به أهل القرية وهو صغير، فاليوم أصبح زعيمهم، وقد حان الأوان لرد جمائلهم وخدمتهم "لقد اعتنوا بي عندما كنت طفلاً وحيداً، قدموا لي أول فرخة كان ينتجها أول بيت ومعلاق كل خروف يذبح، والبيض والحمام والزبدة والحليب و اللبن..خصوني بكل شيء، لم يحسدوني بل إنهم كانوا يؤثروني على أبنائهم، فنصبوني زعيماً"[1].

---

(١)باسم الزعبي،تضحية،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٧٤.

كما أن القاص وظف الزمن الحاضر معتمداً على تسلسل الأحداث، وقد برز ذلك من خلال حوار الشخصية مع نفسها الذي لا يتم إلا في اللحظة الحاضرة من الزمن "لماذا يفرح الناس؟ لماذا يحلمون بأشياء جميلة؟ ما الذي تجده مفرحاً في هذه الحياة يا محسن، وأنت تقضي حياتك شقاء بشقاء؟ ماذا يفرحك وأنت لا تملك قدر راحة كف من الأرض ؟ فليتوقف المطر! في أرض من سينبت القمح؟ من سيأكل الفريكة؟ أوه أريد أن آكل..أريد أن آكل"[1] إن هذا الحوار المباشر بين الشخصية ونفسها يشير إلى الزمن الحاضر، فالحوار يدور في لحظة القراءة، ويساعد في الكشف عن الأحداث والشخصيات، كما أن هناك استشراقاً للمستقبل، فالإنسان يحاول معرفة المزيد من الزمن المستقبل الغامض ، بل ويصوره أحيانا من خلال استباق الزمن، فالحركة في الحياة تتجه إلى الأمام لتكشف تفاصيل الزمن واستشرافه، واستشراف المستقبل يظهر لنا من خلال قصة "لا أحد" على لسان البطل الذي حسم أمره واختار الشكل المناسب للانتحار، فهو يقرر بذلك "اللاجدوى" من الحياة، فبطل القصة يعتقد إثبات وجوده من خلال نفي نفسه، وقبل أن ينفذ المهمة شرد ذهنه فيما دار بعد وفاته "ابنه جاسر يتنفس الصعداء، يفرك يديه

مسروراً: "لم تبق عقبة في طريق زواجي منك يا ابنة الخال، راح من كان يقول لي دوما أنت غير مؤهل للزواج أيها الغر المتهور "أمه تملأ غليونها وتقص على المعزيات: "..كان ابناً عاقاً، لم يزرني يوما وبيده ولو حبة خيار، أو قطف عنب..."طلابه يرقصون فرحا: "...الحمد لله كان بخيلاً بالعلامات، لئيم، كم كان شديداً بالواجبات "زملاؤه يتهامسون في غرفة الإدارة يضربون كفا بكف، ويضحكون: "رحمة الله عليك يا "أبو جابر"، لن نراك تفطر سندويشاً وحدك كل يوم!"[2]، لكن البطل لم ينفذ ما عزم عليه، فقد اكتشف أن هذه هي الحياة، لا أحد يبالي بأحد، وكل يغني على ليلاه.

---

(١)باسم الزعبي،ذات شتاء،مصدر سابق،ص٧٢.

(٢)باسم الزعبي،لا أحد،مصدر سابق،ص٢١.

-الزمن النفسي

وقد وظّف الكاتب الزمن النفسي للإنسان، إذ إن الزمن النفسي يختلف عن الزمن الواقعي الذي يسير إلى الأمام، فيعود أحياناً إلى الماضي، فالزمن النفسي الداخلي هو إحساس بالزمن الطويل والوحدة والغربة في فترة زمنية قليلة، وتصوير القاص للزمن النفسي يزيد من مصداقية الشخصية ويتضاعف إحساس المتلقي بواقعية القصة " فالزمن مظهر نفسي لا مادي، ومجرد لا محسوس، ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال مظهره في حد ذاته"[١]، فالبطل توهان العمصي في قصة "رصاصة واحدة تحية لأم الوليد" يعيش زمنا نفسياً صعباً، فقد حجزت المحكمة على أملاكه، بسبب عدم مقدرته على تسديد قرضه، وبعد أن يكون قد تزوج من امرأة ثانية، وباع ذهب أم الوليد زوجته الأولى، التي كانت تحبه إلى درجة التقديس، فهو اليوم يرجع إلى زوجته الأولى أم الوليد عند بيت حميه راجياً منه إعادتها إليه، وأثناء استقبال والعم لتوهان العمصي كان يلقي عليه نظرات تكاد تثقب الجدار، وتشعل النار في الحطب، وتوهان يجلس أمام حميه على أشد من النار "لا يعرف كم مضى عليه وهو يراقب الساعة المعلقة أمامه، لكن عقاربها تتحرك، مثل سكين باذخ على رقبته، لم يفهم من موقف حميه شيئاً: اعملي شاياً للضيف، وجهزي نفسك لتعودي مع زوجك...جاء الشاي، قدمته أم الوليد، صفعته نظراتها، لذلك لم يستطع النظر إليها طويلا، رشف من الكأس رشفتين، ثم وضعه، ونهض مستأذنا بالخروج، فقد كانت الثواني في ذلك المنزل سكاكين حادة تطعنه في كل بقعة في جسده، فجأة، وجد حماه يتقدم نحوه ممسكاً بيديه عصى خيزران، مادت الأرض تحت قدمي أبي الوليد، ودارت الأشياء بسرعة كأرجوحة الأطفال الكهربائية لدرجة أنه نسي أين هو...وصوت معهود بنبرة ساخرة: أهلا بصهري، أهلا أبو الوليد، وانهالت العصي على جنبي الرجل"[٢]، فالبطل هنا يستعجل الزمن ويحس أنه يمضي ببطء، وهذا إحساسه المضاعف بسبب نفسيته ورغبته في أن يرجع أم الوليد إلى بيتها، فهو يشعر بالذنب لتركها، هي التي عاشت حياتها من أجله ومن أجل أطفاله، وباعت مصاغها من الذهب كي يشتري شاحنة تؤمن للعائلة قوتها.

---

(١)عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية،مرجع سابق،ص٢٠١.

(٢)باسم الزعبي،رصاصة واحدة تحية لأم الوليد، من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص(٦٠-٦١)

ونلخص من خلال قراءة هذا المحور ما يلي:

أولاً: كشفت هذه الدراسة عن رؤية الكاتب للمدينة الأردنية، فشخصيات المدينة تعيش حياتها وتعاني همومها، فطرحت بوصفها عنصراً فاعلاً في سيكولوجية الشخصيات في قصصه وتأثيرها الاجتماعي.

ثانيا: خرجت رؤية الكاتب للمكان عن إطار الرؤيا الجغرافية البحتة للمكان، فربما نجد في بعض القصص مكاناً يقع ضمن جغرافية القصة، نحو الغرفة والشارع والمدينة، لكن الكاتب لا يتحدث عن رؤية المكان الجغرافية، بل يتحدث عن رؤية المكان الإنسانية، وهذا المكان لا يكون واقعيا، بل يكون متخيلاً.

ثالثا: تنوع استخدام الزمان لدى القاص، فقد استخدام الأزمنة القصصية جميعها إضافة إلى الزمن النفسي.

خامساً:النسيج اللغوي

لا يمكن لأدب أن يوجد دون لغة، فاللغة أداة توصيلية بين القاص والمتلقي، من خلالها يستطيع القاص نقل مشاعره وأفكاره إلى المتلقين، لذلك تحمل اللغة عبئاً ثقيلا وتفيض بالدلالات والإيحاءات حتى تكون قادرة على التوصيل واستحواذ القارئ والإمساك بالموقف كله، ويبين عبد الله رضوان أهمية اللغة في القصة القصيرة بقوله: "إن لغة القصة القصيرة الحديثة لغة بسيطة التركيب ولكنها مدهشة في الإيصال، هي لغة ذات جمل خبرية قصيرة، تبتعد قدر الإمكان عن النعوت وعن التسيب في الانسياب اللغوي المتدفق دون رادع، وهي ترتبط كذلك بالشخصيات ومستوى وعيها ارتباطاً حثيثاً، بعكس اللغة التعبيرية التي تعتمد الموقف أكثر من اعتمادها على الشخصية"[١]، ومن خلال دراسة النماذج القصصية عند باسم الزعبي نجد أن القاص أولى اللغة اهتماماً كبيراً، فاستخدم القاص العبارات المكثفة والتراكيب الجديدة، كما وأضفى عليها طابعاً أسلوبياً خاصاً جعلها تقترب من لغة الشعر، فأصبحت هذه اللغة عاكسة لنفسية أبطالها المهزومين المأزومين في نسيج لغوي محكم، وبإيقاع سارد جميل "فحيوية اللغة وانغماس التعبير بدم التجربة في استجلاب لحظات زمنية نابضة واستحضار زمن حسي مجبول بالمشاعر لا زمن تجريدي محايد، جعل اللحظة الزمنية تستمد طاقاتها التعبيرية ومذاقها الخاص من الكيان النفسي والشعوري للشخصية"[٢].

وقد استخدم القاص اللغة الفصحى في معظم مجموعاته القصصية، ففرضت اللغة الفصيحة دون اللجوء إلى العامية (المبسطة) فكانت المستويات واحدة بين جميع الشخصيات سواء أكانت رئيسية أم فرعية، مثقفة أم شعبية، فلغة المثقف تتماثل مع لغة الأمي، يقول يوسف الشاروني في هذا الموضوع: "ومن غير المعقول أن يجعل الكاتب شخصياته تتكلم بمستوى لغوي واحد، وإلا هو الذي يتكلم من خلالها، وبمعنى آخر يجب أن تكون اللغة في خدمة الشخصيات وليس العكس"[٣]، ولم يقصد الشاروني بذلك استخدام اللغة العامية لطبقة الأشخاص الأميين واللغة الفصحى لطبقة المثقفين، وذلك بقوله: "وأما الطريق الأصعب والأكثر فناً والأكثر ــــــــ

(١)عبد الله رضوان،البنى السردية،دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية،ط١،من منشورات رابطة الكتاب الأردنيين بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان،١٩٩٥،ص٥٨.

(٢)نبيل حداد،القصة القصيرة في الأردن،اضاءات وعلامات،دار الكندي،إربد،٢٠٠٥.ص٨٦.

(٣)يوسف الشاروني،دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص(٤٣-٤٧).

خفاء، فهو تكون اللغة دلالة على اهتمام الشخصية، ومستواها الاجتماعي من خلال ما تستخدمه من ألفاظ وتركيب لغوي، كما التقديم والتأخير، واستعارات وتشبيهات تنبع من بيئتها"[١].

ففي قصة "ذات شتاء" يتحدث الفلاحون فينا بينهم باللغة الفصحى أثناء نزول المطر بغزارة في القرية، وأحدهم يحفر بمجرفته ليحول بالماء دون أن يدخل البيوت، ودار الحوار التالي بينهم:

"-إنني لا أذكر في حياتي شتاء مثل هذا، تصور أنا أصبحنا على البئر ممتلئة حتى خرزتها، انظر إلى المزاريب! إنها لا تستوعب الماء، إنّه يفيض على حافة السطح.

-انظر ما أنظف الماء، لقد غسل الشتاء كل الشوارع، كل أوساخ البلد، لقد أراح البلدية، انظر كيف اغتسلت دار سعد الموسى، وعادت تضحك مثل العروس.

اقسم-يا رجل-أن منظرها كان مثل الرجل الأجرب.

-الماء يغسل الوسخ الظاهر يا منصور، لكن ماذا سيغسل أوساخ الناس التي بداخلهم.

-السمكريّ، خذهم إلى السمكري، ينفض أحدهم ويجعل رأسه يهدر هديراً

-لكن أين سينفخ فيهم...فثقوبهم كثيرة..."[٢].

وفي الحوار السابق نلاحظ أن الفلاحَين القرويين يتحدثان الفصحى، وهذا أمر مبالغ فيه، ولو أن القاص استخدم العامية الوسطى في الحوار لكان أقرب إلى الواقع، فاللغة تعبر عن الشخصيات، والشخصيات مستمدة من واقع الحياة، فالواقع يكاد يقترب من العامية.

لقد أراد باسم الزعبي التواصل مع متلقيه، فصحيح أنه استخدم اللغة الفصحى في مجموعاته، إلا أنه ابتعد عن الألفاظ الغريبة والمعجمية التي يصعب هضمها من قبل كثير من المتلقين على اختلاف ثقافاتهم، حيث مالت الألفاظ إلى لغة فصحى مبسّطة قادرة على خلق عنصر التشويق والإثارة عند القارئ.

وقد عمد الكاتب إلى استخدام أسلوب الاستفهام بكثرة، فهذا الأسلوب يجسد التجربة الإنسانية لدى نفسية الشخصية، فالحوار الذي يستخدمه القاص مليء بالاستفهام، حيث استطاع الكاتب إغناء التفاصيل الدقيقة وتعميق مواقف إنسانية لإبراز الشخصية القصصية، ففي قصة البكارة يدور الحديث بين الزوج وزوجته في غرفة العروسين بعد أن أجبر كل واحد منهما على الزواج من الآخر:

---

(١)يوسف الشاروني،دراسات في القصة القصيرة،مرجع سابق،ص٤٧.

(٢)باسم الزعبي،ذات شتاء،مصدر سابق،ص٦٨.

"-إنهم يريدون الزغاريد لدمك!

لم تقل شيئاً

-تكلمي، ماذا عليّ أن أفعل؟

-ماذا أقول يا ابن العم؟وانفجرت آبار الدمع.

-هل ترفضين؟

-إنني أرفض أن يكون هناك من ينتظر رؤية دمي المسفوك،...لم تكمل سبقت دموعها كلماتها.

-ثم ماذا تكلمي.

-كيف ترضى الزواج بي يا حسن؟هل تعرف عني سوى أنني ابنة عمك؟ ماذا تريد مني أنا الفتاة التي لم تنهي المدرسة؟"[1].

فالقاص ينقل من خلال الحوار الذي تكرر فيه أسلوب الاستفهام أثر الحالة النفسية لكل من العروسين، وتعميق العلاقة من خلال استخدام القاص للغة الحديث المباشرة مع الحفاظ على قصر الجمل، حيث تحاول العروس إقناع عريسها بوجود حل لهذا الزواج غير المتكافئ بين كل منهما، والعريس يقف حائرا لا يستطيع أن يقول شيئاً، كما نجح القاص في فرض مستوى الشخصيات المثقفة، لذا جاءت لغة الحوار مناسبة للمستوى الفكري والثقافي لهما، كون أن الشخصيتين المتحاورتين مثقفتان.

وقد جاءت الجمل قصيرة مكثفة عميقة، تتصف بتوجهاتها الشعرية، أي أنها لغة تميل إلى لغة الشعر التي تحاول المزج بين الواقع النفسي والواقع المحكي، فالجرس الموسيقي الداخلي وقصر الجمل واللغة المكثفة يتضح من خلال المقطع التالي "عذّبني الكابوس، لم ألجأ للبوح به لأحد، فقد كنت على قناعة بأن حتى الطبيب النفسي لن يفيدني بشيء، فأنا أعرف يقينا بأن الطبيب سيعتمد عليّ في نهاية المطاف، سيعتمد على بوحي واعترافاتي، وعلى جهدي في استعادة تفاصيل الماضي، دخلت في دهاليز الذاكرة، اختبرت استعدادي للعنف، وقد استغربت وجود تلك المفارقة العجيبة، وهي أن أكون سليل قاتل، في حين لا أجرؤ على قتل نملة، فكرت: هل تكون روح جدي، المعذبة بسبب الجريمة التي ارتكبها، قد حلت فيّ؟ لكني، من جهة، لا أؤمن بنظرية تناسخ الأرواح، ومن جهة أخرى، فإن جريمة جدي لم تبق مجهولة، بل انكشفت، ونال جدي جزاءه من الحبس، ومات في حبسه."[2] فالفواصل زادت الإحساس بالألم حتى بدت ـــــــ

(١)باسم الزعبي،البكارة،مصدر سابق،ص١٢٥.

(٢)باسم الزعبي،الكابوس،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص٩١.

سكناتها ناطقة، وكأنما تدعو المتلقي لتروي الموقف، فالجمل القصيرة "تفيد الحركة والتتابع وتحافظ على بناء توتري يساعد على سرعة التواصل بين القصة والمتلقي"[١]، كما أوغل القاص في التصوير الشعري، و شعرنة لغة النص كما في قصة دم الكاتب، يقول السارد: "أزهقت الشمعة روحها، ألقى الكاتب قلمه، مداريا نزيف الروح، فاضت آبار الدمع، بكى الكاتب: نعم بكى الكاتب حزنا على بطله ثم مات"[٢].

كما لجأ الكاتب في معظم مجموعاته القصية إلى اللغة الرمزية، وكان الرمز فيها واضحا لا غموض فيه، فقصص الثور السود وقصة تضحية وقصة رأس البصل وغيرهما من القصص هي في الأصل حكايات رمزية ، والقصص المبنية عليها هي توظيف واقعي للرمز، كما ونجد ذلك في قصة شقائق النعمان "يا إلهي كيف يصبح الإنسان أسيرا لا يستطيع أن يدفع باب سجنه غير المغلق أصلا ويخرج؟ هل قدر العراقي أن يبقى أسيراً أينما حل؟ نعمان، يا نعمان! لماذا قتلوك؟ نيسان، يا نيسان!متى تعيد لي نعماني"[٣]، فنعمان في هذه القصّة يرمز إلى أسطورة النعمان بن المنذر والتي سنتناولها في الأساليب السرديّة، والكاتب ذو أسلوب رومانسي، وألفاظه تتسم بالشاعرية القريبة من النفس، فالملامح الرومانسية لم تطغ على المستوى اللغوي فحسب، وإنما جاءت في مضمون القصص، ولذلك يختار الكاتب الكلمات المناسبة لجوّ النص والموضوع الذي يعالجه، ويحاول رسم الشخصية بعبارات أقرب من الشعر منها إلى النثر "تتلاطم المشاعر في نفسه، هياجها يغرقه، عندما يغيب الوعي، يجد نفسه على شاطئ من قوس قزح، الألوان تستفزُّ في نفسه نشوة يشعر بها لأول مرة مذ خلقه الله، تحمله النشوة على جناح الغيم..مشت حواء أمام بصره في الأفق الواسع اللامحدود، وظل بصره ملتصقا بها: كم هي جميلة حوائي، أجمل ما أبدع ربي، لكنها تبقى ضلعي، لا أحب فراقها"[٤]، فهذه التعبيرات تعطينا إحساساً قوياً بصدق المشاعر وأن الحب هو أساس الوجود في هذه الحياة، فاللغة تفيض بالمشاعر الجياشة والتعبيرات الرومانسية.

---

(١)عبدالله رضوان،البنى السردية، مرجع سابق،ص٥٩.

(٢)باسم الزعبي،دم الكاتب، من مجموعة دم الكاتب،ص٩.

(٣)باسم الزعبي،شقائق النعمان،ص١٣.

(٤)باسم الزعبي،تفاحة آدم،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص(١١٨-١١٩).

ويضفي الكاتب ظلالاً من الألفاظ الشاعرية على اللغة، فالبطل يستغرق في الطبيعة وكأنه يعيش في عالم آخر "خريف وغابة وضباب، أوراق الشجر الساقطة مبتلة بالخرق، لا أحياء سوى بعض طيور القاق قابعة على أعالي الأشجار، ضباب كثيف يلف كل شيء: الأشجار والشمس والسماء والناس، لا يكاد يرى إصبعه، جلس منكمشاً على جذع شجرة ملقى على الأرض، سيجارته أنيس وحيد، جعله الضباب يشعر بأنه في عالم آخر، عالم تشكل الأرض"(١).

وقد أتقن القاص اللغة في العديد من القصص، ففي قصة (أحزان) نلحظ مقدرة الكاتب على إتقان اللغة، وجعلها طيعة في يده، وهو يسرد القصة بأسلوب جميل وشاعرية متدفقة، ومفردات شعرية وألفاظ موحية "ألقت برأسها على صدره، احتضن رأسها تحت عباءة الليل، بكى، بكت، الدمع الحار يبلل صدره ورأسها، وكان الليل قد تحول إلى كائن مرهف الأحاسيس، أنيس في صحراء الأحزان، والمارة تحولوا إلى ظلال بعيدة"(٢).

ورسمت لغة الكاتب باسم الزعبي القصصية الشخصيات من الداخل والخارج بدقة متناهية، فوصف الشخصيات من الخارج بحيث يجعل المتلقي يشاهد بأم عينه الشخصية كأنها ماثلة أمامه، فجاءت ألفاظه خالية من التعقيد، سهلة، معبرة:

"-الطويل ذو الوجه الطفولي لم يمد يده إلى الشواء بل راح ينقل نظرات الدهشة بين الوجوه، ملتهماً سيجارته التي لم تطفأ.

" قال الأكرت لاعقا الدم والدهن المتقطر من يده وفمه:

- إنني أرى أنه لا بد من بناء جسر...

فتح أبو أوداج فمه ليقول شيئاً، لكن قطعة اللحم المحشوة في فمه منعته من ذلك، تحدث بدلاً منه أبو شنب مقاطعاً الأكرت:

- ما وجه الشبه بين الشواء والمرأة؟

فتح أبو أوداج فمه مجدداً، لكن الأصلع كان أسرع منه، قال ماصاً عظمة:

- بل الأجدى هو إقامة نفق.

قاطعه أبو شنب قاضماً نصف رأس البصل، مستبقاً أبا أوداج، الذي لم يتمكن من فتح فمه:

---

(١)باسم الزعبي،الخروج من الضباب،من مجموعة ورقة واحة لا تكفي،ص١٦.

(٢)باسم الزعبي،أحزان،من مجموعة ورقة واحة لا تكفي،ص١٦.

- الجسر تواصل، النفق ظلام...

أضاف الأكرت :

- انهار جسر بين قلبك وأنفاق روحي"[1].

كما ويرسم الشخصيات من الداخل ويتركها تتحدث عن همومها وأفراحها وأحزانها، وتعبر عن مشاعرها، مستخدماً لغة لطيفة وسهلة، يقول: "دخلت ذاكرتي، ألفيتها أوسع من الصحراء، وأبعد من الأفق، وكنت كلما أوغلت في ذاكرتي، كانت البؤرة السّوداء تتحلل وتتلاشى، بدأت بزيارة جميع معارفي، وعندما غابت الشمس، دفنت نفسي بالرمل، ورحت في نوم عميق"[1].

---

(١) باسم الزعبي،الغنيمة، من مجموعة ورقة واحة لا تكفي،ص١٠٧.

(٢)باسم الزعبي،دخول المدينة، من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي،ص٩١.

سادساً: الأساليب السّرديّة:

فرضت طبيعة قصص الكاتب باسم الزعبي جملة من الأساليب السردية صاغها الكاتب بوضوح؛ لتجسد الفكرة والمغزى في النصوص القصصية "ليحقق التوازن للبناء الروائي كما يرى بعض النقّاد"[١] خاصّة وأن النص الأدبي "عالم موحد خاص تتنوع وتتعدد في داخله اللغات والأساليب والأحداث والأشخاص والعلاقات والأزمنة مع بقائه محافظاً على خصوصيّة عالمه"[٢]، لأن الكاتب يتعامل مع نص خيالي لا واقعي في أحداثه وشخصيّاته، يلجأ إلى توظيف أساليب سرديّة متنوعة ليصور عالمه القصصي للكشف عن واقع الشخصيّات وما يميزها عن غيرها، ولتصوير طبيعة العلاقات بينهما.

فالكاتب يسعى إلى التنوع في استخدام تقنيات السرد، مثل الضمائر، والاسترجاع والاستباق والأحلام والكوابيس والرمز والحوار، فالسرد هو "فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصّة، وهو فعل حقيقي أو خيالي، ثمرته الخطاب، ويشمل السّرد على سبيل التوسع مجمل الظروف المكانية و الزمانية الواقعيّة والخياليّة التي تحيط به"[٣].

وقد وقفت الدراسة على أبرز التقنيات القصصية في مجموعات باسم الزعبي، من أجل بيان مدى نجاح الكاتب في استخدامه لهذه التقنيات، ومدى بلورتها إلى رؤية حقيقية إلى المتلقي.

وتتشكل البنية السَّردية عند القاص في جملة من الأساليب السرديّة، تتمثل في:

أولاً: الضمائر

لا تخلو قصة من القصص الضمائر لأن "الضمير عنصر لغوي صرفي وظيفته تمثيل أحد المشاركين في عمليّة الاتصال أو تبادل الكلام"[٤]، ويتنوع اختيار القاص لهذه الأنواع حسب طبيعة القصة وأحداثها، وتنقسم نوعية السرد في القصّة عند باسم الزعبي إلى ثلاثة مستويات سردية:

أ-الراوي بضمير المتكلم(الأنا).

---

(١)منتهى الحراحشة،الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة ماجستير،جامعة آل البيت، المفرق الأردن، ٢٠٠٠م، ص١٢٢.

(٢)شكري الماضي، فنون النثر العربي الحديث،ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان-الأردن، ١٩٩٦م، ص٤٠.

(٣)لطيف زيتوني معجم مصطلحات نقد الرواية، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٤) المرجع نفسه، ص١٢١.

ب-الراوي بضمير الغائب.

ج-الراوي المتعدّد.

أ: الراوي بضمير المتكلم

وهنا نجد أن الشخصية هي التي تتحدث وتفسر وتعلل وتناقش دون تدخل مباشر من الكاتب، وقد استخدم القاص باسم الزعبي ضمير المتكلم بكثرة في مجموعاته القصصية لما له من قدرة على "إذابة الفروق الزمنيّة والسّردية بين السّارد والشخصية والزمن جميعاً"[١]، فالشخصية تقدم نفسها للقارئ دونما واسطة أو حاجز كما في قصة "حارس المدرسة" فالشخصية تعود من الغربة وتتجه إلى المدرسة كونها وطن الذكريات، وفيها تلتقي بأبي علي حارس المدرسة، وعندما تعلم ما حلّ منه بعليا الحبيبة الأولى يغدو الواقع النفسي مؤلما جداً، حيث يظهر البطل معاناته الحقيقية وأحاسيسه من الداخل، فيقول في وصف مشاعره: "طيف عليا مرّ أمامي: امرأة سمينة، تضج برائحة العرق، يتعربشها عشرة من الفتيات والصبية ...برود يسري في كياني، لم أعد أحس بشيء، كنت أنا الآخر رجلاً في تابوت...غثيان يتحرك في داخلي، يدفعني إلى الخارج، إلى الهواء الطلق، أقذف بدفتر الذكريات، لتتطاير أوراقه في كل الاتجاهات، أمسك معدتي خوف الاستفراغ، تتحول الأشياء أمام عيني إلى ضباب وسراب..."[٢].

كما لجأ القاص إلى استخدام ضمير المتكلم؛ لأنه أكثر ملائمة لمعرفة حال الشخصية وما تعانيه من تعب وإحباط ومرض، ويستطيع القاص في استخدام هذا الضمير توضيح حال الشخصيّة وإلقاء الضوء على حركتها وتفاعلها في الحياة وتصوير مشاهدها الواقعية المؤلمة كما في قصة "أوجاع" حيث يستخدم القاص ضمير المتكلم ليعبر عن معاناته الحقيقية ومعاناة المرضى الآخرين عند مراجعتهم مستشفى البشير وعملية الانتظار غير المبرّرة التي تمارس على المرضى لحين حضور الطبيب، يقول فيها الراوي بضمير المتكلم: "عدت إلى العيادة. لم يكن هناك مراجعون، طرقت الباب، خرجت عليّ الممرضة، ناولتها الدفتر الصغير وكلي لهفة أن أرى الطبيب القصير الأصلع. قالت الممرضة:

---

(١)عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية،مرجع سابق،ص١٨٤.

(٢)باسم الزعبي، حارس المدرسة، من مجموعة ورقة واحد لا تكفي، ص(٦٦-٦٧).

لقد أنهى الطبيب عيادته، سأعطيك موعدا بعد غد الاثنين، حاول أن تأتي مبكرا، وأن تحضر ملفك...

لم أعد أسمع ما تقوله الممرضة، لقد اختفت فجأة.

أجرجر قدميّ عبر الصالة التي فرغت من المراجعين وما زال التلفاز إياه يقدم صوت لدبابات ودمار ودماء...

قدماي لم تعودا قادرتين على حمل كاهلي، هبطت على أحد المقاعد، اختفى الناس من حولي، ولم أعد أرى وأسمع شيئاً..."[١].

ب- الراوي بضمير الغائب

والراوي بضمير الغائب هو الغالب في المجموعات القصصية عند باسم الزعبي، وبضمير الغائب يستخدم الراوي كلي المعرفة، وهو المحيط بكل كبيرة وصغيرة في النص القصصي، ويحدد المعلومات التي يريدها القارئ، والراوي بضمير الغائب لا يتدخل بمجريات الأحداث "ويعد الراوي بضمير الغائب "هو" أبسط الصيغ الأساسية للرواية والأكثر توظيفاً وأيسرها فهماً، فالضمير الغائب "هو" هو القناع الذي يتموقع خلفه الراوي/الكاتب، حتى يتمكن من تقديم أفكاره وتصوراته دون أن يتدخل بصورة مباشرة"[٢]، ففي قصة "رصاصة واحدة تحية لأم الوليد" يعرض لنا القاص باستخدام ضمير الغائب العليم شخصية البطل في القصّة، الذي يعيش زمنا نفسيا صعبا، فقد حجزت المحكمة على أملاكه بعد أن تزوج من الثانية، وباع ذهب أم الوليد زوجته الأولى، التي كانت تحبه إلى درجة التقديس "الساعة على الحائط هي نفسها قبل خمس سنوات، عقاربها تتحرك بنفس الرتابة، لكنها بالنسبة له تتحرك، في كل مرة، بإيقاع يختلف عن الآخر، في المرة الأولى رآها تسير بسرعة، بل كان يرى العالم كله يسير بسرعة، بل يسير متهوراً بلا هوادة، مثل سيارة فقدت كوابحها في منحدر، كان كل شيء يسير بسرعة: السيارات، العمارات تنمو مثل نبت شيطاني، الولادات والموت، حفلات الزفاف والجنائز، الأطفال ينمون كما لو أنهم تجرعوا شراباً سحرياً، الأموال والبنوك...قرر أن يتغير، لا شيء مستحيل"[٣].

---

(١)باسم الزعبي،أوجاع، مصدر سابق، ص٧٢.

(٢)الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي عند نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، اربد٢٠٠٩، ص٣٠٢.

(٣)باسم الزعبي، رصاصة واحدة تحية لأم الوليد، مصدر سابق، ص٥٨-٥٩.

كما لجأ القاص إلى السرد بصوت الغائب في الكثير من قصصه، ففي قصة "انتحار برسم الحياة" يظهر لنا الراوي العليم، الذي يعرف أدق التفاصيل عن البطل الذي انتحر، يقول الراوي العليم: "هذه هي القصّة :انتحر!

لم يترك وصية، لم يشك طيلة حياته، لم يتشاجر مع زوجته أو مديره في العمل، لم يكن مديناً، وقد وجد في محفظته بعض النقود، أي أنه كان باستطاعته شراء خبز ولحم وفاصولياء غداء لذلك اليوم، لوحاته كانت تباع جميعها في المعرض، حتى أن محبي أعماله كانوا ينتظرون معارضه بفارغ الصبر"[١].

وكذلك في قصة "حكايات الرشاد" "كان سلطان يكره الرشاد، وكان شعبه يحب الرشاد، أمر السلطان بعدم زراعة الرشاد وأكله...قرر السلطان إقامة حفل مهيب، يدعو له جماهير شعبه بمناسبة التزامهم بتنفيذ أمره، عندما حضروا، حياهم بترحاب شديد...مقبلاً إياهم فرداً فرداً... وكان كلما قبّل واحداً يزداد تجهماً... صرخ بأعلى صوته: اللعنة عليكم جميعا، تفوح من أفواهكم رائحة الرشاد. وسقط مغشيا عليه"[٢].

ج-الراوي المتعدد

"قد يتعدد الرواة في الرواية الواحدة، كما في الرواية التراسلية والبوليسية، فيروي كل واحد منهم ما يعرف، أي جزءا من مادة الرواية، ويكون هناك راوٍ رئيسي يقدم إطار الحكاية"[٣]. فمن خلال تقنية تعدد الأصوات يعبر كل صوت عن آرائه ووجهات النظر في قضية تشغله، ففي قصة "دينار والأصدقاء" استخدم القاص الحوار الجماعي عندما عرض آراء متعدّدة لشخص "كساب الفقير" الذي مات وهو مقبل على الحفلة، قال السيد ربحي الذي قدم كل ما يليق بالضيافة برجل أعمال مثله وقد ارتسمت على وجهه بعض تعابير التجهم"أعلن:

تلقيت للتو خبرا بوفاة كسّاب الفقير ..

وقال الآخرون:

-رحمة الله عليك يا كساب.

-لم يكن يتخلف عن حضور أي حفلة.

---

(١)باسم الزعبي، انتحار برسم الحياة، من مجموعة دم الكاتب، ص٥٢.

(٢)باسم الزعبي، حكايات الرشاد، من مجموعة ورقة واحة لا تكفي، ص١١٣.

(٣)لطيف زيتوني معجم مصطلحات نقد الرواية، مرجع سابق، ص٩٥.

-لا حول ولا قوة إلا بالله.

-لقد تحدث معي صباحا، وأكد أنه سيحضر.

-مسكين"[1].

وكذلك استخدم الكاتب الحوار الجماعي في قصة "حيلة" الذي يشارك فيه أكثر من شخص دون أن تتحدّد فيه شخصية المتحدث، "قال أحدهم:

-مسكين سعود، ذهب عقله مع بدرة.

قال آخر: -فليذهب إلى الجحيم، لم يتقدم لها حتى ضاعت منه، وها قد توفي زوجها ولم يجرؤ مرة أخرى على التقدم لها"[2].

---

(١)باسم الزعبي، دينار والأصدقاء، مصدر سابق، ص٤١.

(٢)باسم الزعبي، حيلة، مصدر سابق، ص١١٤.

ثانياً: الاسترجاع

الاسترجاع هو "مخالفة لسير السرد، وتقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق"[١]، والاسترجاع من التقنيات السّرديّة الحديثة التي استخدمها الكتّاب في القّصة والرواية، وتقوم وظيفة الاسترجاع "على استعادة صفحات من ماضي الشخصّية، ووضعها في مواجهة الحاضر لكشف بعد جوانب الشخصّيّة من الداخل"[٢].

يعتبر الاسترجاع من أكثر التقنيات حضوراً وتجلياً في النص القصصي عند باسم الزعبي، وقد استفاد الكاتب من هذه التقنيات الجديدة، حيث يكسر حدّة الزمن الحاضر ليعود مرتداً إلى الماضي من أجل استقصاء حدث في قصة سابقة اكتملت تفاصيلها، وعرفت نهايتها.

ففي قصة "تعب" نرى الشخصيات لا تسير في الزمن في تسلسل متتابع إلى الأمام، وإنما تعود إلى الخلف والى الزمن الماضي بشكل مستمر، فجاء الاسترجاع مؤلماً في هذه القصّة وفي غالب قصصه، فالراوي يحس بالإرهاق والاكتئاب والتعب والملل، فلا يستطيع التخلص من واقعه المعيش، واقع المثقف العربي، ويسترجع الراوي كلام زوجته بالأمس "حياتك مملة! أهذه هي الحياة التي وعدتني بها؟ هل من شيء يخرجني من تحت روحي الروتين: تجهيز الصغيرة للمدرسة، العمل في البنك، تحضير الغداء، زيارة أمك المريضة، العودة إلى المنزل، العشاء مجدداً، ترتيب المنزل والاستعداد لليوم التالي...هل من شيء آخر؟ بربك متى النهاية؟!"[٣]. كما يزداد ألمه ويتفجر دماغه شظايا عندما يسترجع كلمات رئيس التحرير وهو يصرخ عليه بلغة حادّة "لم يبق سوى أن ننعاك، إنك لم تعد تقدم شيئاً يستحقّ النشر"[٤].

وقد أبرز القاص في قصة "شقائق النعمان" تقنية الاسترجاع لأيام مفرحة، فغادة بطلة القصة تسترجع أيّامها الماضية المفرحة والجميلة في بغداد، تتذكر ما كان جميلاً من أيام حياتها بعد أن حولتها الظروف إلى امرأة وحيدة تقع بين يدي زوجها المفترس "جبار" الذي رحلت معه إلى عمان، فتقول مسترجعة: "ما الذي جعلني أقبل به زوجا؟ بل إني أحببته بعض الأوقات، بل إني كنت معجبة به، أذكر عندما اصطاد لي سمكة من دجلة بيده وشواها لي، لم أذق في حياتي ـــــــ

(١)لطيف زيتوني معجم مصطلحات نقد الرواية، مرجع سابق، ص١٨.

(٢)إبراهيم الفيومي، دراسات في الرواية والقصّة القصيرة، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٣)باسم الزعبي، تعب، من مجموعة دم الكاتب، ص١٠٢.

(٤)المصدر نفسه، ص١٠٣.

أطيب من تلك السمكة، وأذكر عندما تصدى للشبان الثلاثة الذين اعترضوني، كان نمرا يومها، لكم الأول في وجهه، ورفس الثاني، أمّا الثالث فولّى هارباً. كان نمراً، ألفّ عباءتي على جسدي، وأمشي إلى جانبه، واثقة، رافعة رأسي مثل نخلة"[١].

وقد استخدم القاص في قصة (ضياع) تقنية الاسترجاع التي تعتمد على الذاكرة، فالقصة تبدأ في الزمن الحاضر عندما كان ينظر بطل القصة إلى والدته وهي تدير المبخرة حول رأس ولده المعاق وتتمتم بتعاويذ وأدعية، فالقاص يعود مرتداً إلى الخلف فيربط الألم الحاضر مع الألم الماضي، فالشخصيّة تبتلعها دائرة الكوابيس، وتعود بها الذاكرة إلى الماضي عندما كانت زوجته تطرح عليه السؤال الذي يراوده دائماً "هل بإمكانك أن تفعل شيئاً للآخرين إذا كنت عاجزاً عن فعل شيء لابنك"[٢]. ثم ينتقل إلى موقف آخر باستباقات مختبئة في تلافيف الذاكرة وهو لوم صديقه البارد له عندما كان يقول له: "هل كنت تظن أن طريق النضال سهلة؟ من يريد أن يحمل العالم على كتفه يجب أن يكون قادراً على حمل ولده على الكتف الأخرى"[٣]. فالذكرى تبدو له كشراب الحنظل الذي كان يحس بطعمه وهو في المعتقل، ثم يتصاعد الحدث مرّة أخرى ليعود إلى الماضي عندما اعتقل للمرة الرابعة، وكان يستذكر ما يقوله في نفسه أثناء الاعتقال عن عدم زيارة أحد إليه بقوله: " لا بدّ أنهم يتعرضون إلى ضغوط كبيرة"[٤] ثم يتطور الحدث وهو يصور مشاعره في الحاضر، عندما كانت مشاعره تنسل من روحه في شقوق الأرض العطشى، وهو ينظر إلى الأفق بنظرات بليدة.

---

(١)باسم الزعبي،شقائق النعمان،مصدر سابق،ص(١٠-١١)

(٢)باسم الزعبي،ضياع،من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة،ص١١٥.

(٣)المصدر نفسه،ص١١٥.

(٤)نفسه،ص١١٦.

ثالثا: الاستباق:

هو "مخالفة لسير زمن السرد، وتقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد، ويتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب أو شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعا ما بشأن المستقبل"(١)، فتحاول الشخصيّة فيه كشف الزمن المجهول والغامض بكل تفاصيله، وأحياناً تهرب الشخصيّة فيه من واقعها الحاضر، لعدم القدرة على تحمله. والاستباق "هو الإشارة إلى بعض الأحداث والأفعال قبل أن تتم، ويكون بمقدور المرء أن يتصور وقوع الفعل أو الحدث قبل وقوعه بمدة طالت أو قصرت بطريقة ما عبر الرواية"(٢).

وتلقي هذه التقنية الضوء على حدث مستقبلي محدد يحمل دلالات دالة، يستشفها القارئ من النص، وتمنحه إحساسا بما يحدث داخل النص من حركة وعلاقات وإيحاءات، والاستباق في القصة جاء مدروسا وموجهاً من قبل الكاتب، ومعداً مسبقاً لا يخضع للصدفة، لأن الكاتب يسعى من خلال هذه التقنية السرديّة تجسيد رؤية خاصّة به يسعى إلى تحقيقها في النص.

والاستباق في القصة يأتي كتمهيداً ليحقق دوراً وظيفياً في السرد، وهو أسلوب جديد يميز القصة الحديثة عامة وقصص باسم الزعبي خاصة، فالقاص يمهد من خلاله لحدث سيأتي لاحقاً بتوظيفه إشارات محددّة وإيحاءات أولية، وجاء ذلك في القصص التي وظّف فيها الكاتب ضمير المتكلّم، لأن الراوي هنا هو الذي يلمح إلى الحدث الآتي ملماً بالحدث الذي قبله وبعده كما في قصة (سرطان) حيث يكتشف المريض بأنه مصاب بالسرطان من خلال الرّطانة بين الأطباء وهم يتحاورون باللغة الانجليزية (I think it's a Cancer)، فمن خلال هيئة المريض غير المناسبة اعتقد الأطباء أنه لن يفهم رطانتهم، فبادر المريض يسأل الطبيب عن حقيقة ما يحدث، ارتبك الطبيب قليلاً وحاول التخفيف من وقع الخبر على المريض، لكنّ ركبتي المريض بقيتا مشدودتين، وهو يتصور الموت الذي سيحدث قريباً "سيقام لي عزاء مهم، ولن يتشفى بي فتحي العزام الذي أقسم أنه لن يسير بجنازتي لأنني لم انتخبه للنيابة، ولا لمجحم الذي أحالني على التقاعد لأنني لم أمرر له عطاء المواسير، وقبل أن أسمع صوت الانفجار الهائل، وقبل أن أرتفع ــــــ

(١)لطيف زيتوني معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع السابق،ص١٨.

(٢)عبد الناصر عسّاف، تقنية الاستباق في الأشجار واغتيال مرزوق، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد٢٦٥، دمشق، آذار،١٩٩٣، ص١٨٠.

إلى السماء واسقط على الأرض كنت أنظر إلى فضل الذي كان أمامي...عشرات من العيون أحاطت بي، وأصوات من هنا وهناك تسقط في صوان أذني وتتسلل إلى تجويف رأسي:

-يا له من مسكين!

-ابتعدوا يا ناس

-استدعوا سيارة الإسعاف

...تفيض روحي وهي تحلق في الفضاء، مثل طائر ملون، تنظر إلى الأرض التي تحولت إلى كوكب أسود مليء بشظايا اللحم وبرك الدم"[١]، الشخصية لم تمت بعد وإنما تتحدث عما سيحدث بعد موتها، وتتخيل الموت القادم عندما سمعت عن مرضها.

رابعاً: الأحلام والكوابيس

كما وظّف الكاتب تقنية الحلم-وهي تقنية جديدة- في القصص ذات التوجه النفسي للتعبير عما يدور داخل نفوس شخوصهم، والقاص يحاول استشراف المستقبل، ويتمنى واقعاً غير الواقع الذي يعيش "فتجده يهرب أو يلجأ إلى الأحلام التي كثيراً ما يجد فيها تحقيقا للسعادة، مثل الحرية والكرامة التي يتمناها في الواقع، فلولا الحلم لانهارت شخصية الإنسان وتحطّمت"[٢].

وقد استخدم القاص هذه (التقنية) في قصة هشاشة، التي جاءت لتكشف هشاشة عالم الشخصية المدنية، فقد جاءت القصة فانتازيا على شكل كابوس، فالشخصية المدنية فقدت قدرتها على تلبية أبسط احتياجاتها الحياتية: الماء، فتحولت حياتها إلى كابوس مرعب "خرج، راحت تتزاحم في ذهنه الأفكار، نشط في ذهنه البحث عن مصدر للماء، حاول العودة إلى الذاكرة، الحنفية، يبدو أن الماء مقطوعة عن كل المدينة، تنكات الماء، أين هي الآن؟ البئر، غير موجودة، ولا خزانات، الينابيع جفت وبنيت فوقها البيوت، الصحراء تطوق المدينة من كل الجهات، لا نبات غضاً"[٣]، وأصبحت الشخصية تسترجع بعض المعلومات عن كيفية الحصول على الماء، حيث استعاد مقولة بالية عن الجمل "الكائن الصحراوي الذي يختزن أربعين لتراً من الماء في جانب من معدته، وأن العرب كانوا في غزواتهم عندما ينفذ مخزونهم من الماء، يلجؤون إلى ذبح الجمال للحصول على ما تختزنه من الماء"[٤].

---

(١)باسم الزعبي، سرطان، من مجموعة تقاسيم المدينة المتعبة، ص١٠٣.

(٢)إيفلن فريد جورج، نجيب محفوظ والقصّة القصيرة، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٣)باسم الزعبي، هشاشة، مصدر سابق، ص٧٩.

(٤) المصدر نفسه ص٧٩.

خامساً: الرمز

يعد الرمز من التقنيات السرديّة الحديثة المستخدمة في القصة القصيرة و "الرمز هو الذي يضفي على الجنس البشري كله صفته أو خاصيّته الإنسانية، فالأدباء والفنّانون والفلاسفة، أدركوا إشكالية العلاقة بين الرمز والإنسان، وعبّروا عنها بطريقتهم الخاصّة التي تجمع التلقائية والعمق"(١).

وقد وظّف باسم الزعبي الرمز في مجموعاته القصصيّة، تاركاً القارئ يجهد نفسه في تفكيك هذه الرموز، فجعل النص القصصي يحمل مدلولات كثيرة يستشفها القارئ من خلال الرموز المبثوثة بين ثنايا النص، ففي قصة "شقائق النعمان" يحول القاص القصّة من قصّة واقعية تتحدث عن عائلة عراقيّة تعيش حياة القهر والحرمان والحاجة، زمن الحصار الظالم الذي فرضته الولايات الأمريكية وأعوانها على العراق إلى قصة رمزيّة، فغادة بطلة القّصّة، من ماجدات العراق، تعرفت على جبار وأحبته، ثم قبلت به زوجاً.

"-قالوا تتزوجينه؟

-قلت: أترونه ناراً؟

-قالوا: أنت متعلّمة وهو لا.

-قلت: ما فائدة العلم زمن الرخص.

-قالوا إنّه يشرب.

-قلت: لم يبق بجسدي نقطة دم واحدة يشربها.

_قالوا: ونعمان، هل تنسينه؟

-قلت: نعمان قتل، قتلته وحوش الغاب، ودمّه روّى الأرض في كل مكان.

-قالوا: وروحك.

-قلت: أسلمها للعذاب"(٢).

فقصة النعمان هي قصة موازية أو تناص مع الأساطير العربية، ومنها أسطورة النعمان بن المنذر، وبحسب الأسطورة، يقال أن زهرة شقائق النعمان الحمراء، نبتت لأول مرّة على قبر

---

(١)محمد الجزائري، تخصيب النص(الأسطورة-السيرة الشعبية-الرمز-المشهد الشعري في الأردن(نماذج)،دط، مطابع الدستور التجارية، عمان،٢٠٠٠م،ص١١٣.

(٢)باسم الزعبي، شقائق النعمان، مصدر سابق، ص١٢٠.

النعمان بن المنذر بعد أن داسته الفيلة على يد علوج كسرى، فعرفت باسمه[1].

والقصة في هذا الإطار تتحول من قصّة واقعيّة إلى قصة رمزية حول الموت والحياة، الحب والاستبداد، وهي تتحدث عن الاحتلال ورؤية زواله من خلال الدم الذي يقدمه المحب، ابن العراق، وغادة هي ربيع العراق القادم، هي الحب نقيض الاستبداد، والأنانية والانتهازيّة.

وقد اتخذت قصّة "المهباش" دلالة رمزيّة للواقع، حيث تنبه هذه القصّة على خطورة تجاوز قيم المجتمع السّامية، من قبل قيم المجتمع الفردي، الذي يقيس الأشياء من زاوية المصلحة الضيقة، دون الاكتراث إلى مشاعر الآخرين الذين يعيشون معه في نفس المجتمع، فالحاج متعب لم يرضَ عن إقامة الحفل لحفيده احتراماً للميت، وهي جارتهم "رحمة" التي توافق موتها مع إقامة الحفل. لكنّ الشباب تداعوا إلى الحفل، ورشت الساحات بالماء، وأضيئت القناديل، فغادر الحاج متعب إلى بيت العزاء، وطلب منهم "مهباش القهوة" وأخذ يدق على المهباش، وتنتهي القصّة بموت الحاج متعب، وقد حمل إلى المقبرة، وأثناء الدفن وسكون الجو، سمعت دقّات المهباش من قبل أحد الصغار "بدأت الدقات متعثرة، مكتومة، وشيئاً فشيئاً، أخذت تنتظم وتعلو بنبرة واحدة"[2].

فالمهباش يحمل دلالة رمزية، فهو أداة من التراث القديم، يقوم مقام الصوت المحذّر (ناقوس الخطر، أو الطبل)، وقد اختار الكاتب المهباش لأنّه أداة تنتمي إلى تراثنا الأردني والعربي، في لفتة إلى التأكيد على أهميّة الحفاظ على قيمنا الغارقة في التاريخ، والطفل الذي يدق المهباش أثناء وداع الشيخ، دلالة على استمرار هذه القيم، وعدم توقفها أو ضياعها.

---

(١)مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الكاتب،عمان،٢٠٠٩/٧/٤.

(٢)باسم الزعبي، المهباش، مصدر سابق، ص٣٥.

سادساً: الحوار

"الحوار جزء هام من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه، ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيّات"(١).

وقد استخدم القاص تقنية الحوار بكثرة في مجموعاته القصصية من أجل تطوير الحدث والولوج إلى عالم الشخصيّة من الداخل ومعرفة ذاتها، والكشف عمّا يجول داخلها من مشاعر وانفعالات، فالحوار عنصر قصصي ذو أهمية بالغة، وهو على نوعين: الحوار الداخلي، ويسمى "المونولوج"، ويقصد به حوار الشخصيّة مع نفسها، دون أن يسمعها المحيطون بها، والنوع الثاني: الحوار الخارجي، ويسمى "الدّيالوج" ويقصد به حوار الشخصية مع المحيطين بها بصوت مسموع، ولا شك أن الحوار يضفي جواً من الإثارة والتشويق على القصّة، وتكمن أهميّة الحوار في الكشف عن الأحداث والشخصيّات وتصويرها، يقول محمد يوسف نجم: "فكثيراً ما يكون الحوار السّلس المتقن مصدراً من أهم مصادر المتعة في القصّة، وبواسطته تتصل شخصيات القصّة، بعضها بالبعض الآخر، اتصالاً صريحاً مباشراً، وبهذه الوسيلة تبدو لنا وكأنها تضطلع حقاً بتمثيل مسرح الحياة "(٢).

ففي قصة حادث عرضي من مجموعة "ورقة واحدة لا تكفي" يكشف لنا الحوار الدائر بين رجل الشرطة والسائق عن حقيقة الموت، وأن الموت فعلي.

فقد دار الحوار التالي بين الشرطي والسائق:

"أعوذ بالله منك! هل أنت عزرائيل يا رجل؟

هوى على الكرسي من وقع الكلمات، عاد لا يعي ما يدور حوله، انتقل إلى أعماق من الظلال الكثيفة، ومن بين الظلال ظهر له شبح أطرافه تتماوج، لم يخف، ولم يرتجف، لأنه نفسه كان خيالاً، تكلّم الشبح بصوت جهوريّ:

أنا عزرائيل ملك الموت:

قال بلهفة :

-يقولون يا سيدي أنّني عزرائيل.

ضحك الشبح مشفقاً.

-ترى، ومن أكون أنا؟

---

(١)محمد يوسف نجم، فن القصّة، مرجع سابق، ص١١٧.

(٢)المرجع نفسه، ص١١٧.

هلل لنفسه: إذاً أنا لست عزرائيل، لست السبب في موت ذاك العسكريّ"[١].

فالسائق تعامل مع حالة الموت التي بدت وكأنّها قدر تلبّسه، أو كما قال: إنّ إبليس يسافر معه في السيارة، لذلك يُقدم على بيع السيارة، لكنّه عندما يتحوّل إلى راكب، يصبح مصيره مصير الركّاب الذين كانوا يسافرون معه، وهنا توجد دلالة: من يعي الواقع لا يموت، لكن من يعيش كأحد أفراد القطيع تكون نهايته الموت.

أما الحوار الداخلي "المونولوج" وهو حوار الشخصيّة مع نفسها دون أن يسمعها المحيطون بها، والحوار الداخلي أو "المناجاة" من الأساليب السرديّة التي يلتزمها الكتّاب لتسجيل ما يدور في خلد الإنسان، ويعرف بمناجاة النفس لتعبر الشخصيّة فيه عن هواجسها وأفكارها ومعاناتها بعيداً عن تقديم الحدث بطريقة السّرد الرتيبة "والغرض من المناجاة الدّاخليّة تسجيل الإيحاء بحركة العقل المتدفّقة المستمرّة بكل ما تشتمل عليه من تداعي المعاني، من غير ضبط ولا منطق"[٢]. ففي قصة "قفر" والتي تعتمد على المناجاة الذاتيّة، استطاع الكاتب أن يوظف هذه المناجاة ليكشف للقارئ عن طبيعة الشخصيّة ومعاناتها، فالكاتب يقدم قصة إنسان دميم الخلقة، قبيح المنظر، أجعد الشّعر، يحاول الخروج من عزلته، ومواجهته لنفسه، والعيش كالآخرين، ويصور واقعه النفسي الذي يمر به "يا إلهي كم أبدو قبيحاً! لماذا أنت تعذبني يا رب بهذه المصيبة، ماذا فعلت حتى تجعلني دميماً بهذا الشكل؟ أنف منتفخ، شعر أجعد كأنه فروة خروف، رأس أكبر من كل رؤوس الناس، وأتممتها بأن ملأت وجهي بالبثور، إنني لا أستطيع النظر إلى نفسي فكيف بالآخرين؟"[٣]. لكن ياسمين التي تظهر في كل أناقتها في برنامج تلفزيوني أسبوعي هي التي أخرجته من العزلة، وهي من علمته أن قيمة الإنسان ليست في شكله، إنما في جوهره، وهي التي جعلته يكتشف ذاته، وموهبته في صوته "يا لياسمين! الإنسان الوحيد الذي أشعرني بإنسانيتي دون أن ينظر إلى دمامة وجهي"[٤].

فالمونولوج الداخلي مكون أساسي في النص القصصي عند الكاتب، مما منحه سمة جمالية ووظيفة حيويّة بارزة.

---

(١) باسم الزعبي، قصة حادث عرضي، من مجموعة ورقة واحدة لا تكفي، مصدر سابق،ص٥١-٥٢.

(٢)ايفلن فريد جورج، نجيب محفوظ والقّصة القصيرة، مرجع سابق، ص١٧١.

(٣)باسم الزعبي، قفر، من مجموعة دم الكاتب، ص٤٠.

(٤)المصدر نفسه، ص٤١.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى تحليل أعمال الكاتب الأردني باسم الزعبي القصصية فحسب، وقد خلصت هذه الدراسة إلى ترجمة جملة من القضايا، ومجموعة من الأحكام والنتائج، ويمكن إيجازها بما يلي:

أولاً: إن باسم الزعبي لم يكن قاصاً فحسب، بل كان كاتباً ومترجماً، حيث ترجم إلى العربية العديد من القصص القصيرة المشهورة، المختارة من الأدبين الروسي والأفريقي، وخاصة القصص السّاخرة، وقد أثرت ترجماته المكتبة العربية، وعرفت القارئ العربي على نماذج متميزة من الآداب العالمية، ومن هؤلاء الكتاب المشهورين: أركادي أفير تشنكو، وديستوفسكي، وشيدرين، وفلاديمير نابكوف، وكوبرين، بالإضافة إلى ترجمة قصص قصيرة ساخرة وقيمة للكاتب الروسي المشهور أنطون تشيخوف.

ثانياً: يتميز أسلوب باسم بالميل إلى الواقعية في معالجة قضاياه، حيث أفاد القاص من الأعمال الأدبية العالمية ولاسيّما الروسية والعربية، وأثرت هذه الأعمال في نهج باسم الزعبي وأسلوبه، إذ بدت السخرية واضحة في الكثير من قصصه، فقد تأثر بالكتّاب الروس أمثال تشيخوف وأفير تشنكو وشيدرين وكوبرين، وتيفي، والكاتب التركي نيسين، كما وتأثر بكتابات العديد من كتّاب القصة في العالم العربي من مثل: زكريا تامر وإميل حبيبي، وفخري قعوار، وأحمد أبو خليل، وأحمد الزعبي، فكانت رؤية الكاتب عصارة لما قرأ واستوعب، فعبر عن نفسه وأفكاره وداخله من خلال القصة، حيث يجد أن هذا النوع من التعبير أفضل من أن يعبر الكاتب عن نفسه بلغة العقل الباردة.

ثالثاً: كان للتكوين الاجتماعي والثقافي أثر واضح في أعمال الكاتب، حيث أسهم في تحديد رؤية الكاتب للإنسان والعالم، فركزت قصصه على إنسانية الإنسان، بغض النظر عمن هو، كما ركّزت على طبقة الناس المهمشين والبسطاء في الأرض، والذين يحملون في داخلهم بذرة الحياة، فكان يطمح –كواحد من أبناء الأمة- إلى التخلص من تخلف الأمة وجهلها، ومواكبة مسيرة التقدم، كما أن مفهوم الكاتب للقصة ارتبط بمكوناته الثقافية، وخاصة من أثروا به في حياته، أمه، أبيه، كمال النمري، خالد الشرع، مصطفى البرغوثي، وهاشم غرايبة، وأنطون تشيخوف، وغيرهم.

رابعاً: تناول الكاتب قضايا عديدة ومتنوعة في قصصه مثل: قضية المرأة والرجل، فسلّط عدسة القصة على معاناتهم في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، والعادات والتقاليد الموروثة والقيم، والتعليم والجهل والظلم، والخرافات، كما في قصة "شقائق النعمان" وقصة "المهباش" وقصة "نخلة" وقصة "أوجاع" وغيرها من القصص.

خامساً: تتبعت الرسالة نشأة القصة في الوطن العربي، بشكل عام، والقصة الأردنية بشكل خاص، وعرضت الرسالة مؤلفات الكاتب الأردني باسم الزعبي وترجماته، مما ساهم في فهم شخصية الكاتب، وتكوينه الثقافي، ووضح رؤيته للإنسان والعالم، كما وألقت هذه المؤلفات والترجمات بأضوائها على قصصه الأدبية القصيرة، وساعدت في فهمها وفك الكثير من رموزها.

سادساً: اتّسمت مضامين قصصه المدروسة بالجرأة في طرح الفكرة، مما ألّف جسراً من الجاذبية بين النص والمتلقي، فعالجت موضوعات حسّاسة، كالحرية والقيم الاجتماعية، والفقر والجهل والمرض، كما وأبرزت الواقع السياسي الذي تعيشه الأمة، وما عانته هذه البلدان من حروب وهزائم، وظلم وصراع بين الأفراد، مستخدماً في بعض الأحيان الأسلوب الساخر في معالجة هذه القضايا.

سابعاً: جاء انتقاء باسم الزعبي لشخصيات قصصه من النماذج البشرية التي تتحقق فيها سمات أشخاص العالم الواقعي الذين يجسّدون الصورة المألوفة للإنسان، كما لم ينتق باسم الزعبي شخصياته من طبقة معينة، بل جاءت شخصيات قصصه لتشتمل جميع الطبقات من متقدمة، ومتوسطة، وفقيرة، ليبيّن لنا الواقع الذي ينتقي منه هذه الشخصيات.

ثامناً: كشفت هذه الدراسة عن رؤية الكاتب للمدينة الأردنية، فشخصيات المدينة تعيش حياتها وتعاني همومها، كما وجاءت بعض الشخصيات معارضة لبعض قيم المجتمع المدني، أو ترفضها، إذ تعيش في بعض الأحيان هذه الشخصيات اغتراباً نفسياً شديداً، بسبب تعارض الشخصية مع بعض قيم المجتمع المدني، وعدم القدرة على الاندماج فيه.

تاسعاً: ركّزت النصوص على القضايا الفلسفية الوجودية، التي تهتم بالإنسان وتصور وجوده على الأرض، وسبب هذا الوجود، وما يجري له من أحداث حتى الموت، مبينة المصير الذي يختاره، وركزت النصوص على قضية الاغتراب بشقيه المكاني والنفسي، والتي يعاني منها الإنسان العربي.

عاشراً: تتّسم بدايات القصص عند باسم الزعبي بالإثارة، التي تشد المتلقي إلى معرفة باقي أحداث القصة، أما النهايات فاتسمت في سوداوية النظرة إلى الحياة، وغالباً ما يتخللها الحزن والكآبة والقلق والغموض، والحكمة الفلسفية.

حادي عشر: استخدم القاص تقنية الرمز في النصوص، مما أضفى على النصوص المزيد من العمق والتأمل، والجمال والبحث.

ثاني عشر: استخدم القاص في بناء النصوص اللغوي الجمل البسيطة، المباشرة، مع الحفاظ على قصر الجمل، وجاءت الجمل مكثفة عميقة، وقد اقتربت لغتها القصصية من اللغة الشعرية، التي تمزج بين الواقع النفسي والواقع المحكي، مستفيداً من الأساليب اللغوية الإنشائية.

ثالث عشر: تكشف القصص عن كثير من الملامح والسمات الفنية من خلال التجوال في عوالم في العوالم الداخلية للشخصيات، ورصد مشاعرها وأحلامها وكوابيسها التي تكشف عن شدة معاناتها وعزلتها، كما وأخرج الصراع الداخلي بين الشخصية وذاتها وبين الشخصية ومحيطها الاجتماعي إلى العلنية.

رابع عشر: اتجه الكاتب إلى استخدام الأساليب التقنية الحديثة في القصة معتمداً على التقنيات الاسترجاعية والاستباقية التي نأت بالقصة عن التقليد، وجددت الرغبة لدى المتلقي بتذوقها بطعم جديد.

خامس عشر: استطاع الكاتب باسم الزعبي توظيف التّراث الأسطوري في مجموعاته القصصية بأسلوب ممتع وشيق.

هذه هي أبرز النتائج والأحكام والاستنتاجات التي توصلنا إليها بعد البحث والدراسة والمناقشة، والتي لا يمكن أن ترتقي إلى مستوى الكمال –فالكمال لله وحده- فالعمل البشري مهما بلغ من الإتقان لا بد أن يبقى ناقصاً، لذا فإن دراستنا لباسم الزعبي كانت كقاص ومبدع، أما ترجماته وقصصه القصيرة للأطفال، ومطبوعات فلسفية وفكرية فلم تتطرق لها الدراسة، غير عرضي الموجز لها في طيات هذا البحث.

سائلاً المولى التوفيق.

الباحث

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:المصادر

-القرآن الكريم

١-باسم الزعبي، **الموت والزيتون**، مجموعة قصصية، وزارة الثقافة، ١٩٩٤,

٢-باسم الزعبي،**ورقة واحدة لا تكفي**، مجموعة قصصية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان-بيروت،٢٠٠٢.

٣-باسم الزعبي، **دم الكاتب**، مجموعة قصصية، دار الكندي، إربد، ٢٠٠٣م.

٤-باسم الزعبي، **تقاسيم المدينة المتعبة**، مجموعة قصصية، وزارة الثقافة، ٢٠٠٤,

٥-باسم الزعبي، **الحصان العربي**، مجموعة قصصية للأطفال، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨م.

٦-باسم الزعبي،**الدولاب**، مجموعة قصصية للأطفال، وزارة الثقافة،عمان، ٢٠٠٩م.

٧-باسم الزعبي، **كتاب المكان**، إعداد وتحرير وتقديم وزارة الثقافة ،١٩٩٤م.

٨-باسم الزعبي، **رقصة العاج**، قصص من الأدب الأفريقي المعاصر، ترجمة، ٢٠٠٠م.

٩- باسم الزعبي، **شخصية مشرقة**، مجموعة قصصية مترجمة من الأدب الروسي، دار ورد، عمان،٢٠٠٥م.

١٠-باسم الزعبي، **ذات مساء**، مجموعة مترجمة للكاتب الروسي أركادي أفير تشنكو، أمانة عمان،٢٠٠٩م.

١١-باسم الزعبي، **يتساقط الثلج هادئاً**، مختارات مترجمة من اللغة الروسية المعاصرة، دار ورد،عمان ٢٠٠٩م.

ثانياً: المراجع

(١)إبراهيم الفيومي، **دراسات في الرّواية والقصة القصيرة**، منشورات وزارة الثقافة، ط١،١٩٩٧عمان.

(٢)أحمد الزعبي، **التيارات المعاصرة في مصر**، المكتبة الوطنيّة، إربد،١٩٩٥م.

(٣)أحمد حسن الزيّات، **تاريخ الأدب العربي**، ط٢، دار الحكمة، دمشق، بيروت،١٩٨٠م.

(٤)أروى عبيدات، **صورة المرأة في الرواية الأردنية**، منشورات وزارة الثقافة، عمان،١٩٩٥.

(٥)أمينة العدوان، **دراسات في الأدب الأردني المعاصر**، دط، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ١٩٧٦م.

(٦)أمين مشاقبة، **الحسن بن طلال المفكر الإنسان**، وزارة الثقافة، عمان،١٩٩٨.

(٧)الشريف حبيلة، **بنية الخطاب الروائي عند نجيب الكيلاني**، عالم الكتب الحديث، إربد٢٠٠٩.

(٨)ايفلن فريد جورج، **نجيب محفوظ والقصّة القصيرة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨٨م.

(٩)بسام خليل فرنجيّة، **الاغتراب في الرواية الفلسطينية**، مراجعة خليل أحمد، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت،١٩٨٦.

(١٠)توفيق أبو الرب، **قراءات في الأدب الأردني**، ط١، مطابع الدستور التجارية، عمان١٩٨٢.

(١١)جان بول سارتر، **الوجوديّة مذهب إنساني**، قدَّم له الدكتور كمال الحاج، منشورات مكتبة الحياة،بيروت،١٩٧٧م.

(١٢)جان بول سارتر، **دراسات مستقاة من أعلام الفلسفة الوجوديّة**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت-لبنان،١٩٧٨.

(١٣)جون كروكشانك، **ألبيركامو وأدب التّمرُّد**، ترجمة جلال العشري، بيروت،١٩٧٠.

(١٤)حسن عليان وآخرون، **القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية**، ط١، دار أزمنة للنشر والتوزيع،١٩٩٤م، عمان- الأردن.

(١٥)رولان بارت، **مدخل إلى التحليل البنيوي للقصة**، ترجمة منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري-حلب سورية-، ٢٠٠٢م.

(١٦)رشاد رشدي، **فن القصّة القصيرة**، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥.

(١٧)رينيه ويليك وأوستن وارين، **نظرية الأدب**، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥.

(١٨)سمير قطامي، **الحركة الأدبية في الأردن،١٩٤٨-١٩٦٧م**، ط١، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، ١٩٨٩.

(١٩)سليمان الأزرعي، **دراسات في القصة والرواية الأردنية**، ط١،دار ابن رشد،عمان ١٩٨٥.

(٢٠)سيد حامد النساج، **تطور فن القصة في مصر**، ط٤، مكتبة غريب،١٩٩٠.

(٢١)شكري الماضي، في نظرية الأدب، ط١، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان٢٠٠٥.

(٢٢)_____، **فنون النثر العربي الحديث**، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان-الأردن، ١٩٩٦م.

(٢٣)شكري عياد، **القصة القصيرة في مصر**، دراسة في تأصيل فن أدبي، دار المعرفة، القاهرة ،١٩٧٩.

(٢٤)طه الهباهبة، **الحكاية الشعبية في محافظة معان**، ط٢، دار الينابيع للنشر، عمان،١٩٨٨م.

(٢٥)الطاهر مكي، **القصة القصيرة**، دراسات ومختارات، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣.

(٢٦)طه وادي، **دراسات في نقد الرواية**،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨٩.

(٢٧)عباس العقاد، **خواطر في الفن والقصّة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣.

(٢٨)عبد الرحمن بدوي، **دراسات في الفلسفة الوجوديّة**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

(٢٩)عبد الرحيم الكردي، **البنية السّردية للقصة القصيرة**، ط٢، دار النشر لجامعات مصر،١٩٩٩م.

(٣٠)عبد اللطيف خليفة، **دراسات في سيكلوجيّة الاغتراب**، دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٣١)عبد اللطيف محمد السيد الحديدي،**الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي**، النظرية والتطبيق، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م.

(٣٢)عبد الرحمن شلش، **صورة الواقع في القصة**، النقد في الإمارات، كتاب الرافد، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،١٩٩٨.

(٣٣)عبد الله رضوان، **البنى السردية**، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، ط١،من منشورات رابطة الكتاب الأردنيين بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان،١٩٩٥.

(٣٤)عز الدين إسماعيل، **الأدب وفنونه**، ط٦، دار الفكر العربي، بيروت،١٩٧٦.

(٣٥)علي المومني، **فن القصة القصيرة عند رجاء أبي غزالة**، دار الينابيع للنشر والتوزيع، ط١، عمان،٢٠٠١.

(٣٦)علي عشري زايد، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، ط١،الشركة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٨.

(٣٧)عيسى العبادي، **مضامين الرواية الأردنية (١٩٦٧-١٩٩٠)** دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦.

(٣٨)فايز محمود، **الحقيقة بحث في الوجود**، ط٢، المطابع النموذجيّة،عمان-الأردن،١٩٨٩.

(٣٩)فرانك أوكونور، **الصوت المنفرد**، ترجمة محمود الربيعي، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩.

(٤٠)فريال سماحة، **الشخصيات في روايات حنا مينة**، دراسة أدبية، ط١، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان،١٩٩٩.

(٤١)لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٢.

(٤٢)مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، الجزء الثاني ،ط٣، مصر،د.ت.

(٤٣)محمد الجزائري، **تخصيب النص(الأسطورة-السيرة الشعبية-الرمز-المشهد الشعري في الأردن(نماذج)**،دط، مطابع الدستور التجارية، عمان،٢٠٠٠م.

(٤٤)محمد صالح الشنطي، **آفاق الرؤية وجمال التشكيل**، مطابع الشرق الأوسط، السعودية، حائل،١٩٩٢.

(٤٥)محمد عطيات، **القصة الطويلة في الأدب الأردني**، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان،١٩٨٥.

(٤٦)محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة ،بيروت،١٩٨٧.

(٤٧)محمد يوسف نجم، **فن القصة**،ط٥، دار الثقافة بيروت-لبنان،١٩٦٦.

(٤٨)محمود السمرة، **في النقد الأدبي**، ط١، الدار المتحدة للنشر،١٩٧٤.

(٤٩)ميخائيل باختين، **أشكال الزمان والمكان في الرواية**، ترجمة يوسف الحلاق،ط١، وزارة الثقافة، دمشق،١٩٩٠م.

(٥٠)نبيل حداد، **الرواية في الأردن**، فضاءات ومرتكزات، وزارة الثقافة ،عمان، ٢٠٠٣.

(٥١)ـــ،**القصة القصيرة في الأردن**،اضاءات وعلامات، دار الكندي، إربد،٢٠٠٥.

(٥٢)ـــ،**الكتابة بأوجاع الحاضر**، دراسة نصية في الرواية الأردنية، ط١،أمانة عمان الكبرى، عمان،٢٠٠٣.

(٥٣)نبيل سليمان، **فتنة السرد والنقد**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية،١٩٩٤.

(٥٤)هاشم ياغي، **القصة القصيرة في فلسطين والأردن،(١٨٥٠-١٩٦٥)**، ط٢، ١٩٨١م.

(٥٥)يوسف الشاروني، **دراسات في القصة القصيرة**، ط١،دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٩.

ثالثاً:المجلات

(١)سامية عطعوط، **نص مغلق ولحظة إدهاش**، **مجلة أفكار**، العدد٨٨، ١٩٨٦.

(٢)سلطان المعاني، القصة **القصيرة في شرقي الأردن منذ عام١٩٦٧م**، **مجلة راية مؤتة**، العدد الأول،١٩٩٣.

(٣)سليمان الأزرعي، **الاغتراب المديني في الرواية الأردنية**، مجلة عمان، العدد٣٥ ،١٩٩٣.

(٤)عبد الرحمن الهويدي، **الغربة في شعر المتنبي**، **مجلة الكوفة**، المجلد٥، العدد١، ٢٠٠١م.

(٥)عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية**،بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، العدد(٢٤٠)،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،١٩٩٨.

(٦)عبد الناصر عسّاف، **تقنية الاستباق في الأشجار واغتيال مرزوق**، **مجلة الموقف الأدبي**، اتحاد الكتاب العرب، العدد٢٦٥، دمشق، آذار،١٩٩٣.

(٧)قيس النوري، **الاغتراب اصطلاحا ومفهوماً وواقعاً**، **مجلة عالم الفكر**، مجلد١٠، عدد١، الكويت،١٩٧٩.

(٨)محمد زكريا عناني، **الاغتراب في رواية محمود حنفي**، **مجلة فصول**-مجلة النقد الأدبي،تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد١٢،العدد الثاني،١٩٩٣.

(٩)نهاد التكرلي، **التحليل النفسي الوجودي**، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، بيروت، ،العدد١٣، ١٩٨١.

رابعاً:الرسائل الجامعية

(١)سميّة علي خصاونة، **الاغتراب في الرواية في الأردن، بين سنتي(١٩٦٧-١٩٩٠)** رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك،١٩٩٥.

(٢)علي"محمد علي"عمر خصاونة"، **التطور الفني في قصص هاشم غرايبة القصيرة**، رسالة ماجستير غير منشورة.جامعة آل البيت،٢٠٠٤.

(٣)لينا الصمادي، **قصص بسمة النسور القصيرة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، ٢٠٠٩.

(٤)مريم جبر فريحات، **المرأة في القصّة القصيرة في الأردن**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٥.

(٥)منتهى الحراحشة، **الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم**، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المفرق-الأردن، ٢٠٠٠م.

خامساً:الصحف

(١)باسم إبراهيم الزعبي، **محطات في الذاكرة**، جريدة الرأي، الرأي الثقافي، الجمعة،٢٠٠٩/٤/٣، العدد١٤٠٥٤.

(٢)سميرة عوض، **باسم الزعبي ...يؤلمه غياب البحر الأخضر..القرية وبيوت الحارة مكاني الأول**، جريدة الرأي الأردنية، الأحد ٢٠٠٨/١١/٢٣م، العدد ١٣٩٢٤.

(٣)سليم النجار، **قراءة لنموذجين قصصيين لباسم الزعبي"دم الكاتب"وزياد أبو لبن "هذيان ميت"**.جريدة الأنباط،العدد٣١١،الأحد٢٠٠٩/٣/١٢.

(٤)محمد سلام جميعان، وحدة **الفاعلية النفسية والاستدخالات الشعورية في قصتين للقيسي والزعبي**، جريدة الرأي-الرأي الثقافي، العدد١٢١٩٨، عمان، الجمعة٢٠٠٤/٢/١٣.

(٥)محمد عبدالله القواسمة، **قراءة في مجموعة ورقة واحدة لا تكفي لباسم الزعبي**، جريدة الدستور،٢٠٠٢/٢/١٨.العدد١٢٧٧٦.

(٦)نضال القاسم، **البناء الفني في تقاسيم المدينة المتعبة لباسم الزعبي**، جريدة الرأي الأردنية، العدد١٤٣١٣، عمان،الجمعة،٢٠٠٩/١٢/١٨.

(٧)هيا صالح، **تقاسيم المدينة المتعبة لباسم الزعبي..سخرية لاذعة من واقع فانتازي**، جريدة الرأي، الرأي الثقافي، الجمعة٢٠٠٨/٣/١٤، العدد١٣٦٧٣.

(٨)يحيى القيسي، **القاص الأردني باسم الزعبي.. القرية شكلت وعيي الأول والأدب الروسي الساخر أثر في كتابتي**، جريدة القدس العربي، الأربعاء ٢٠٠٨/١/٢٣م، ١٥/محرم١٤٢٩، العدد٥٧٩٦.

سادساً:المقابلات الشخصية مع الكاتب

١-مقابلة بتاريخ ٦/٢٧/ ٢٠٠٩م، عمان.

٢-مقابلة بتاريخ ٢٠٠٩/٧/٤ م، عمان.

٣-مقابلة بتاريخ ٢٠٠٩/٧/١٠م، عمان.

ABSTRACT

Basem AL-Zouabi`s Short Story Art

(Objective and Artistic Study)

Supervised by : Dr. Muntaha Harahsheh
Prepared by: Omar Ali Hasan AL-Mashaqbeh

SUMMARY:

This research aims to study the works of writer Basem Zouabi in the art of the short story from both the substantive and technical.

The researcher indicated that the researcher did not find previous studies, the title and substantive and technical framework itself, but it was sparse in the books of scholars ,critics ,newspapers and magazines ,also it doesn't form an integrated mind reading.

Basem AL- Zoubi is to be prepared one of the prominent writers in the art of short story, his short story's triumph of man over injustice and oppression, and supported women in the liberation from the shackles of the shabby society, as the writer to do everything in its power of innovation and experimentation ,his stories came modernist incorporate ideas and visions, and it was necessary to be studied in an independent research.

The research has come to several conclusions:

First: The writer dealt with several issues in his short stories like man and woman's issues ,he highlighted upon their suffering under the environmental , economical ,social conditions, and inherited habits and traditions, values ,education ,un enlightenment , injustice and fables, as it mentioned in may of his stories.

Second: The study revealed the vision of the writer of the Jordanian city, so. The characters of the city live their lives and suffer concerns. Came some of the characters is opposed by some values of civil society, or reject it as live, sometimes these characters live a psychological alienation because of a conflict with some of the personal values of civil society, And disability of integration

Third: The writer appointed various and technically structure such as(events, characters ,time and place , dialogue recital methods ,and language).

This technical structure contributed in externalization the writer's vision of his narrative texts.